

مجلة جيل

الدراسات السياسية والعلاقات الدولية



— مجلة علمية دولية محكمة تصدر دوريا عن مركز جيل البحث العلمي —

Lebanon - Tripoli / Abou Samra Branche P.O.BOX 8 + 961/71053262 - www.jilrc-magazines.com - politic@jilrc-magazines.com



العدد الثالث – أغسطس 2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة: د. سرور طالبي المل

رئيسة التحرير: د. هادية يحيوي



ISSN 2410-3926

التعريف:

مساعد رئيس التحرير:

أ.عمر الزوبعي (العراق)

أسرة التحرير:

أ.د زواقري الطاهر عميد كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة
خنشلة- الجزائر.

أ.د حاسي دوران جامعة أديامان (تركيا)

أ.د قادري حسين، جامعة باتنة- الجزائر

أ.د نصر الدين بن طيفور جامعة تلمسان - الجزائر

د. زرارة عواطف، جامعة باتنة وخنشلة- الجزائر

د. بان الصائغ- العراق

د.سهى حمزاوي - الجزائر

الهيئة العلمية التحكيمية للعدد:

د.عادل زقاغ - الجزائر

د.كوسر عثمانية - الجزائر

د.عبد الإله السطحي - المغرب

د.شفيعة حداد - الجزائر

أ.أونيسي ليندة - الجزائر

أ.نبيلة سالك - الجزائر

التدقيق اللغوي:

أ.د حازم ذنون اسماعيل(جامعة الموصل - العراق)

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دورياً
عن مركز جيل البحث العلمي تعني
بالأبحاث العلمية في مجال العلوم
السياسية والعلاقات الدولية، بإشراف
هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين
وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين
وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد.

تتناول المجلة إسهامات مختلف الباحثين و
المهتمين بمجال العلوم السياسية سواء ما
تعلق بالرصيد النظري أو بقضايا الساعة
أو بترجمة الأعمال ذات الأهمية العلمية
المعترف بها.

تعد هذه الدورية العلمية تكريماً لحرص
المركز على تشجيع الأبحاث و الجهود
العلمية ، وعلى الإسهام في إثراء الرصيد
النظري لمختلف العلوم بنشر الدراسات
الجادة والراقية، استناداً إلى معايير علمية
موضوعية ودقيقة.

قواعد النشر



ISSN 2410-3926

تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية:
بالنسبة للمقالات:

- تنشر المجلة المقالات التي تستوفي الشروط الآتية:
- الالتزام بالمعايير العلمية والموضوعية المعمول بها دولياً في الدوريات المحكمة، والتي تستجيب لشروط البحث العلمي.
- تعتمد هيئة التحكيم مبدأ الحياد والموضوعية في تحكيم المواد العلمية المرشحة للنشر مع الحرص على خلو الأعمال من التطرف الفكري أو مساسها بمبادئ بالأشخاص أو الأنظمة.
- يراعى في المقالات المقترحة للنشر في المجلة أن تتسم بالجدية وأن لا تكون محل نشر سابق أو مقتطف من مذكرة أو أعمال، ملتمقى.
- أن تكون المواضيع المقدمة ضمن اختصاص المجلة.
- أن تلتزم المقالات الدقة وقواعد السلامة اللغوية، وأن لا يتعدى حجم العمل 15 صفحة مع احتساب هوامش، مصادر و ملاحق البحث.
- ترسل المادة العلمية في ملف مرفق بملخص بلغة البحث و آخر بإحدى اللغات: العربية، الفرنسية أو الانجليزية (حسب لغة البحث).

بالنسبة للأعمال المترجمة:

- تقبل من الأعمال المترجمة تلك التي تتصل باختصاص المجلة.
- تقبل الأعمال المترجمة من و إلى: العربية، الفرنسية، الانجليزية أو الألمانية.
- تخضع المقالات لاستشارة ترجمانيين مختصين في اللغات المذكورة أعلاه.

سياسة التحكيم:

- تحول الأعمال المقدمة المقالات إلى أساتذة من ذوي الخبرة العلمية حسب اختصاص المقالة.
- يبلغ الباحث المرسل بتلقي مادته في غضون 24 ساعة من تسلمها.
- تراعي السرية في التحكيم.
- تلتزم هيئة التحكيم بإبداء الرأي و اتخاذ القرار في غضون 20 يوم من تمكينها من المادة المقترحة للنشر.
- يحق لهيئة التحكيم أن ارتأت ضرورة إقرار تعديلات على المواد المقدمة للنشر.
- يعلم الباحث المرسل بقبول مادته للنشر على أن يعلم بتاريخ نشرها حسب رزنامة المجلة.

شروط النشر:

- شكل الكتابة: باللغة العربية شكل Traditional Arabic حجم 14.
- بالنسبة للغات الأجنبية شكل Times New Roman حجم 12 .
- يرفق الباحث الباحث مادته بسيرة ذاتية علمية مفصلة.
- تهمشن معلومات البحث حسب طريقة شيكاغو الأمريكية بترتيب تسلسلي يتبع متن البحث.
- ترتب هوامش المعلومات في نهاية كل صفحة.

نموذج التمهيد:

1. الكتب باللغة العربية أو الأجنبية: لقب و اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، بلد النشر، سنة النشر، رقم الطبعة.
2. النصوص التشريعية: البلد، نوع النص، مضمون النص، سنة الصدور.
3. المجالات و الدوريات: عنوان المجلة أو الدورية، لقب و اسم الكاتب، عنوان المقالة، عدد المجلة، تاريخ الصدور، صفحة الاقتباس.
4. الرسائل الجامعية: لقب و اسم الطالب، عنوان المذكرة ، درجة المذكرة، مؤسسة تسجيل المذكرة، كلية التخصص، السنة الجامعية، صفحة الاقتباس.
5. التقارير الرسمية: جهة إصدار التقرير، موضوع التقرير، مكان نشر التقرير، سنة إصدار التقرير ، صفحة الاقتباس.
6. المراجع الإلكترونية:
يوثق المرجع المنقول عن شبكة "الإنترنت" بذكر معلومات الرابط الإلكتروني كاملاً مع ذكر صاحب المادة المنشورة، وتاريخ زيارة الموقع .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

politic@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- 9 • الإفتتاحية
- 11 • التكامل: مقارنة مفاهيمية وتنظيرية، عبد الناصر جندلي / قسم العلوم السياسية- جامعة باتنة، الجزائر
- 29 • دور القنوات الفضائية في تغطية أحداث العدوان الإسرائيلي على غزة وتداعياته (يوليو 2014)، د. نعيم فيصل المصري/ أستاذ الإعلام المساعد ورئيس قسم الفنون التطبيقية، كلية فلسطين التقنية-دير البلح- قطاع غزة
- 47 • المدخل الاقتصادي في الإصلاح السياسي: مراجعة تبني الجزائر لخيار الكوتا في السياق العربي، أ. نجيبة بولوير، أستاذة باحثة، قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر - باتنة-
- 63 • بورما وأزمة الاندماج الوطني/ د. نهاد احمد مكرم عبد الصمد، دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية- مصر
- 79 • هلاك الأمم: بين قوانين التغيير وقواعد القيادة:دراسة في تغيير دول الشرق الأوسط، د. سيف نصرت توفيق الهرمزي، مقرر قسم الدراسات الدولية/كلية العلوم السياسية- تكريت: د. حازم حمد موسى الجنابي، رئيس قسم القانون/كلية القلم الجامعة
- 99 • الأزمة السورية والطائفية الإقليمية، أ.م.د ناجي محمد الهتاش، كلية العلوم السياسية-جامعة تكريت-العراق
- 121 • الاقتصاد العالمي والموارد الاقتصادية في ظل العولمة والهيمنة السياسية ، أ. خليل محمد خليل أبوعلان / جامعة الخليل - كلية الآداب - قسم الجغرافيا التطبيقية - فلسطين

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2015

الإفتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله وحمده يوافيكم مركز جيل البحث العلمي بالعدد الثالث من مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، بعد أن عكف فريق العمل على انتقاء أبحاث متخصصة ستمد الباحثين والدارسين بمادة رصينة تتصل بالحقل المعرفي للعلوم السياسية والمدركات، وبما تنضح به البيئة الدولية من مواضيع، يأمل فريق عمل المجلة أن يكون قد أسهم في طرح دراسات نخبوية قيمة ترضي المداومين على متابعي إصدارها.

ونسأل المولى عزوجل السداد والتوفيق في الأعداد القادمة إن شاء الله.

رئيسة التحرير / الدكتورة هادية يحيى

التكامل: مقارنة مفاهيمية وتنظيرية

عبد الناصر جندلي

أستاذ التعليم العالي، قسم العلوم السياسية- جامعة باتنة، الجزائر

ملخص الدراسة.

تحاول هذه الورقة البحثية معالجة الكيفية التي تنظر من خلالها التيارات الفكرية للوظيفية بشقيها الأصلية والجديدة للتكامل بوصفها مفهومًا والتكامل بوصفه مقارنة نظرية، وكذا مدى تكيفها مع تحولات عالم ما بعد نهاية الحرب الباردة. وقد توصلت الورقة البحثية إلى نتيجة مفادها أن التيارات الفكرية الوظيفية بشقيها الأصلي والجديد متقاطعة منهجيا، وترصد جوانب مهمة فيالظاهرة التكاملية، وجميعها يدرس موضوع واحد هو التكامل وبمقاربة نظرية واحدة، هي الوظيفية مهما تضاربت في رؤاها.

Abstract.

This paper tries to treat the way in which the different trends of thought look at the integration as a concept and as theoretical approach, and also the extent of their adaptation with Post – Cold War World. The paper reaches the conclusion that these functional trends of thought both old and new are methodologically consistent and coherent, they study only one subject, which is integration with a unique theoretical approach, namely ; Functionalism.

مقدمة

تواجه التيارات الفكرية للوظيفية بشقيها الأصلية والجديدة مأزقا مفاهيميا وتعريفيا، وكذا صعوبة تحديد متغيرات الظاهرة التكاملية ومؤشراتها الناتجة عن تعدد الرؤى للمعالجة المفاهيمية والتنظيرية لموضوع التكامل؛ لذلك تسعى ورقتنا البحثية إلى تسليط الضوء على طبيعة الظاهرة التكاملية بوصفها مفهومًا وموضوعًا وتنظيرًا، وأفرزت نهاية الحرب الباردة مناخا دوليا مواتيا للوظيفية بشقيها الأصلية والجديدة، التي تنظر للعلاقات الدولية على أنها علاقات تكامل وتعاون وليست علاقات صراع وتنافس، حيث شهد الوضع الدولي الجديد توجه عدد من الدول نحو التكامل فيما بينها بخاصة في المجال الاقتصادي. كيف لا وأن المتغير الاقتصادي بات المتغير الرئيس المتحكم في مسار العلاقات الدولية الراهنة مقابل تراجع للمتغير العسكري. وفي هذا السياق تحاول الدراسة قياس مدى مواكبة التيارات الفكرية للوظيفية مع البيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة.

وعليه، فإن الإشكالية الجديدة تثار هنا: كيف تنظر التيارات الفكرية الوظيفية للتكامل بوصفها مفهومًا ومقاربة نظرية، برؤية موحدة أم برؤى متضاربة؟ وما مدى تكيفها مع التحولات الدولية لما بعد نهاية الحرب الباردة؟

لمعالجة هاته الإشكالية تتبنى الدراسة مقارنة منهجية تتضمن منهج البحث التاريخي المقارن الذي يتيح لنا تشخيص الظاهرة التكاملية في تعاقباتها الزمنية، وتنقلاتها المكانية من حيث الوقوف على التأصيل التاريخي للتكامل بوصفها

موضوعاً، والتطور التاريخي الذي مر به الإتحاد الأوروبي بخاصة، والنماذج التكاملية الأخرى بعامة من خلال تفحص مختلف التيارات الفكرية للوظيفية. أما المنهج الإستقراي فتم توظيفه عند التطرق إلى مؤشرات العملية التكاملية ومتغيراتها، وكذا للنماذج التكاملية المبنية أساساً على التبادل بين الأجزاء والكل؛ أي: ولقاء الأطراف للتنظيم الإقليمي، فضلاً عن منهج دراسة الحالة الذي تم توظيفه في تركيزنا على الإتحاد الأوروبي بوصفه نموذجاً عن التجارب التكاملية الناجحة، على الرغم من الانعكاسات السلبية عليه جراء أزمة منطقة اليورو وEuro Zone Crisis⁽¹⁾، التي أصابت دول جنوب أوروبا؛ أي: دول شمال البحر الأبيض المتوسط، والوحدة المصرية- السورية، والاتحاد المغربي بوصفهما نموذجين عن التجارب التكاملية الفاشلة. أما تقنية تحليل المضمون فتم استخدامها في تحليل النسق المفاهيمي والبناء النظري لشتى التيارات الفكرية للوظيفية وكيفية نظرتها المنفردة للظاهرة التكاملية.

تماشياً مع المقاربة المنهجية المتبعة أرتأينا تقسيم الدراسة على ثلاثة محاور. تعرض المحور الأول إلى التأسيس للتكامل بوصفه مفهومًا وموضوعًا ومقاربة نظرية، من خلال ضبط مفهوم التكامل، وتحديد طبيعته وعلاقته بمفاهيم التعاون، والتنسيق، والانسجام والإقليمية. والتكامل بوصفه عملية (مسار) أم حالة (واقع). في حين سريخص المحور الثاني لمختلف التيارات الفكرية للمقاربة الوظيفية بشقيها الأصلية والجديدة. وسيرتم في المحور الثالث تقييم مدى تكيف التيارات الفكرية الوظيفية مع البيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة.

أولاً- التأسيس للتكامل بوصفه مفهومًا وموضوعًا ومقاربة نظرية

١- التأسيس المفاهيمي للتكامل

أ - مفهوم التكامل وعلاقته بمفاهيم التعاون، والتنسيق، والانسجام والإقليمية

التكامل (Integration): قيمة مؤسسية في العلاقات الدولية ناتجة عن تطورها نظرياً وممارساتياً من خلال تكريس فكرة الاعتماد المتبادل بين مختلف الوحدات السياسية. وعلى الرغم من تباين منطري الوظيفية في تعريف التكامل -كما سنرى لاحقاً-، يمكن تعريفه بأنه: تلك العملية الموضوعية والموجهة للتكيف المتبادل بين البنى الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو العسكرية لدولتين أو أكثر نحو نظام متجانس، بتحويلها إلى مركبات دولية لتوفير الزمن، ورفع الإنتاجية بما يخدم أطرافاً في هذه العملية.

فاعتبار التكامل عملية موضوعية (Objective Process)، يعني أنه يتم على وفق أسس منطقية بناء على مبررات حقيقية؛ لأن التكامل عملية موجهة (Oriented Process)، يعني: أنه يسير على وفق جهاز مؤسسي وحكومي. أما التكيف المتبادل (Mutual Adaptation)، فيعني إعادة هيكلة البنى ذات الصلة بالجانب الذي تمتد إليه عملية التكامل سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً وعسكرياً. أما النظام المتجانس (Homogeneous System) فيكمن في خلق وحدة جديدة في النظام الدولي، مثل: منظمة الأوبك، أو منظمة الكوميكون، أو حركة عدم الانحياز. وموضوع التجانس ليس مطلقاً، بل يخضع لطبيعة البنى التي أفرزت هذا الشكل. فقد يكون التكامل اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً، ليشمل فيما بعد بقية المجالات طبقاً لمبدأ

(1) ضربت أزمة منطقة اليورو دول جنوب أوروبا و لاسيما اليونان، إيطاليا وإسبانيا ثم البرتغال وقبرص . وهي ترجع إلى العجز الهائل في الميزانية ، وميزان المدفوعات، وارتفاع الدين العام الخارجي والتهديدات الخطيرة المحدقة بالجهاز المصرفي الناتجة عن الإفراض الهائل للقطاع العقاري منذ بداية التعامل بعملة اليورو التي بلغت أوجها عقب الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨ في تلك الدول المذكورة أعلاه.

الانتشار.فالتكامل لا يشمل ابتداء كل المجالات دفعة واحدة ولكن ينطلق في مجال معين ليعم المجالات الأخرى، مثلما هو الحال بالنسبة للاتحاد الأوروبي حالياً.

وتتعامل ظاهرة التكامل مع نسق مفاهيمي يلزم أطراف العملية التكاملة على استيعابه.ويتعلق الأمر بمفاهيم:التعاون، والتنسيق، والانسجام والإقليمية.فالتعاون (Cooperation)يقوم بتنظيم السياسات الحكومية لخلق اتفاقيات في مجالات معينة ولأهداف محددة، ولا يشترط توفر قيم مشتركة أو مستوى نمو اقتصادي معين.فقد يكون التعاون بين دولة متقدمة ودولة متخلفة،الأولى: تملك التكنولوجيا ورؤوس الأموال،والثانية: تملك المواد الأولية والمواد الخام، الشراكة الأورو-متوسطة النموذجاً.ويمكن إدراج مجلس التعاون الخليجي ضمن المشاريع التعاونية وليس التكاملية؛ لأنه - في تقديرنا- لا يمثل مجموعة متماسكة ومتوافقة تعمل بوصفها كيانا اقتصاديا متكاملًا، وإنما يمثل جهود ست دول منفردة، هي: المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، وقطر، والكويت، والبحرين والعراق.

أما التنسيق (Coordination) فهو عملية تنظيم محكمة متواصلة للسياسات الحكومية عن طريق انتشاره بفعالية في المنظمة الدولية أو الإقليمية لإنشاء برنامج موجه نحو تأمين الأهداف التي لا يمكن تحقيقها إلا مجتمعة.في حين يتطلب الانسجام (Harmony)خلق سياسة تنظيمية منحاذاة تتماشى وبعض القيم المشتركة لأطراف التكامل؛ أي: مدى المحافظة على التكامل هنايةتوقف على مدى صلاحية القيم المشتركة على المستوى الداخلي. وتركز الإقليمية (Regionalism) على التأثير الفعال للمتغيرات الجغرافية على سلوك الأطراف المعنية⁽²⁾، وما للتقارب الجغرافي من دور في تدفق للمعلومات والسلع بين الدول،الاتحاد المغاربي انموذجاً.ويمكن أن يحمل كل مفهوم من تلك المفاهيم مرحلة تمهيدية لبلوغ مرحلة التكامل.

ب- التكامل عملية (مسار) (Process) أم حالة (واقع) (Condition)

ثمة جدال واسع بين منظري التيارات الفكرية للوظيفية حول ما إذا كان التكامل عملية(Integration as a Process) أم التكامل حالة (Integration as a Condition).جدال نابع من الزاوية التي يُنظر منها كل منظر للظاهرة التكاملية،التي من خلالها يعرف التكامل. وبشكل الجدال البناء التحليلي للوظيفية، وأفرز لنا موقفين متناقضين: أحدهما: يشير إلى التكامل بوصفه عملية،والآخر؛ يعبر عن التكامل بوصفه حالة.

أما الموقف الأول الذي ينظر للتكامل بوصفه عملية، فيؤيده أرنست هاس(Ernst Haas)في تعريفه للتكامل بأنه: تلك "العملية التي تتضمن تحول الولاءات والنشاطات السياسية لقوى سياسية في دول متعددة ومختلفة، نحو مركز جديد تكون لمؤسساته صلاحيات تتجاوز صلاحيات الدول الوطنية القائمة"⁽³⁾.

وكان أميتاي إيتزيوني(Amitai Etzioni)على النقيض من موقف هاس،فهو يشاطر الموقف الثاني؛حيث ينظر إلى التكامل بوصفه حالة ناتجة عن امتلاك المجتمع لنخبة سياسية فاعلة،تكون بمثابة الجهاز المقرر داخل المجتمع بمقدورها استعمال

⁽²⁾ Groom "Integration and Disintegration" Artur John Richard Groom & Alexis Heraclites, in: Margot Light & A.J.R. (Eds), International Relations: A Hand Book of Current Theory, London, Frances Printer Publishers, 1985, P. 177. James E. Dougherty & Robert Pfaltzgraff (Eds), Contending Theories of International Relations USA, ⁽³⁾ Harper&Row Publishers, Inc, 1981,P.421. See also: Michael Hodges, "Integration Theory", in: Trevor Taylor (Ed), Approaches and Theory in International Relations, England, Essex, 1978, P. 242. Soren Dosenrode, "Federalism Theory and Neo-Functionalism: Elements for an Analytical Framework", Perspectives of Federalism, Vol.2, issue 3, 2010, P.4

أدوات الإكراه، وتحدد الهوية السياسية للشعب. وهو بذلك يرمي إلى تحقيق التوحيد السياسي (Political Unification) الذي يلي التكامل.⁽⁴⁾

أما كارل دويتش (Karl Deutsch) فجاء برأي توفيق بين الموقفين المتناقضين؛ إذ يعد التكامل عملية وحالة في آن واحد. فهو ينظر للتكامل بوصفه عملية قد يؤدي إلى التكامل بوصفه حالة حينما يتوفر شرط أساسي، هو الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم داخل كل دولة طرفا في التكامل؛ أي: التكامل على المستويين الرسمي (السلطة السياسية الحاكمة) والقاعدي (الجماهير، الرأي العام والمشاركة السياسية). مما يترتب عليه تحقيق الاستقرار والأمن والسلام⁽⁵⁾. ويربط كل من آرثر جون رتشارد قروم (Arthur John Richard Groom) وألكسيس هيروقليدس (Alexis Heraclites) إحداث التكامل بوصفه حالة بمدى توفر شروطه، وبوصفه عملية حينما يكون التكامل يتأرجح بين دول مهيأة للاندماج وتلك التي ترفضه⁽⁶⁾. وهنا يأتي دور العوامل الخارجية كالنخب والقوى الخارجية في الضغط على تلك الدول التي أبدت عدم رغبتها في الإندماج.

بعد استعراضنا لهاته المواقف المتباينة واستيعابنا لها، نضم موقفنا مع رأي دويتش التوفيق، فلا يستطيع المرء أن يفصل العملية (المسار) عن الحالة (الواقع) والعكس صحيح.

٢- التأسيس للتكامل بوصفه موضوعاً ومقاربة نظرية

تعد المقاربات الوظيفية للظاهرة التكاملية حديثة في مجال التنظير للعلاقات الدولية، وتعالج موضوعاً قديماً ألا وهو التكامل؛ إذ ظهرت البوادر الأولى للتنظير في هذا الموضوع إبان فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأصبح في قوالب نظرية متماسكة ممنهجة بعد الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا عقب انقسام العالم إلى كتلتين رأسمالية واشتراكية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي على التوالي. وكانت الدعوة إلى صياغة الظاهرة التكاملية في قوالب نظرية ممنهجة إلى تزايد الاهتمام بالمؤسسات والمنظمات والتكتلات على المستويين الإقليمي والدولي خلال هذه الفترة⁽⁷⁾. أما التأسيس للتكامل بوصفه موضوعاً فيرجع إلى عهد الفتوحات الإسلامية، أين عرفت الدولة الإسلامية علاقات تكامل بالمفهوم المعاصر، والنابعة أساساً من الرغبة في تلبية حاجيات ضرورية لا يمكن تحقيقها فردياً وإنما جماعياً. ومن ثمّ، فإن التكامل بوصفه موضوعاً أسبق منه تنظيراً.

يعتمد الوظيفيون في معالجتهم لموضوع التكامل على مستويين: المستوى الداخلي: دراسة التكامل من خلال المؤشرات والقيم المشتركة (الإعتبرات القطرية) داخل كل وحدة سياسية طرفاً في العملية التكاملية، في حين يتعلق المستوى الخارجي بدراسة التكامل من خلال تأثير النخب والقوى الخارجية (التحديات الخارجية) على الوحدات السياسية لتحقيق التكامل فيما بينها⁽⁸⁾.

Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit, P. 421

(4)

Karl W. Deutsch, Political Community & The North Atlantic Area, Princeton: Princeton University Press, 1957, P. 5, in: Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , P. 422.

Groom & Heraclides, "Integration and Disintegration", in: Light & Groom (Eds), op.cit , P. 174.

(6)

Hodges, "Integration Theory", in: Taylor (Ed), op.cit, P.237. See also: Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit

(7)

, P.418. Also: Groom & Heraclides, "Integration and Disintegration", in: Light & Groom (Eds), op.cit, P. 175.

(٨) عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية الجزائرية، القبة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ٢٠٠٧،

أما وحدة التحليل في معالجتهم لموضوع التكامل، فتتخصص في الفواعل عبر-الوطنية في خضم علاقات التفاعل بين شتى الوحدات السياسية اجتماعيا، واقتصاديا، وسياسا وعسكريا⁽⁹⁾. فجاءت الوظيفية بوصفها محاولة لطرح صيغ بديلة لاستيعاب العلاقات الدولية، وتصويب الإصرار المبالغ فيه من طرف المقاربة الواقعية بتجاوزها فكرة مركزية الدولة الوطنية الويستفالية بوصفها وحدة تحليل أساسية وفاعل وحيد في العلاقات الدولية، وكذا تجاوزها للطبيعة الفوضوية المطلقة للنظام الدولي، حيث تمنح الوظيفية الأولوية للفواعل عبر-الوطنية التي تمثل التكتلات الإقليمية والدولية، وتطرح رؤى مغايرة لمسائل السلام والأمن والاستقرار في العلاقات الدولية⁽¹⁰⁾. أما الوظيفة فهي إحدى أدوات التحليل للوظيفية الأصلية والجديدة. ويمثل ديفيد متراتني (David Mitrany) بمفرده الوظيفية الأصلية (Functionalism)، في حين يمثل أرنست هاس، كارل دويتش، وأميتاي إيتزيوني، وجون غالتينغ (Johan Galtung)، وجوزيف ناي (Joseph Nye) أبرز ممثلي الوظيفية الجديدة (Neo-Functionalism).

ثانيا: التيارات الفكرية للمقاربة الوظيفية

١- الوظيفية الأصلية

يعد ديفيد ميراتني البريطاني الجنسية والروماني الأصل مؤسسا للوظيفية الأصلية، فقد بلور أفكاره بشأنها في الأربعينيات من القرن العشرين. ويعرف التكامل بأنه: "نوع من استقرار لطبيعة التطور الذي تشهده المجتمعات مركزا على الجانب الفني- التقني"⁽¹¹⁾، فمن خلال تعريفه للتكامل يمنح ميراتني الحقل الفني- التقني (التحتي) الأفضلية؛ لأنه حقل منتج ويحقق التطور والتقدم، منتقدا بذلك أي اندماج سياسي (فوقي) إلى درجة اعتبار نظريته الوظيفية، نظرية تقنية وغير سياسية، بل يذهب إلى أبعد من ذلك حينما يقول: "إن تزايد التعقيد في النظم الحكومية أدى إلى تزايد كبير في الوظائف الفنية وغير السياسية التي تواجه الحكومات. ومثل هذه الوظائف لم تؤد فقط إلى زيادة الطلب على الاختصاصيين المدربين على المستوى الوطني، ولكنها أدت دورا في المشكلات الفنية على المستوى الدولي، وإذا أصبح من الممكن إيلاء مثل هذه المشكلات للمتخصصين، وفصل نشاطهم عن القطاع السياسي، فإنه من الممكن والحالة هذه إنجاز التكامل الدولي"⁽¹²⁾.

وهنا يؤكد ميراتني الدور الفعال للمتخصصين التقنيين في الحقل الفني- التقني في نقل التكامل من المستوى الوطني إلى المستوى الدولي من دون إهمال دور الفاعلين السياسيين في عملية الانتقال من مسائل السياسة العليا (High Politics) في الحقل السياسي إلى مسائل السياسة الدنيا (Low Politics) في الحقل التقني- الفني في تدعيم هؤلاء المتخصصين التقنيين وتشجيعهم. وهو ما تؤكد الفرضية الأساسية للوظيفية التي مفادها أن التعاون ينطلق من قضايا السياسة الدنيا الاقتصادية والتقنية التي يمكن فصلها عن قضايا السياسة العليا كالمشؤون السياسية ومسائل الأمن الوطني وتلك ذات الأهمية الأيديولوجية والقيمية⁽¹³⁾.

(9) P.R.Viotti & M.V. Kauppi, International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism and Beyond, USA, Boston: Allyn and Bacon, 1997, P. 211.

(10) , in: Taylor (Ed), op.cit, P. 254. "Integration Theory" Hodges,

(11) جندلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٢.

(12) Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit, PP. 418-419.

(13) ناصف يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥، ص ٢٧٧. أنظر كذلك:

Viotti, & kauppi, op.cit., P. 212.

ما يبرز في وظيفية ميثرائي هو مبدأ الانتشار (Spill-Over) الذي يعني به أن التكامل في حقل تقني واحد سيسهم بدوره في خلق التكامل في الحقول التقنية الأخرى. مما ينتج عنه خلق نشاطات جديدة تؤدي إلى خلق بعض الفرص للتكامل في حقول أخرى، ويعتقد ميثرائي أن هذه النشاطات تكون حافزا قويا نحو تحقيق السلام العالمي مع إمكانية إنشاء مجتمع دولي سلمي خال من الحروب والصراعات عبر قنوات التكامل في المجالات الاقتصادية، وليس عبر توقيع أو إبرام إتفاقيات ومعاهدات ومواثيق بين الدول.⁽¹⁴⁾ وهنا تختلف الوظيفة عن الواقعية التي تركز على الصراع والمنافسة، وتلتقي بالمقابل مع المعيارية في دعوتها نحو تحقيق السلام العالمي من خلال التعاون الدولي ونبذ الحروب والصراعات.

ولترجمة ذلك إلى واقع ملموس، يقترح ميثرائي البناء التدريجي لشبكة من المنظمات الاقتصادية والاجتماعية عبر-وطنية (Supra-national Economic and Social International Organisations)، يركز على تكثيف الاعتماد المتبادل بين الدول وصانعي قراراتها، مع العمل على إقناع الجماهير بأهمية ولائها لهذه المنظمات، وما يترتب عليه من مكاسب حتى تكون على استعداد لتقبل هذا التكامل الإقليمي والتكيف معه.⁽¹⁵⁾ وهذا النوع من التكامل -بحسب ميثرائي- ينجم عنه تقليص دور الدولة وفقدان مفهوم السيادة لقيمتها الفعلية لصالح المنظمات المتخصصة⁽¹⁶⁾.

ونخلص إلى أن وظيفية ميثرائي تعمل على نقل بؤرة التركيز والاهتمام من مسائل السياسة العليا إلى مسائل السياسة الدنيا؛ لأنها تعتقد يقينا بأن أمور الرخاء والرفاهية والتطور تحدث في الحقل التقني- الفني، وليس في الحقل السياسي التي ترى فيه حقلًا غير منتج وغير فعال للظاهرة التكاملية. فلو ركزت الدولة مجهوداتها في الحقل السياسي، فإن عملية التطور ستنقص أو ستضمحل، وكذلك الشأن بالنسبة لمسألة الربط بين الحقلين التقني والسياسي. فوظيفية ميثرائي تمنح بؤرة اهتمامها لدور العامل الاقتصادي في تحقيق التكامل، وترتكز على مبدأ الانتشار لكي يشمل التكامل باقي الحقول التقنية-الفنية.

٢- الوظيفة الجديدة

تعد الوظيفة الجديدة امتدادا ورد فعل على الوظيفة الأصلية في آن واحد. فهي امتداد للوظيفة الأصلية؛ لأن هذه الأخيرة تمثل المرجعية الفكرية للوظيفة الجديدة على مستويات المنهج، والبناء النظري والنسق المفاهيمي ووحدة التحليل. فكلاهما تعتمد في دراستها للتكامل على المنهج الاستقرائي انطلاقا من جزئياتها وصولا إلى كليتها، ومن خصوصياتها إلى عمومياتها. وكلاهما تعتمد على مفهوم التكامل بوصفه عملية وحالة، وعلى مبدأ الانتشار وعلى الكيفيات النظرية للوصول إلى التكامل بين الأطراف المشاركة على المستويين الداخلي والخارجي.

داخليا؛ من خلال توافر القيم المشتركة (التكامل القيمي)، وأهمية العملية التكاملية (المكاسب والفوائد).

وخارجيا؛ من خلال عنصر الإكراه (القوى الكبرى والنخب الخارجية)، متخذة الفواعل عبر-وطنية في إطار التفاعلات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية والعسكرية الشاملة لوحدة التحليل، ومن الوظيفة بوصفها أداة أساسية للتحليل الوظيفي؛ إذ تتمحور الوظيفة الجديدة حول فكرة مؤداها أن الدول تتخلى عن سلطاتها لصالح المنظمات والمؤسسات

⁽¹⁴⁾ Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , P. 420.

⁽¹⁵⁾ Ibid, P. ٤٢٠.

⁽¹⁶⁾ يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٨.

الإقليمية معلنة ولاءها لها. مما يترتب على ولائها إنشاء سلطة سياسية جديدة تتمتع بسلطة القرار إقليمياً إلى غاية بلوغ التكامل مرحلة الانصهار البنوي⁽¹⁷⁾.

أما الوظيفية الجديدة كرد فعل على الوظيفية الأصلية، فتكمن في أنها جاءت على أنقاض الوظيفية الأصلية أشبه ما تكون كانتقاد لها، والذي يمكن حصره في البعد المكاني للتكامل ومؤشراته ودوافعه. فمن حيث البعد المكاني، ففي الوقت الذي لا تقر فيه الوظيفية الأصلية بوجود رقعة جغرافية محددة نتيجة عدم اعترافها بنهاية الدولة أو زوالها، ترى الوظيفية الجديدة بأن علاقات التكامل لها تأثيرات واضحة على السيادة، ولاسيما التنظيم الفيدرالي الذي تطمح إلى تحقيقه الوظيفية الجديدة؛ لأن درجة التكامل هنا تكون عالية، ومن ثمّ إمكانية تحقيق مكاسب وفوائد جمة للأطراف المعنية يعد أمراً وارداً⁽¹⁸⁾؛ لذلك فهي تركز على التكامل الأوروبي، بل إنها تعد أول نظرية كبرى للتكامل الأوروبي⁽¹⁹⁾. أما على مستوى مؤشرات التكامل، فإن تصنيف وظيفية ميثرائي للمسائل إلى سياسة عليا وسياسة دنيا لا يتماشى ورؤية كل دولة طرفاً في التكامل. فضلاً عن ذلك، فإن الوظيفية الأصلية لم تحدد الكيفية التي يبدأ بها التكامل، لو لم تكن هناك - في نظر الوظيفيين الجدد - إرادة سياسية فعلية⁽²⁰⁾ (Real Political Will) ناتجة عن تحمس صنّاع قرار الدول المعنية. وأهمية النتائج المترتبة على التجربة التكاملية فيما بينها⁽²¹⁾، التي يصعب تحقيقها فردياً.

نستنتج مما سبق ذكره أن الوظيفية الجديدة هي امتداد ورد فعل على الوظيفية الأصلية في الوقت نفسه، وإذا كانت الأصلية اعتمدت كثيراً على إسهامات ميثرائي إلى درجة ارتباطها باسمه، فإن الوظيفية الجديدة ركزت كثيراً على إسهامات الأمريكي هاسالذي رفض فكرة فصل القضايا التقنية عن السياسية كما فعل ميثرائي. غير أن هذا لا يعني البتة أن إسهامات بقية المفكرين الوظيفيين الجدد كإيتزيوني ودويتش وغالينغ وناي وغيرهم ليست قيمة علمياً، بل إن كل الإسهامات تمثل مرجعية فكرية لا يستهان بها للظاهرة التكاملية أينما وجدت، بخاصة على المستوى الأوروبي؛ إذ تشكل الوظيفية الجديدة بزعامة هاس البناء الفكري للمجموعة الأوروبية سابقاً والإتحاد الأوروبي حالياً من خلال خلقها مؤسسات إقليمية لخدمة التكامل الاقتصادي بين أعضائها⁽²²⁾.

ومن أجل استيعاب فحوى الوظيفية الجديدة، يجدر بنا التطرق إلى مختلف إسهامات مفكرها؛ إذ يعد هاس - الألماني الأصل والبريطاني المنشأ - مؤسس الوظيفية الجديدة في عام ١٩٥٠، ويعرف التكامل السياسي بأنه: "عملية تحاول بمقتضاها مجموعة من الوحدات السياسية تحويل ولاءاتها وأهدافها ونشاطاتها السياسية، الاجتماعية والاقتصادية إلى مركز أو وحدة أوسع واشمل التي تمتلك مؤسساتها أو تهدف إلى امتلاك شرعية قانونية على الدولة الوطنية المعنية"⁽²³⁾، ففي تعريفه للتكامل بوصفه عملية يشبهه بتلك الإستراتيجية التي تتبناها الدول المشاركة في هذه العملية لبلوغ أهداف معينة تتلخص عادة في بناء السلم الدولي، وتخفيف حدة الصراع بين الدول، وتحقيق الرفاه، وهي أهداف متصلة بإنشاء المنظمات الدولية

Viotti & Kauppi, (Eds), op.cit., P. 211.

⁽¹⁷⁾ المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ ، انظر كذلك:

, in: Light & Groom (Eds), op.cit, PP. 178-179. See ⁽¹⁸⁾ also: "Integration and Disintegration" Groom & Heraclites, Viotti & Kauppi (Eds), op.cit , P. 214.

Dosenrode, Op.Cit, P.4 ⁽¹⁹⁾

⁽²⁰⁾ يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٨.

, in: Taylor (Ed), op.cit , P. 245.

"Integration Theory" Hodges, ⁽²¹⁾

⁽²²⁾ يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩.

Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit, P.421. See also: Viotti & kauppi (Eds), op.cit, P.212. Also: Dosenrode, ⁽²³⁾ op.cit, P.4.

والإقليمية في سياق ما يعرف بالحوكمة العالمية⁽²⁴⁾ (Global Governance)، والتي هي فكرة قديمة جديدة طرحها أنصار الوظيفة نظراً لتركيزها على الدراسة الأميركية لشروط الاندماج والتكامل.

وخلافاً للواقعية التي تنظر للتفاعلات الدولية نظرة صفرية (Zero-Sum Game)، فإن الوظيفة الجديدة تنظر للتفاعلات الدولية نظرة غير صفرية (Non Zero-Sum Game) بكيفية تمكن من خلالها الفواعل السياسية عبر-الوطنية من تحقيق مكاسب⁽²⁵⁾. وبما أن التكامل يسعى إلى تحقيق الرفاه، فإن هاس ينتقد ميثرائي في عدم اهتمامه بعنصر القوة؛ لأن القوة - في اعتقاده - غير منفصلة عن الرغبة في تحقيق الرفاه⁽²⁶⁾.

وهكذا، يخضع هاس أية عملية تكاملية لمعدلات الكسب والخسارة من الأطراف المشاركة في العملية، فكلما توقع أي طرف بأنه سيحصل على مكاسب يزيد من نشاطه في التعامل مع أطراف أخرى. وطالما أن الوظيفة الجديدة تشكل بناءً نظرياً محكماً للمجموعة الأوروبية⁽²⁷⁾، فإن هاس يسلم في دراسته لهيأة الصلب والفحم الأوروبية بأن مدى نجاح التكامل يتوقف على المكاسب التي تجنّبها القوى الرئيسة في العملية التكاملية في القطاعين الخاص والعام⁽²⁸⁾. ويرى هاس بأن المصالح الأناثية للطرف الساعي للتكامل تؤدي دوراً بارزاً في استقطاب أو إبعاد طرف آخر. فمثلاً محاولة فرنسا إبعاد بريطانيا من السوق الأوروبية المشتركة ناتج عن مصلحة فرنسا الأناثية، بحيث لم تنضم بريطانيا إلى السوق إلا بعد وفاة الجنرال شارل ديغول (Degaule Charles) عام 1972⁽²⁹⁾.

ما يلفت الانتباه في عملية التكامل عند هاس هو مسألة التسييس التدريجي (Gradual Politicization). فعملية التكامل تقتصر في البداية على الأهداف التقنية-الفنية، ثم بعد إنهاء العملية تتحول المهمة إلى صناع قرار الدول المشاركة في عملية التكامل. وكأن التكامل التقني- الفني يبدأ في تسييس نفسه. ومن هنا يكون الانتقال من المجال التقني- الفني إلى المجال السياسي⁽³⁰⁾. فبأخذ التكامل في التوسع ليشمل القطاعات الأخرى. وهذا ما يسمى بمبدأ الانتشار الذي يعد جوهر المقاربة الوظيفية الجديدة. وهو مبدأ يقوم على فرضية أساسية مفادها أن المحاولات الأولى للتكامل تكون في الحقل الاقتصادي لتنتشر - فيما بعد - لتشمل بقية الحقول؛ أي: إن التكامل السياسي يلي التكامل الاقتصادي استناداً لهاته الفكرة، ويحدد الموظفون الجدد علاقة التواصل بين الانتشار الوظيفي الذي يهتم بالسياسة الدنيا والانتشار السياسي الذي يهتم بالسياسة العليا، ولكنهم لم يوضحوا النوع الأكثر تأثيراً على عملية التكامل.

من أهم فوائد مبدأ الانتشار إنشاء مؤسسة عبر-وطنية جديدة وتدعيمها⁽³¹⁾. فلو افترضنا مثلاً اتفاق الأطراف المشاركة في العملية التكاملية على بناء شركة نفطية، فإن الفتي هو من يقوم بها في البداية، من حيث قيامه بتحديد نفقات الشركة. لكن

⁽²⁴⁾ يشير مفهوم الحوكمة العالمية إلى مفاهيم نشر وتعزيز ثقافة السلام العالمي أساسها حقوق الإنسان والرفاهية الاقتصادي انطلاقاً من فكرة الوحدة المتعددة. وظهرت جلياً في عقد التسعينيات من القرن العشرين عقب الانهيارات الاقتصادية والأزمات المالية التي شهتها دول آسيا وأمريكا اللاتينية.

⁽²⁵⁾ Viotti & Kauppi (Eds), op.cit , P. 212.

⁽²⁶⁾ Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , P. 431

Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , P. 431.

⁽²⁷⁾ يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩. أنظر كذلك:

⁽²⁸⁾ Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , PP. 430-431.

⁽²⁹⁾ جيمس دوفرتي وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: د/وليد عبد الحي، الكويت، كاظمة للنشر، ١٩٨٥، ص ٢٨٩.

⁽³⁰⁾ Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , PP. 431-432.

The ", in: Taylor (Ed), op.cit., P.246. Also: Erik Oddvar Erickson & John Erik Fossum, (31) "Integration Theory" Hodges, , http://www.arena.uio.no/publications/wp99_9.htm. See Also : "European Union and Post-National Integration , in : Taylor (ed), op.cit , P. 246." Integration Theory" Hodges,

بعد انتهاء المشروع تنتقل مهام التصدير والاستيراد والتسعير إلى صانع القرار السياسي؛ إذ يبدأ هذا الأخير في تكييف نفسه مع هذا المشروع والذي يبدأ يُسبب نفسه بنفسه.

وفي دراسته لمنظمة العمل الدولية طوّر هاس مبدأ الانتشار واقترب بالتحليل الوظيفي لنظرية النظم لمعرفة المدى الذي يمكن أن تتجاوزه هاته المنظمة؛ لإحداث تغيير في النظام الدولي الذي افترضه بأنبوب اختبار، يضم بداخله المدخلات (Inputs) والمخرجات (Outputs). تتمثل المدخلات في السياسات الحكومية، والمخرجات في قرارات المنظمات الدولية والقواعد القانونية الدولية. وهاته المخرجات توجه بوصلة النظام الدولي سواء نحو الاندماج أو التفكك. فإذا كانت المخرجات تعبر عن الرفض، فهذا مؤشر عن التفكك، أما إذا كانت تعبر عن النجاح فتكون مؤشرا عن الانتشار والتعميم، ومن ثمّ زيادة الميل وتكثيف التوجه نحو التكامل⁽³²⁾. علما أن التعميم عند هاس لا يحدث آليا، ولكنه يرتبط بالإرادة السياسية لدى الأطراف ومدى استعدادها للتكيف مع الواقع الجديد⁽³³⁾.

وفي رأي هاس أن تعميم التكامل الاقتصادي إلى تكامل سياسي يعتمد على ثلاث مجموعات من المتغيرات، هي: المتغيرات القاعدية، ومتغيرات الاتحاد الاقتصادي والمتغيرات الحركية. أما المتغيرات القاعدية؛ فتشمل: حجم الوحدات، والتعددية الاجتماعية داخل الوحدات السياسية، ودور النخب ودرجة التفاعل بين الوحدات. في حين تضم متغيرات الاتحاد الاقتصادي، حجم السلطة المفوضة، ومستوى المشاركة في أعمال الحكومة وأهدافها. وتحتوي المتغيرات الحركية على عملية اتخاذ القرار، ودرجة التفاعل بين الوحدات السياسية بعد التكامل، ومستوى قدرة الحكومات على التكيف في مواجهة الأزمات⁽³⁴⁾.

بعد دراسته المستفيضة لمبدأ التعميم من التكامل الاقتصادي إلى التكامل السياسي من خلال هذا الثالوث من المتغيرات، توصل هاس إلى نتيجتين: الأولى؛ تتمثل في أن أوروبا الغربية وتلها أمريكا اللاتينية هما المنطقتان اللتان تتوفر فيهما اغلب هذه المتغيرات. أما النتيجة الثانية؛ فيرى فيها هاس أن حقوق الإنسان هي من المسائل المهمة التي تكون فيها عملية التعميم والانتشار أنجح وأفضل. فلا يرى ضرورة في التركيز الزائد على ما يسمى بالنقابات العمالية⁽³⁵⁾.

باختصار، فإن وظيفية هاس الجديدة تركز على ثلاثة عناصر أساسية، هي، أولا: عنصر الولاء للتنظيم الدولي إقليميا كان أو دوليا لإنشاء العملية التكاملية، وثانيا: عنصر التسييس التدريجي من خلال الانتقال من المسائل التقنية-الفنية إلى السياسية. فعلى عكس ميثرائي، يجمع هاس بين المجالين. أما العنصر الثالث فيتمثل في مبدأ التعميم الذي يعني أن التكامل في حقل يؤدي إلى التكامل في الحقول الأخرى، مثلما هو الحال بالنسبة للاتحاد الأوروبي الذي انتقل من الحقل الاقتصادي إلى الحقل السياسي من خلال توحيد العملة، وإنشاء برلمان أوروبي موحد، وسعيه نحو إقرار دستور موحد، لينتقل بعد ذلك التكامل ليشمل الحقل العسكري من خلال رغبة أطرافه في إنشاء ما يسمى بإستراتيجية الدفاع الأوروبي المشترك.

وبالاستناد إلى أعمال هاس، طور جوزيف ناي نموذجا جديدا للوظيفية الجديدة، يعتمد أساسا على العملية الميكانيكية (Mechanisms Process) والاندماج المحتمل (Potential Integration) في سياق بناء نظري محكم، ملخصا إياها في

⁽³²⁾ Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , PP. 432-433.

⁽³³⁾ Ibid, P. ٤٣٤.

⁽³⁴⁾ دوفرتي و بالتسغراف، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٨.

⁽³⁵⁾ المصدر نفسه ، ص ٢٨٩.

ميكانيزمات مبدأ الانتشار، وتكثيف التنقلات في مجالات التجارة، ومساهمة النخب البيروقراطية الوطنية أو المحلية، والهوية والأيديولوجيا بوصفها قيمًا معيارية ضرورية للتكامل الإقليمي، وإقحام النخب والقوى الخارجية في العملية التكاملية⁽³⁶⁾.

وبالموازاة مع هذه الميكانيزمات، يضع ناي شروطاً لتحقيق التكامل الإقليمي، يحصرها في: التكافؤ بين الوحدات السياسية المشاركة في التكامل من حيث المستويات الاقتصادية، ومدى فعالية النخب في التكامل، والتعددية السياسية ودورها في تدعيم أطراف التكامل وتمتينها. وهنا يميز ناي بين التجربة التكاملية في أوروبا الغربية وتلك في العالم الثالث، فيرجع نجاح الأولى إلى توفير هذا الشرط، وفشل الثانية لغيابه. أما شرط قدرة الأطراف على التكيف والاستجابة فهو مرهون ببلوغ مستوى استقرار داخلي عالٍ للأطراف المساهمة في عملية التكامل⁽³⁷⁾.

يوفر ناي للتكامل بميكانيزماته وشروطه إطاراً عملياً للمقارنة بين تجارب التكامل في الدول المتقدمة وتلك في الدول المتخلفة. وإطاراً تقييمياً عن مدى إقبال أو إقدام الدول للتكامل باتجاه الفيدراليات. وكذا حزمة فرضيات أساسية تصب كلها في قالب إستراتيجية تفعيل العملية التكاملية.

تأسيساً لذلك، قام ناي بتحليل الأدوار التي تؤديها مختلف المنظمات الإقليمية والجهوية، مثل: منظمة الدول الأمريكية، وجامعة الدول العربية والمجموعة الأوروبية الاقتصادية سابقاً، والسوق المشتركة لأمريكا الوسطى، ومجموعة إفريقيا الشرقية. وتوصل بعدها ناي إلى نتيجة مفادها أن المنظمات الاقتصادية الإقليمية ليس بمقدورها أن تتطور وتتحوّل إلى وحدات جديدة؛ أي: من المستوى الإقليمي إلى المستوى الدولي، ولكنها تسهم في خلق جزر للسلام "Islands of Peace" في العالم⁽³⁸⁾. وأنها تزيد في تمكين الروابط الوظيفية التي تطور العلاقات بين الدول الأعضاء فيها وتعمل على تحسينها.

أما إيتزيوني؛ فيعرف المجتمع السياسي المتكامل بأنه: ذلك المجتمع الذي يستحوذ على نخبة سياسية يكون بمقدورها استعمال شتى وسائل وآليات العنف أو الإكراه من طرف قوة عنف معتبرة (جيش - شرطة - مخابرات... إلخ). وتكون بمثابة الجهاز المقرر داخل المجتمع، وتحدد الهوية السياسية للشعب، وتذوب في هذا المجتمع كل الفوارق السياسية الموجودة بين الوحدات المختلفة لتحقيق التوحيد السياسي الذي يلي التكامل⁽³⁹⁾. ما يعني أن إيتزيوني يتناول في دراسته للوظيفية الجديدة النتائج المترتبة عن التكامل، معتمداً على بعض النماذج التكاملية لتشكيل وحدات سياسية عبر- وطنية، ممثلة في:⁽⁴⁰⁾

- إتحاد الوست أنديز (1962-1958) (The West Indies Federation)

- إتحاد الشمال (1964-1953) (The Nordic Associational Web)

- الجمهورية العربية المتحدة (1961-1958) (The United Arab Republic).

- السوق الأوروبية المشتركة (1964-1958) (The European Economic Community)

وفي اعتقادها أنه لكي يتم التوحيد السياسي لابد من توفير مجموعة من المؤشرات، منها: الاعتماد المتبادل بين الأطراف المعنية وقوى التوحيد الداخلية أو الخارجية بحسب دوافع التوحيد. فإن كانت من أجل تحقيق مكاسب نفعية، فهنا تكون قوى

⁽³⁶⁾ Dougherty & Pfaltzgarff (Eds), op.cit , PP. 439-441. See also: Erickson & Fossum, op.cit

⁽³⁷⁾ Dougherty & Pfaltzgraaff (Eds), op.cit , PP. 441-442.

⁽³⁸⁾ جندي، مصدر سابق ذكره، ص ٢٦٧

⁽³⁹⁾ Dougherty & Pfaltzgraaff (Eds), op.cit , P. 421.

⁽⁴⁰⁾ Ibid, P. ٤٢٨

التوحيد داخلية؛ أي: بين أطراف التوحيد. أما إذا كان التوحيد بالإكراه فيكون هنا دور القوى الخارجية، فضلا عن مبدأ الانتشار شأنه في ذلك شأن بقية الموظفين، بخاصة منهم: ميطراني ودويتشوهو بذلك يدرس التوحيد على المستويين الداخلي والخارجي.

اعتمادا على تلك المؤشرات والنماذج، يرى إيتزيوني أن هناك أربع مراحل لا بد من اتباعها لبلوغ التوحيد السياسي، هي: (41) مرحلة ما قبل التوحيد، ومرحلة التوحيد من خلال دراسة قوى التكامل، ومرحلة التوحيد من خلال قطاعات التكامل، ومرحلة انتهاء عملية التوحيد السياسي.

ومن خلال دراسته لتلك النماذج، توصل إيتزيوني إلى نتيجتين: الأولى؛ هي أن فشل اتحاد الوست أنديز يرجع إلى عدم استخدام بريطانيا بوصفها نخبة أو قوة خارجية لنفوذها من أجل تطوير اتحاد فيدرالي يتماشى وقوة جامايكا وترينيداد بالمقارنة مع بقية الاعضاء الضعفاء، في حين كان التأثير الأمريكي منسجما مع نشوء البناء الأوربي وتطوره (42)، بخاصة أنه جاء بعد مشروع مارشال والفترة التي كانت فيها أوروبا الغربية منطقة نفوذ للولايات المتحدة الأمريكية. والثانية؛ هي أنه على الرغم من الدور الفعال الذي تؤديه النخبة الخارجية في عملية التوحيد بين الأطراف المعنية، غير أنها قد تشكل عائقا أحيانا أمام النخب الداخلية للتوحيد. ولعل مشروع مارشال الأمريكي مثال ساطع على ذلك. فقد اعتمدت الولايات المتحدة على المشروع لتمويل أوروبا الغربية وبناءها؛ بغية تحطيم الحركة اليسارية داخل دول أوروبا الغربية، تطبيقا لسياسة الاستقطاب الدولي بين القوتين العظميين إبان الحرب الباردة من أجل كسب أكبر عدد ممكن من مناطق النفوذ في العالم لتحقيق الهيمنة العالمية؛ أي: أمركة العالم.

على ضوء هاتين النتيجتين، استنتج إيتزيوني أنه بقدر ما كانت هناك نخب قليلة وفاعلة، بقدر ما يزيد من فرص التكامل وتقويته مع ضرورة توافر عناصر المنفعة والإكراه والاتصال الشامل. وأن قناعة الانضمام تتوقف على مدى شعور الأطراف المشاركة بأهمية النتائج. فكلما شعر الأطراف بأن توحيدهم سيحني لهم مكاسب وفوائد، سيدفع بأطراف أخرى إلى طلب الانضمام، مثل: الاتحاد الأوروبي حاليا وتوسيعه ليشمل بعض دول أوروبا الشرقية وسعي تركيا الحثيث للانضمام إليه (43).

غير أن كارل دويتش يعد من أكثر الموظفين الجدد استعمالا لنظريتي الاتصال والنظم. فهو يحاول إبراز أهمية عنصر الاتصال في العلوم الاجتماعية، بل يدعو كل علماء الاجتماع إلى ضرورة التزود به. فعنصر الاتصال يعمل على توثيق الصلة بين الافراد على المستوى المحلي والوحدات السياسية على المستوى الدولي، فتنشأ علاقات متماسكة تكون بادرة نحو علاقات تكامل فيما بينها. غير أن التماسك المتبادل المتزايد قد لا يؤدي إلى التكامل، إلا إذا كان مرافقا بالاستجابة المتبادلة (Mutual Response) التي تعني الرد المقنع لمجموعة من طلبات الفاعلين السياسيين المساهمين في التكامل. وتقتضي توفير شرط مهم هو عنصر الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكومين. عندئذ يمكن معالجة المشاكل المطروحة وديا وسلميا من دون اللجوء إلى استعمال القوة والعنف. وهنا يلتقي دويتش مع ميطراني في دعوته لتحقيق مؤسسات كفيلة بضمان السلم والأمن والاستقرار. ويجعل دويتش من علاقات الولايات المتحدة مع دول أمريكا الشمالية مثلا ساطعا، حيث تطورت إلى علاقات تكامل في سياق ما أصبح يعرف بالنافتا. فيقدر أهمية المطالب تكون الاستجابة لها إيجابية وبشكل سريع، وتتماسك المجموعة أكثر. أما إذا كان العكس، فسيؤدي ذلك إلى عدم الاندماج مثلما حدث بالنسبة للحكم البريطاني في إيرلندا في

(41) دوفرتي و بالتسغراف، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٧٩-٢٨٠.

(42) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(43) Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit , PP. 429-430.

القرن التاسع عشر⁽⁴⁴⁾. وهنا يربط دويتش عنصر الاتصال بتاريخ العلاقات بين الدول المعنية بالتكامل. فكلما تميزت هاته العلاقات بالود والتعاون تفاعلت قنوات الاتصال، ومن ثمّ تدفق المعلومات فيما بينها والعكس صحيح.⁽⁴⁵⁾ فالعلاقات الودية تعمل على تمكين الروابط والأواصر بين الدول وتزيد من رغبة وإلحاح الأطراف نحو التكامل. وتكون الوحدات السياسية المتاخمة لبعضها أوفر حظا في مسألة تدفق الاتصالات والمعلومات فيما بينها من تلك التي تقع في مواقع جغرافية متباعدة⁽⁴⁶⁾. وهنا يبرز دور العامل الجغرافي في تحقيق التكامل بين الوحدات السياسية من خلال عنصر الاتصال.

إن وظيفة دويتش تعتمد على فكرة أساسية مفادها أن زيادة تدفق التنقلات والاتصالات تحدد درجة الاعتماد المتبادل بين الوحدات السياسية المتكاملة، مما يؤدي إلى تماسكها أكثر فأكثر وديمومة العملية التكاملية فيما بينها⁽⁴⁷⁾. وبرزت منهجيتها في دراسته لمنطقة شمال الأطلسي محليا؛ لأنه -حسبه- كل ما يطبق محليا، يمكن تطبيقه دوليا. فهناك تشابه بين عمليتي التكامل على المستويين المحلي والدولي⁽⁴⁸⁾. ففي دراسته يطرح دويتش نموذجين لبلوغ أمن المجتمعات، هما: نموذج الأمن الموحد (Common Security) ونموذج الأمن التعددي (Pluralistic Security). أما شروط النموذج الموحد، فيلخصها دويتش في:⁽⁴⁹⁾ الانسجام المشترك في القيم الرئيسة، ونمط حياة متميز، وضمان المنفعة المشتركة، وزيادة ملموسة في القدرات الإدارية والسياسية، ونمو اقتصادي كبير-على الأقل- لبعض الوحدات السياسية المشاركة، وتطور ما يسمى بمنطقة المركز (Center) التي تتجمع حولها المناطق المحيطية (Peripheral Zones) (بمفهوم المنظور النيوماركسي Neo-Marxism Paradigm)، وعدم انقطاع حلقات الاتصال الاجتماعي جغرافيا، وزيادة قاعدة النخبة السياسية، وتعبئة الأفراد في المجالات السياسية، وتعدد جوانب الاتصال والتعامل بين الوحدات والأفراد.

أما شروط نموذج الأمن التعددي، فتتمثل عنده: باتساق القيم بين صناعات القرار في مختلف الدول المشاركة، وقدرة صناعات القرار على التنبؤ المشترك لسلوك بعضهم بعضاً، والقدرة على الاستجابة المتبادلة والسريعة للمشاكل والقضايا التي تواجهها بالطرق السلمية.

بعد دراسته توصل دويتش إلى تحديد أسباب تمزق وتفكك التجارب التكاملية وتفككها، وجرى للإمبراطورية الهنغارية-النمساوية أو الاتحاد الإنجليزي-الإيرلندي، حيث اختصرها في تنامي الفوارق اللغوية والعرقية (الهوية)، وعدم فعالية النخب السياسية الحاكمة فيها، فضلا عن معاناتها من ركود اقتصادي مزمن. وبالمقابل هناك بعض الدول تمكنت من تحقيق نموذج الأمن التعددي كالولايات المتحدة وكندا وبريطانيا، مشيرا إلى أن الشرط الأساسي للتكامل يكمن في تطوير عنصر الاتصال بين الدول المعنية، ويؤيده في ذلك جوزيف ناي⁽⁵⁰⁾. ومهما يكن، فإن دويتش يركز في دراسته للتكامل على عنصر الاتصال من خلال الاعتماد المتبادل بين الدول المعنية والتقارب الجغرافي الذي يزيد من تدفق المعلومات والاتصالات فيما بينها، ومن ثمّ ديمومة النموذج التكاملي بينها.

Taylor, op.cit, PP. 243-244. ⁽⁴⁴⁾

Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit, P. 424. ⁽⁴⁵⁾

Taylor, op.cit, P.244. See also: Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit, P.425. Also: Dosenrode, op.cit, P.5 ⁽⁴⁶⁾

, in: Taylor (Ed), op.cit, P. 245. ⁽⁴⁷⁾

"Integration Theory" Hodges, Dougherty & Pfaltzgraff (Eds), op.cit, P. 425. ⁽⁴⁸⁾

Ibid, PP.425-426 ⁽⁴⁹⁾

Idem, P. 427 ⁽⁵⁰⁾

وجاءت دراسة جون غالتينغ بوصفها انتقاداً للمقاربات الوظيفية السابقة بعامه، ووظيفية ميثرائي الأصلية بخاصة؛ إذ يعرف التكامل بأنه: " العملية التي يشكل فيها طرفان أو أكثر طرفاً واحداً... وعندما تنتهي عملية التشكيل تكون أمام حالة تكامل، وبالمقابل إذا انقسم طرف إلى طرفين أو أكثر فإنه عند انتهاء حالة الانقسام تكون أمام حالة تفكك أو انحلال".⁽⁵¹⁾

يسعى غالتينغ في تعريفه أن يبين أن التكامل يعتمد أساساً على التماسك بين الأجزاء (الأطراف) والكل (التكامل)، مبرزاً فيه دور الوظيفة بوصفها أداة تحليل لوظيفيته. فحينما يؤدي كل طرف وظيفته يحدث نوع من التوازن بين كل الأطراف الذي ينجم عنه بلوغ عملية التكامل تمامها. ويضع غالتينغ ثلاثة نماذج أساسية، هي: نموذج التكامل القيمي، ونموذج تكامل الأطراف، ونموذج التكامل التبادلي بين الأجزاء والكل.⁽⁵²⁾

أما نموذج التكامل القيمي؛ فينقسم على شكلين: شكل التماثل في القيم على اعتبار أن أطراف التكامل لهم مصالح متجانسة، والشكل السلبي أو التسلسل القيمي (عملية ترتيب القيم إلى عليا، وسطى وسفلى)، حيث تجسد هذا النموذج في إطار الجمهورية العربية الموحدة بين مصر وسوريا. فهناك قيم مشتركة بين الدولتين التي تتمثل في: حرية، وحدة، اشتراكية.

أما فيما يتعلق بالتسلسل القيمي فليس هناك توافق في اختيار القيمة العليا، وحدة بالنسبة لسوريا وحرية بالنسبة لمصر. وهو الاختلاف الذي كان أحد الأسباب الرئيسة لفشل الوحدة. فلو كان تطابق بين الدولتين في اختيار القيمة العليا لما أدى ذلك إلى تفككها. وعلى غرار نموذج التكامل القيمي، ينقسم نموذج تكامل الأطراف على شكلين: الأول؛ يتمثل في تشابه الأطراف في التركيبة السياسية، والاقتصادية والديمقراطية. أما الثاني؛ فيتمثل في ترسيخ وتكثيف الاعتماد المتبادل بين الأطراف في الحقوق السياسية، والاقتصادية والثقافية. والنقطة الجديرة بأن تثار هنا هي: أن نموذج تكامل الأطراف صحيح نظرياً؛ لأن القيم المشتركة والتشابه في التركيبة السياسية، والاقتصادية والديمقراطية بين طرفين أو أكثر تسهل عملية التكامل، ولكن عملياً ليس صحيحاً في كل الحالات. فلو أخذنا دولتين مثل: العراق وسوريا، فإنهما يشتركان في مقومات عديدة: الحزب الحاكم نفسه (حزب البعث)، اللغة (العربية) نفسها، الدين (الإسلام) نفسه، الرقعة الجغرافية نفسها (الخليج العربي)، والانتماء العرقي نفسه. وعلى الرغم من ذلك، تتميز العلاقات بينهما خلال عهدي الرئيسين صدام حسين وحافظ الأسد بالتوتر والعداء الشديدين؛ لذلك فالقول بوجود بعض المقومات المشتركة يؤدي إلى التكامل غير صحيح في كل الحالات، بخاصة في ظل الوضع الدولي الراهن. ولعل توسيع الإتحاد الأوروبي نحو دول أوروبا الشرقية أسطع مثال على ذلك.

أما نموذج التكامل التبادلي بين الأجزاء والكل؛ فينحصر في عنصرين أساسيين: عنصر الولاء للوحدة الذي يجب أن يصدر عن قناعة، ويتمثل في الاندماج في تحالفات أو توزيع الموارد من الأجزاء إلى الكل، وهو ما يسمى بالمدخلات. أما العنصر الثاني فيتمثل في التكامل التوزيعي الذي يتعلق بالمنتجات؛ إذ تحصل دول التكامل على أسواق ومكاسب اقتصادية وعلى مستوى معيشي ممتاز.⁽⁵³⁾

في الواقع أن التكامل لا يرتبط بالضرورة بأي نموذج من تلك النماذج، بل يرتبط بمقومات الأطراف والبيئة التي يعملون فيها. فحينما تتطابق هذه المقومات تكون عملية التكامل قد بلغت تمامها. وهنا تميز دراسة غالتينغ بين ثلاثة أنماط من التكامل: تكامل إقليمي، وتكامل تنظيمي، وتكامل مؤسسي. فالتكامل الإقليمي؛ يفسح المجال واسعاً للتكامل التنظيمي أو

⁽⁵¹⁾دوفرتي و بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٧٢-٢٧٣.

⁽⁵²⁾المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

⁽⁵³⁾جندلي، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٥٩-٢٦٠.

المنظمتي بوصفه نتيجة للطلب على مزيد من المخرجات. وعملية الانتقال من التكامل الإقليمي إلى التكامل المنظمتي تتم حينما يوجد إقليم مشترك بين الأطراف، مما يفرض توفير وظائف ومصالح مشتركة، يترتب عليها إقرار تنظيمات مشتركة. وبالمقابل، فإن التكامل المؤسسي يقود إلى التكامل الإقليمي بسبب تنوع المؤسسات. ومع ذلك، فإن الأنماط الثلاثة للتكامل يمكن أن تنجز في آن واحد⁽⁵⁴⁾.

على ضوء دراسته للظاهرة التكاملية، استنتج غالتينغ بأن المجتمع الدولي يميل نحو التكامل المؤسسي والتنظيمي أكثر منه نحو التكامل الإقليمي. لكن التكتلات الاقتصادية في ظل العولمة (Globalization) تدحض ما توصل إليه غالتينغ من نتائج، بحيث إن هذه التكتلات الإقليمية وليست دولية فتكتلات النافتا (North American Free Trade Agreement) ((NAFTA)) الاتحاد الأوروبي (European Union)، الآسيو-باسيفيكي (ASEAN)، الاتحاد المغربي، كلها تصب في قالب التكامل الإقليمي.

ثالثا- مدى تكيف التيارات الفكرية للوظيفية مع البيئة الدولية لما بعد الحرب الباردة

أثبتت التيارات الفكرية للمقاربة الوظيفية- ولو بدرجات متفاوتة ومتباينة- مواكبتها للتحويلات الدولية التي أفرزتها نهاية الحرب الباردة، بخاصة في ظل توجه الوحدات السياسية نحو التكتلات الاقتصادية فيما بينها أكثر من أي وقت مضى⁽⁵⁵⁾. وأضحت الوظيفية الأصلية موضوع النقاش بعدما أعيد طبع كتابات متراني، بخاصة أن متراني كان يهدف إلى تحقيق السلام والرفاهية وتعظيم المكاسب المتوخاة من تزايد الثروة والمشاركة الواسعة من خلال السماح بالتدفق الحر للسلع والخدمات، وتنقلات الأشخاص والمعلومات والأفكار عن طريق التنظيمات عبر-وطنية⁽⁵⁶⁾. وهي مسائل أصبحت في متناول الدول المتكتلة اقتصاديا وعسكريا في ظل العولمة.

لكن أنصار الوظيفية لم يتمكنوا من التنبؤ بالتحويلات الدولية التي وقعت في الفترة ما بين 1989 و 1991، والمتمثلة في: سقوط جدار برلين، وتفكك منظومة دول أوروبا الشرقية، وانهار الاتحاد السوفيتي. فإذا كانت الوظيفية بوصفها مقاربة نظرية جزئية قد تأقلمت مع تلك التحويلات⁽⁵⁷⁾، فإن فشلها في التنبؤ بها لم يؤهلها؛ لأن تكون نظرية عامة للعلاقات الدولية، ولم يمكنها من التنبؤ بالتغير الذي حدث على مستوى التكامل الجهوي على إثر سقوط جدار برلين⁽⁵⁸⁾، وتحوله إلى تكامل إقليمي بعد توسيعه، ليأخذ بعدا جغرافيا، بعدما كان جيو-سياسيا من جهة. وأن تفكك الاتحاد السوفيتي السابق بوصفه نموذجا للتكامل الفيدرالي يمثل ضربة قوية للمقاربات الوظيفية من جهة أخرى. وانعكست نهاية الحرب الباردة إيجابا على التكامل الأوروبي حيث توسيعه شرقا، مما يتطلب من أنصار الوظيفية الجديدة مراجعة بعض مؤشرات التكامل ومتغيراته ومستوياته. ومع ذلك لا يمكن الحديث راهنا أو حتى مستقبلا عن اتحاد أوروبي بوصفه لاعبًا فعالا في ظل

⁽⁵⁴⁾ المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

Antje Herrberg, "The Post-Cold War Order and The Search for New Research Methodologies for The ⁽⁵⁵⁾ Political Scientist", <http://www.ioL.ie/mazzoldi/toolsforchange/postmet/postcold>. See also: Isabelle Grunberg & Thoams Risse-Kappen, "A Time of Reckoning Theories of International Relations and The End of The Cold War", in : Pierre Allan & Kjell Goldmann (eds), the End of the Cold War :Evaluating Theories of International Relations, Netherlands, Martin Nijhoff Publishers, 1992, P. 123.

Groom, op.cit, P. 177 ⁽⁵⁶⁾

Tranholm-Mikkesson, Jeppe, "Neo-Functionalism Obstinate or Obsolete! A Reappraisal in the Light of the New ⁽⁵⁷⁾ Dynamism of the EC", The Millenium, Vol.20, N°1, PP. 1-22, <http://mill.sagepub.com/content/20/1/1.extract>

The Post-Cold War Order and The Search for New Research Methodologies for The ⁽⁵⁸⁾ "Antje Herrberg, "Political Scientist".

احتوائه من الولايات المتحدة تارة، وحليفًا استراتيجيًا، وتارة أخرى متعاونًا⁽⁵⁹⁾، فضلا عن تأديته دور التابع وليس المقرر في علاقته مع الولايات المتحدة، على الرغم من أنه يمثل إحدى أهم القوى الفرعية للنظام الدولي القائم.

بيد أن تراجع الدولة بوصفها وحدة تحليل في ظل هيمنة العولمة، نتج عنه فواعل أخرى عبر-وطنية، تقوم على أساس التكتلات والتجمعات.⁽⁶⁰⁾ وهو ما يعمل لصالح تدعيم الوظيفة بشقيها الأصلية والجديدة، حيث أصبحت مسائل السياسة الدنيا المتمثلة في الاقتصاد والتكنولوجيا تهيمن على العلاقات الدولية الراهنة. فالنظام الدولي القائم، ومنظمة التجارة العالمية والعولمة كلها ذات طبيعة اقتصادية، ناهيك عن التكتلات الاقتصادية على المستوى الإقليمي كالاتحاد الأوروبي، والنافتا، والتكتل الآسيو-باسيفيكي، وتكتل دول أمريكا اللاتينية. فكل هذه التكتلات أمثلة ساطعة على مواكبة الوظيفة بشقيه- ولو بدرجات متفاوتة- لما أفرزته نهاية الحرب الباردة من تحولات.

وتبوءت وظيفة إيتزيوني⁽⁶¹⁾ مكانتها في تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة، فرغبة دول أوروبا الشرقية، وسعي تركيا حاليا للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، أدلة دامغة على أهمية النتائج المنشودة. وأن عنصر الإكراه يمكن تحديده في النظام الدولي القائم نفسه الذي هو نظام تهيمن عليه القوة الأمريكية التي تفرض على الدول الانضمام إليه، ولكن بشروط تعجيزية من خلال بوابة منظمة التجارة العالمية، بخاصة إذا تعلق الأمر بدول العالم الثالث. وأن توسيع حلف شمال الأطلسي ليشمل دول أوروبا الشرقية، يرجع إلى وجود عنصر الإكراه المتمثل في محاولة دول أوروبا الغربية بناء إستراتيجية للدفاع الأوروبي المشترك في مواجهة القوة العسكرية الأمريكية. وهكذا فالإكراه والمنفعة عنصران ضروريان في أية عملية تكاملية، وأن ضرورة الإسراع إلى تشكيل التكامل، والمتصلة بعنصر الثقة بين الحاكم والمحكوم، لها تطبيقات واسعة في العالم المتقدم؛ إذ نجد المواطن هناك يضحى لبلوغ هذا الهدف. وهنا يكمن سر نجاح التجارب التكاملية في العالم المتقدم التي من بينها الاتحاد الأوروبي، وتكتل الناftا. في حين التجارب التكاملية في العالم المتخلف سرعان ما يكون مآلها الفشل؛ نتيجة لفقدان عنصر الثقة بين الحاكم والمحكوم الناتجة عن الطبيعة التسلطية للأنظمة السياسية في العالم المتخلف مهما كان نوع الحكم فيها ملكي أو رئاسي أو برلماني. فعنصر الثقة يعزز فرص التكامل، ويؤدي إلى نجاح التجربة التكاملية على المستويين الرسمي والقاعدي. ولعل ما يجري من حراك سياسي داخل ما يسمى بدول الربيع العربي (تونس، مصر، ليبيا، اليمن وسوريا) سببه الرئيس اتساع الهوة بين الحاكم والمحكوم للطبيعة التسلطية للأنظمة السياسية هناك، والتي يترتب عليها فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم. وطالما أن أية عملية تكاملية تتطلب توفير إرادة سياسية حقيقية وتكامل على المستويين الرسمي والقاعدي، فإن ما يجري من حراك سياسي عربي راهن، يعمل على توفير المناخ المناسب لإحداث تجارب تكاملية بين الدول العربية جهويا وإقليميا في المستقبل المنظور.

ويتفق هاس مع إيتزيوني في دوافع عملية التكامل من خلال احتساب معدلات المكاسب والخسارة من قوى العملية التكاملية. ويتفق مع ميثراني من حيث انتقال العملية التكاملية من المجال التقني-الفني إلى المجال السياسي⁽⁶²⁾، معتمدا على مبدأ التسييس التدريجي، جاعلا الاتحاد الأوروبي إطارا تطبيقيا لوظيفته الجديدة. فالالاتحاد الأوروبي استهل تجربته التكاملية في المجال الاقتصادي، لينتقل لاحقا إلى المجال السياسي من خلال توحيد العملة، وتشكيله برلمانا، ومحاولته صياغة

State Strength and The European : Examining The Impact of Unification on Europe's Major ⁽⁵⁹⁾ "Timothy Ponce, , Los Angeles, CA, International Studies Associations, March 2000. <http://www.ciaonet.org/isa/poto1/>." Powers

Groom, op.cit , P.178. ⁽⁶⁰⁾

Dougherty & Pfaltzgraff (eds), op.cit, PP. 429- 430. ⁽⁶¹⁾

Oddvar Eriksen & Erick Fossum (eds), op.cit. ⁽⁶²⁾

دستور موحد، ليتحول الاتحاد الأوروبي إلى اتحاد الدول الوطنية⁶³. وفي تركيزه على عنصر الولاء للتنظيم الدولي على المستويين الإقليمي والدولي يعتمد هاس على مسألة حقوق الإنسان (Human Rights) التي تكون فيها عملية الانتشار أنجع وأنجح، ومن ثمَّ تعمل على توحيد الشعوب. وبرزت أهميتها فيما يعرف بالمجتمع المدني العالمي (World Civic Society)⁶⁴.

أما بالنسبة لوظيفية غالتينغ؛ فإن فكرته حول الولاء للوحدة المعبر عنه في التكامل التبادلي بين الأجزاء والكل، الذي يصدر عن قناعة الأطراف المشاركة⁶⁵، ما تزال سارية المفعول. وأن النتيجة التي توصل إليها غالتينغ التي مفادها أن المجتمع الدولي المعاصر يميل نحو التكامل المؤسسي والتنظيمي أكثر منه نحو التكامل الإقليمي صحيحة إلى أبعد الحدود. ولعل تكتل الاتحاد الأوروبي بعد توسيعه، ومنظمة حلف شمال الأطلسي بعد توسيعها، والاتحاد الإفريقي حالياً ليصبح على شاکلة الاتحاد الأوروبي على المستويين المؤسسي والتنظيمي ومنظمة التجارة العالمية. أمثلة ساطعة على ذلك. غير أن قول غالتينغ بالولاء التام لهذه المنظمات والمؤسسات أمر مبالغ فيه؛ لأنه يمس بسيادة الدول المشاركة في العملية التكاملية.

ما يمكن استنباطه من النماذج التكاملية الراهنة، أنها ذات طابع جغرافي وليست ذات طابع جيو-سياسي، وهو التحول الناتج عن تراجع العاملين الأيديولوجي والعسكري لصالح العاملين الاقتصادي والتكنولوجي. وهكذا تتكيف وظيفية دويتش حول الاتصال مع التكتلات الراهنة وعلى رأسها الاتحاد الأوروبي ليشمل دول أوروبا الشرقية وتحويله إلى أوروبا الموحدة. ويتقاسم دويتش رؤية ميثراني في دعوته لبناء منظمات تقوم على تأمين السلم والاستقرار، مثاله في ذلك العلاقات الأمريكية-الكندية التي ارتقت إلى علاقات تكامل، وتشمل كل دول أمريكا الشمالية في إطار ما أصبح يعرف بالنافتا.

وفي دراسته لعنصر الاتصال، يركز دويتش على تاريخ العلاقات بين الوحدات السياسية المعنية بالتكامل. فبقدر ودية العلاقات بين الأطراف المعنية، يؤدي ذلك إلى تفعيل قنوات الاتصال، ومن ثمَّ تدفق المعلومات فيما بينها، والتعجيل بالعملية التكاملية⁶⁶. وهنا يمكن القول إنه من بين الأسباب المباشرة التي حالت دون تجسيد الاتحاد المغربي إلى واقع ملموس، العلاقات المتوترة والمتشنجة بين بعض الدول المغربية الناتجة عن النزاعات الحدودية فيما بينها، وعن المواقف المتناقضة بشأن قضية الصحراء الغربية. كما هيأت العولمة (Globalization) في مظهرها الثقافي-الاتصالي⁶⁷، المناخ لوظيفية دويتش المتعلقة بعنصر التقارب الجغرافي، وإحداث التكامل فيما بينها، لدرجة أن العالم أصبح بواسطته قرية صغيرة.

الخاتمة

توصلت هاته الدراسة إلى جملة من النتائج، يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أ- ليس ثمة تعريف موحد لمفهوم التكامل، فكل منظر يعرف التكامل بوصفه حالة أو عملية من خلال الزاوية التي ينظر إليها للظاهرة التكاملية، وكذا للاختلاف في تحديد الفترة الزمنية لدراسة الظاهرة التكاملية. فبعضهم يدرسها قبل حدوثها؛ أي: أسبابها، وبعضهم الآخر بعد إنجازها؛ أي: نتائجها، فضلاً عن مؤشرات الظاهرة التكاملية التي يعتمد عليها منطري

يقصد به تحويل أوروبا إلى هيكل سياسي، حيث تتحد الدول فيه على مستوىي الاقتصاد والسياسة والمجالات الأخرى كافة⁶³.
⁶⁴ يشير المجتمع المدني العالمي إلى مجموعة الروابط النضالية بين مختلف التنظيمات التطوعية (منظمات دولية غير حكومية) لتحقيق أهداف معيارية متنوعة،

تعمل على نشر قيم الاحترام والتسامح والعدل والمساواة والمشاركة ونبيذ ثقافة التسلسل أو القوة والامتياز.

⁶⁵ Dougherty & Pfaltzgraff (eds), op.cit, P. 447.

⁶⁶ عبد الجليل كاظم الوالي، "جدلية العولمة بين الاختيار والرفض"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٧٥، يناير ٢٠٠٢، ص ٦٣ - ٦٧.

أنظر كذلك: محسن أحمد الحضير، العولمة الإجتياحية، القاهرة، مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى، ص ٤٦ - ٤٩.

⁶⁷ كاظم الوالي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

الاتجاه الوظيفي. ما يعني أن التيارات الفكرية للوظيفية تواجه مشكلات المفاهيم والتعريف وتحديد متغيرات الظاهرة التكاملية ومؤشراته. وأنها تنظر- في معظمها- للظاهرة التكاملية برؤى متضاربة وليس برؤية موحدة.

ب- عجز التيارات الفكرية منفردة من الإلمام بكل جوانب الظاهرة التكاملية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والعسكرية مجتمعة. فميتزاني يركز على الجانب الاقتصادي، وإيتزيوني على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي داخليا والجانب العسكري خارجيا. ويربط هاس بين الجانبين الاقتصادي والسياسي من خلال اعتماده على مبدأ التسييس التدريجي. ويعتمد دويتش على عنصر الاتصال من خلال تركيزه على التقارب الجغرافي. فالوظيفية مقارنة نظرية جزئية بحاجة إلى تعاونها مع بقية نظريات العلاقات الدولية لكي تحافظ على تكيفها مع التحولات الدولية المتسارعة.

ج- تتقاطع كل التيارات الفكرية للوظيفية في مبدأ الانتشار وتوظيفها للمنهجية الإستقرائية، وإن كانت تختلف فيما بينها في كيفية الانتقال من مسائل السياسة الدنيا إلى مسائل السياسة العليا أو العكس، كما هو الحال بين وظيفتي ميتزاني وهاس.

د- من أجل إنجاح التجربة التكاملية جهويا أو إقليميا أو دوليا، لا بد من تهيئة البنى الداخلية للدول المشاركة في العملية التكاملية داخليا وخارجيا. داخليا: من خلال توفير إرادة سياسية حقيقية والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم؛ لأن التكامل يتحقق أساسا على المستويين الرسمي والقاعدي، مع تفعيل دور النخب المحلية. خارجيا: من خلال توطيد العلاقات الودية واجتثاث الخلافات والنزاعات من جذورها فيما بين دول التكامل، وتركيز بؤرة الاهتمام على مسائل السياسة الدنيا، مثلما هو الحال بالنسبة للاتحاد الأوروبي، وتكتل النفط، والتكتل الآسيو-باسيفيكي.

وأخيرا، يمكن القول إن التيارات الفكرية الوظيفية متقاطعة منهجيا، ترصد جوانب مهمة في الظاهرة التكاملية، وفهما قد يعتره بعض القصور، إذا انصب الاهتمام على إحداها من دون الأخرى. فجميعها يدرس موضوعا واحدا هو التكامل وبمقاربة نظرية واحدة، هي الوظيفية مهما تضاربت في رؤاها.

دور القنوات الفضائية في تغطية أحداث العدوان الإسرائيلي على غزة وتداعياته (يوليو 2014)

" The Role of Space Channels to cover the Israeli's aggression on Gaza – July 2014

د. نعيم فيصل المصري / أستاذ الإعلام المساعد ورئيس قسم الفنون التطبيقية

كلية فلسطين التقنية - دير البلح - قطاع غزة

ملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة مدى حرص الجمهور الفلسطيني على متابعة العدوان وتداعياته، وجهات مصادر المعلومات ووسائل الإعلام التي اعتمد عليها الجمهور في متابعة أحداث العدوان وتطوراته، وحجم الاعتماد على الفضائيات الإخبارية في متابعة أحداث العدوان وتداعياته، وتقييم الجمهور لمواقف الفضائيات الإخبارية من أحداث العدوان وتداعياته، وتقييم مستوى الأداء المهني للفضائيات الإخبارية في تغطية أحداث العدوان وتداعياته، وتقديم مقترحات ورؤى لاستثمار القنوات الفضائية الإخبارية في خدمة القضية الفلسطينية، وتنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية، واستخدمت منهج المسح، والاستبيان أداة لجمع البيانات على عينة من الجمهور الفلسطيني بلغت ٥٦٢ مفردة، ومن أهم نتائج الدراسة: أن قناة الجزيرة شغلت المرتبة الأولى في درجة اعتماد المبحوثين على القنوات الفضائية الإخبارية لمتابعة أحداث العدوان وتداعياته، تلتها قناة الميادين وتذييل القائمة قناتا النيل الإخبارية المصرية والإخبارية السعودية، وأن قناتي الجزيرة والميادين حازتا على أعلى مستوى في التغطية الفورية للقنوات الفضائية الإخبارية في متابعة أحداث العدوان، في حين أن قناتي النيل الإخبارية المصرية والإخبارية السعودية تذيلت قائمة القنوات الإخبارية، وأن مستوى أداء إعلامي قناة الجزيرة الأكثر إيجابياً لأحداث العدوان وتطوراته بنسبة ٨٦%، يليها قناة الميادين بنسبة ٦٣%، في حين أن مستوى أداء إعلامي قناة العربية الأكثر سلبياً بنسبة ٣٣%. وأن المحطات الإذاعية أكثر وسائل الإعلام التي اعتمد عليها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان وتداعياته بوزن نسبي ٠.٩، وجاءت شبكة الإنترنت في المرتبة الثانية بوزن نسبي بلغ ٠.٩، ثم القنوات التلفزيونية في المرتبة الثالثة بوزن نسبي بلغ ٠.٤، وأخيراً الصحف في المرتبة الرابعة بوزن نسبي بلغ ٠.٤.

مقدمة:

شهد قطاع غزة في السنوات الست الأخيرة ثلاثة حروب جعلته بؤرة للأحداث والتطورات المتسارعة واستقطب كافة وسائل الإعلام بخاصة القنوات الفضائية الإخبارية لتغطية الأحداث المتلاحقة وكان آخرها العدوان الأعنف الذي شنه الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة في ٨ يوليو من عام ٢٠١٤، حيث مارس خلاله القتل والتدمير الممنهج والمبرمج لمقومات الشعب الفلسطيني كافة.

ولا تقل أهمية المعركة الإعلامية عن المعركة العسكرية في التأثير على العدو فقد أدت القنوات الفضائية الإخبارية دوراً بارزاً ومؤثراً خلال العدوان على غزة، فمنذ اللحظة الأولى للعدوان جند العاملون في القنوات الفضائية كافة طاقتهم واستخدموا جميع مفردات لغة الصوت والصورة والبهث الفوري والحي من أرض الميدان بما يتناسب ورؤية كل قناة وسياستها ما بين

داعم ومساند لضمود وانتصار المقاومة الفلسطينية واتصارها، ومحاييد اكتفى بالوقوف على الأحداث فقط كما هي، ومساند وداعم للروايات الإسرائيلية متبنياً وجهة النظر الإسرائيلية.

وسُخرت آلة الحرب الإسرائيلية التي رافقتها كافة أساليب الخداع والتضليل والتزييف والرقابة كعادتها في طمس الحقيقة ومعالمها لخدمة وأغراض جيش الاحتلال الإسرائيلي؛ ولكن مما ميز بعض القنوات الفضائية الإخبارية خلال تغطية أحداث العدوان على غزة دورها الكبير في كشف حقيقة الحدث من أرض الميدان مباشرة، وتسليط الضوء على معاناة الشعب الفلسطيني، وانتهاكات الاحتلال الإسرائيلي ضد الأطفال والنساء، فاخترق خلالها مراسلو ومصوروا القنوات الفضائية القاعدة التي حصنها الاحتلال الإسرائيلي من خلال تغيير الصورة النمطية السلبية التي كان يرسمها أمام العالم الخارجي.

ويتطلب الاهتمام من كافة القائمين على القنوات الفضائية بضرورة استثمار القنوات الفضائية الإخبارية في خدمة القضية الفلسطينية ولاسيما وقت الحروب والأزمات التي تأتي هذه الدراسة للوقوف على مدى اعتماد الجمهور الفلسطيني على القنوات الفضائية الإخبارية في تغطية أحداث العدوان وتداعياته.

الدراسات السابقة :

١ - الأطر الخيرية للعدوان على غزة عالم ٢٠١١م في مواقع الفضائيات الأجنبية الإلكترونية باللغة العربية دراسة تحليلية مقارنة (عوض الله، أكتوبر، ٢٠١١)^(١) تهدف هذه الدراسة إلى رصد وتحليل مضمون المواد الخيرية المنشورة على مواقع الفضائيات الأجنبية الإلكترونية باللغة العربية (روسيا اليوم، والحررة، وفرانس ٢)، فيما يتعلق بأحداث العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة أواخر العالم ٢٠١١م، والوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف في التغطية الخيرية للعدوان على مواقع الدراسة، وما سبقه من خلالها الأحداث المختلفة للعدوان وتداعياته، وتنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية، واستخدمت منهج الدراسات المسحية، الذي تم في إطاره استخدام أداة تحليل المضمون، وكذلك دراسة العلاقات المتبادلة التي في إطارها تم استخدام المقارنة المنهجية، وقد تم جمع بيانات الدراسة من خلال استمارة تحليل المضمون بما فيها تحليل الأطر الخيرية، وشملت عينة الدراسة المواقع الإلكترونية المذكورة، فيما شملت العينة الزمنية الفترة الممتدة من ٢٠١١م، إلى ٢٠١٢م، بحيث تم اختيار العينة الشاملة لكافة الأخبار والتقارير الإخبارية المنشورة على المواقع الإلكترونية الثلاثة في أثناء هذه المدة الزمنية ومن أهم نتائج الدراسة:

- تزايد اهتمام موقع روسيا اليوم بتغطية أحداث العدوان بشكل مضاعف عن الموقعين الآخرين مجتمعين. واتفاق المواقع الثلاثة بعدم اعتمادها على أية وكالة أنباء إسرائيلية، وأن (الخبر) هو الشكل الصحفي الغالب للمواد الخيرية المنشورة على المواقع الإلكترونية عينة الدراسة.

- أن موقع الحررة تناقض بشكل واضح مع الموقعين الآخرين في الاعتماد على (وسائل الإعلام الدولية)، وكذلك في تزايد اعتماده على (وسائل الإعلام الإسرائيلية)، وأن موقع الحررة يحجم بشكل كبير جداً عن نشر مشاهد الفيديو التي تعرض الضحايا والدمار لدى الفلسطينيين ضمن المواد الخيرية المتعلقة بالعدوان الإسرائيلي، وأن النسبة الأعلى للأطر الصراع كانت لأطر (الشخصيات المحورية)، وأن معظم حالات الاتجاه العام لأطر الصراع كانت لصالح فئة (الاعتداءات الإسرائيلية وتداعياتها).

(١) عوض الله، عادل، الأطر الخيرية للعدوان على غزة عام ٢٠١٢م في مواقع الفضائيات الأجنبية الإلكترونية باللغة العربية دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة - الجامعة الإسلامية - غزة (أكتوبر، ٢٠١٤).

- أن المواد الخبرية التي أشارت مضامينها إلى الاهتمامات الإنسانية الفلسطينية أو الإسرائيلية كانت محدودة، غير أنها بعامه كانت متجهة لصالح الطرف الفلسطيني بنسبة كبيرة جداً ، وأن معظم الحالات التي وردت في عينة الدراسة حملت المسؤولية (لإسرائيل)، وأن معظم حالات ردود الأفعال على العدوان وردت في عينة الدراسة، وتمثلت في (الاجتماعات والاتصالات)، وأن معظم اتجاهات التأييد والمعارضة تمثلت في اتجاهه (معارضة العدوان)، وأن مضامين المواد الخبرية التي شملتها العينة فيما يتعلق باليات الأطر الخبرية، توافقت في الغالب مع (وجهة النظر الفلسطينية).

- أن أبرز الأسباب الفلسطينية للعدوان كانت (الزعة العدوانية الإسرائيلية وضرورة مقاومتها)، فيما تركز أبرز الأسباب الإسرائيلية حول (عمليات المقاومة الفلسطينية وإطلاق الصواريخ)، فيما كان أبرز الحلول الفلسطينية المقترحة (وقف العدوان الإسرائيلي والاعتقالات)، وأبرز الحلول الإسرائيلية المقترحة (وقف عملت المقاومة وإطلاق الصواريخ). وأن أبرز النتائج الفلسطينية تمثلت في (انتصار المقاومة والاحتفالات بالنصر).

٢- تغطية الصحافة الإسرائيلية للحرب على غزة ٢٠٠٨-٢٠١٠م (عدوان ٢٠١٠) (١) هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية معالجة الصحافة الإسرائيلية للحرب على غزة ٢٠٠٨/٢٠١٠م، وتنتهي إلى الدراسات الوصفية، واعتمدت على منهج المسح بالعينة، فضلاً عن المنهج المقارن والتاريخي ويشمل مجتمع الدراسة الصحف الصادرة في إسرائيل، وتم اختيار عينة من الصحف تمثلت في (٩) عددًا في صحف (هآرتس، ويديعوت أحرنوت، معاريف)، أما أداة الدراسة فكانت استمارة تحليل المضمون بوصفها أداة لتحليل مضمون قضايا الحرب على غزة في صحف الدراسة ومن أهم النتائج الدراسة:

- استغلال صحف الدراسة للمصدر الرسمي الفلسطيني لتعزيز من سياسات الحكومة لدى الرأي العام الإسرائيلي.

- كانت أعلى نسبة في المصادر التي استقت منها الصحف الإسرائيلية أخبارها هو المصدر الإسرائيلي غير الرسمي بنسبة (٥٦%)، تلاها المصدر الإسرائيلي غير الرسمي، ثم المصادر الإقليمية، ثم المصادر الفلسطينية الرسمية، ثم المصادر الدولية، وأخيراً المصادر الفلسطينية غير الرسمية.

- لا يوجد أي اختلاف بين تغطية الصحف الثلاث للحرب على غزة تبعاً لمجموع القضايا، وأن التوجه العام للصحف كان مؤيداً للحرب.

- توجد علاقة طردية بين تغطية الصحف الثلاث وبين البعد السياسي والعسكري والاقتصادي.

٣ - اعتماد الجمهور المصري على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعة أحداث ثورة ٢٥ يناير وتطوراتها (عبد الغفار، إبريل ٢٠١١) (٢) دراسة ميدانية تهدف إلى التعرف على مصادر معلومات متابعة أحداث ثورة ٢٥ يناير وتطوراتها، وحجم الاعتماد على الفضائيات الإخبارية في متابعة أحداث ثورة ٢٥ يناير وتطوراتها وتفسير الاعتماد عليها، وتقييم مستوى الأداء المهني لها، وتنتهي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية، واعتمدت على نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، واستخدمت منهج المسح، وصحيفة الاستقصاء أداة لجمع البيانات على عينة من المتعلمين الذين يعملون بعدد من الوزارات (البيئة - الإعلام - التعليم العالي) وجامعة القاهرة بلغت ٤٠ مفردة، ومن أهم نتائج الدراسة:

(١) عدوان، أحمد، تغطية الصحافة الإسرائيلية للحرب على غزة ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، رسالة ماجستير، غير منشورة، (غزة: جامعة الأزهر، ٢٠١٢م)

(٢) عبد الغفار، عادل، اعتماد الجمهور المصري على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعة أحداث ثورة ٢٥ يناير وتطوراتها، في:

المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مركز بحوث الرأي العام بكلية الإعلام، جامعة القاهرة، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، يوليو -

ديسمبر ٢٠١١م.

- تفوق مصادر المعلومات العربية المتمثلة القنوات العربية الإخبارية (العربية - الجزيرة) يلها الإعلام الخاص المصري (قنوات خاصة - صحف خاصة) والإنترنت ، وأخيراً المصادر الأجنبية (BBC عربي ، CNN) .

- ضعف مستوى الأداء المهني لقناة النيل للأخبار في تغطية أحداث الثورة مقابل ارتفاع مستوى الأداء المهني للقنوات العربية (العربية - الجزيرة) والقنوات الأجنبية (BBC عربي ، CNN) وهو ما أدى إلى ضعف الاعتماد بشكل ملحوظ على قناة النيل للأخبار .

- أهم المتغيرات المؤثرة في اختيارات الجمهور المصري للقنوات الإخبارية لمتابعة أحداث الثورة وتطوراتها ، تمثلت في الصور الذهنية المنطبعة عن القنوات الإخبارية في ضوء الخبرة السابقة في مشاهدة هذه القنوات .

٤ - اتجاهات الصحافة الأردنية نحو العدوان الإسرائيلي على غزة" -دراسة تحليلية مقارنة في صحفي الرأي والدستور (علاونة واخرون) (٢٠١٠)^(١) هدفت الدراسة إلى معرفة اتجاهات الصحافة الأردنية اليومية نحو العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة الذي استمر مدة ٢٧ يوماً بدءاً من ٢٧/١١/٢٠٠٩م، وهي من الدراسات الوصفية المقارنة استخدمت أداة تحليل المضمون ضمن منهج المسح الإعلامي، حيث قام الباحثان بإجراء التحليل والمقارنة على افتتاحيات صحفيي (الرأي)و(الدستور) الأردنيين خلال مدة العدوان ومن أهم نتائج الدراسة :

أن العدوان الإسرائيلي على غزة طغى على اهتمامات الصحافة الأردنية اليومية، بنسبة (٩٧%) من مجموع الافتتاحيات. عرضت الصحافة الأردنية ما مجموعه ٢٥ اتجاهاً من العدوان، جاء في مقدمتها الموقف الرسمي الأردني من العدوان على غزة من أبرزها الموقف للأردن الذي اتسم بمعارضة العدوان. وكان أقلها الوحدة الوطنية الفلسطينية. والعدوان الإسرائيلي بحد ذاته، والوطن البديل في الصحفتين بالمعارضة المطلقة بنسبة (١٠%).

٥ - دراسة بعنوان: "معالجة الصحافة العربية للعدوان على غزة في المدة من ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٩ إلى ٢٢ يناير ٢٠١٠": دراسة حالة على صحيفة الشرق الأوسط (الحازمي، ٢٠٠٩) (٢)، هدفت الدراسة إلى رصد معالجة الصحافة العربية للعدوان الإسرائيلي وتحليلها وتفسيرها خلال عام كامل مدة العدوان عام ٢٠٠٩، وكشف سمات المعالجة وملاحظاتها وتوجهاتها ومرتكزاتها ، واستخدمت الدراسة منهج المسح الإعلامي للحصول على البيانات من خلال أداة تحليل المضمون للمواد الصحفية المنشورة على الصحيفة عينة الدراسة معتمدة على نظرية تحليل الإطار الإعلامي، حيث تم تحليل جميع المواد الصحفية في كافة أعداد صحيفة الشرق الأوسط الصادرة خلال الفترة (من ٢٧/١١/٢٠٠٩ إلى ٢٢/١/٢٠١٠) ومن أهم نتائج الدراسة:

أن أهم أسباب العدوان الإسرائيلي كما قدمته صحيفة الشرق الأوسط، تحقيق مكاسب سياسية للحكومة الإسرائيلية بنسبة ٢%، يليه القضاء على حماس، يليه تدمير المبادرة العربية .

(١) علاونة ، حاتم ، وآخرون " اتجاهات الصحافة الأردنية نحو العدوان الإسرائيلي على غزة"، دراسة تحليلية مقارنة في صحفيي الرأي والدستور

في :مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 27، العدد(1 -ج) ، إربد :جامعة اليرموك، 2011 م .

(٢) الحازمي، مبارك، معالجة الصحافة العربية للعدوان على غزة في المدة من 27 ديسمبر 2008 إلى 22 يناير: دراسة حالة على صحيفة الشرق

الأوسط، في : المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 34 ، (القاهرة :جامعة القاهرة -كلية الإعلام ، 2009)، ص397 - 467.

أن أهم الأحداث السياسية التي قدمتها الصحيفة خلال أيام العدوان تمثلت في إصدار البيانات العربية ، ثم مظاهرات التأييد والتضامن.

أن المعارك الجوية جاءت في مقدمة الأحداث، وأن الخبر كان في مقدمة الفنون المستخدمة في الصحيفة حول العدوان، وأن الاتجاه المعارض جاء في مقدمة المضمون، وأن الأدلة والبراهين جاءت في مقدمة الأساليب الإقناعية.

٦ - صورة موقف مصر الرسمي إزاء العدوان الإسرائيلي على غزة^(١) - دراسة مقارنة لعناصر الصورة الإعلامية في خطابات الصحف اليومية المصرية (محملاً، ٢٠٠٩) (١) هدفت الدراسة إلى تحليل صورة موقف مصر الرسمي إزاء العدوان الإسرائيلي على غزة بشكل مقارن في خطاب الصحف اليومية المصرية الثلاثة (الأهرام ، الوفد ، المصري اليوم)، من خلال المسح الشامل لكل مقالات الرأي التي ظهرت في عينة الصحف خلال فترة العدوان الذي بدأ بـ ٢٢/١٢/٢٠٠٩، واستمر اثنين وعشرين يوماً، وهي دراسة وصفية استخدمت منهج المسح الإعلامي، ومنهج تحليل الخطاب الإعلامي وأسلوب المقارنة. واعتمدت الدراسة على الصورة الإعلامية بوصفها مدخلاً نظرياً للدراسة. وتظهر حيثيات الدراسة اعتمادها على نظرية الأطر الخبيرة وإن لم تذكر نصاً ، ومنأهم نتائج الدراسة :

أن الأطروحات التي ظهرت في الصحف المصرية قسمت بشكل أساسي على : (أطروحات الأزمة، وأطروحات معالجة الأزمة)، وهي تتباين بين صحيفة وأخرى غير أن الصحف الثلاث اتفقت على وجود تأزم في الموقف الرسمي المصري من العدوان، وأن بعضها بين تواطؤ الموقف المصري الرسمي مع إسرائيل.

ظهر التباين في الأطروحات الأخرى بين الصحف الثلاث، كأطروحة مواجهة الأزمة، وأطروحة أسباب تأزم الموقف الرسمي المصري، وأطروحة الدور الإسرائيلي في الإيقاع بين مصر وحماس، وغير ذلك.

٧ - اعتماد الجمهور العربي على القنوات الفضائية الأجنبية الموجهة باللغة العربية في أوقات الأزمات بالتطبيق على أزمة العدوان الإسرائيلي على غزة (عاطف العبد ، يناير، ٢٠٠٩) (٢) هدفت هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على درجة اعتماد الجمهور العربي على القنوات الفضائية الأجنبية الموجهة باللغة العربية في الأزمة الأخيرة للقضية الفلسطينية وهي أزمة غزة، واستندت في أساسها النظري على فروض نظرية الاعتماد على وسائل الاعلام، وتنتهي إلى الدراسات الوصفية، واعتمدت الدراسة على منهج المسح، وتم إجراء الدراسة على عينة عمدية قوامها (٤٠٠) مبحوثاً من الجمهور في أماكن تجمعاتهم في مصر، وتم استخدام صحيفة الاستقصاء بالمقابلة لجمع البيانات من المبعوثين ومن أهم نتائج الدراسة:

- يعتمد نسبة (٤٩%) من المبحوثين على القنوات الفضائية الأجنبية الموجهة باللغة العربية في الحصول على معلومات حول أزمة غزة بدرجة متوسطة، ويعتمد عليها (٣٧%) بدرجة قليلة، و(١٧%) بدرجة كبيرة.

- أهم مصادر المعلومات التي اعتمدت عليها عينة الدراسة في الحصول على المعلومات حول أزمة غزة- بالترتيب- هي الصحف والمجلات، والقنوات الفضائية العربية، والندوات والمؤتمرات، والقنوات الفضائية الأجنبية.

(١) محمد هشام، صورة موقف مصر الرسمي إزاءالعدوان الإسرائيلي على غزة 2009 - 2008 دراسة مقارنة لعناصر الصورة الإعلامية في

خطابات الصحف اليومية المصرية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد 34 ، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2009 م .

(٢) عاطف العبد، نهي ، اعتماد الجمهور العربي على القنوات الفضائية الأجنبية الموجهة باللغة العربية في أوقات الأزمات بالتطبيق على

أزمة العدوان الإسرائيلي على غزة في: المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الثالث والثلاثون القاهرة : كلية الإعلام بجامعة القاهرة،

يناير ٢٠٠٩م، ص ٢٥٩-٤٦٢.

أن أهم الفضائيات الأجنبية الموجهة باللغة العربية كانت بالترتيب (BBC)، ثم (TVS)، ثم (France24)، ثم (روسيا اليوم)، مما يشير إلى تنامي دور الإعلام الدولي الغربي في المجتمعات العربية بما يشكل تأثيراً سلبياً على المدى الطويل على نظرة الشباب العربي لقضاياها المحلية والقومية.

وجود علاقة ارتباطية بين معدلات التعرض للفضائيات الأجنبية باللغة العربية، ومعدلات اعتماد الجمهور عليها في الحصول على معلومات حول أزمة غزة.

- توجد فروق دالة إحصائياً بين المبحوثين طبقاً لاعتمادهم على القنوات الفضائية الأجنبية الموجهة باللغة العربية والمتغيرات الديموجرافية.

- وجود فروق بين المبحوثين الذكور والإناث في داووع اعتمادهم على القنوات الفضائية الأجنبية الموجهة باللغة العربية في الحصول على معلومات خلال أزمة غزة.

٨ - توجهات الاعلام الإسرائيلي خلال العدوان ٢٠٠٩ (أبو عامر، ديسمبر ٢٠٠٩)^(١) تهدف الدراسة إلى رصد أهم المؤشرات التي شملها التأثير الإعلامي للعدوان على غزة عام ٢٠٠٩ على مجمل الأداء الإعلامي الإسرائيلي وصولاً إلى فهم وإدراك طبيعة الإعلام في المجتمع الإسرائيلي والاطلاع على آلية أداء الإعلام في " زمن الحروب الإسرائيلية وقد اعتمدت الدراسة في معظم اجزائها على المتابعة اليومية لوسائل الإعلام الإسرائيلية، المرئية والمسموعة والمكتوبة ومن أهم نتائج الدراسة :

تراجعت وسائل الإعلام الإسرائيلية في أدائها لمهامها إلى درجة صحافة "مجندة أحادية الجانب"، ولجأت إلى التهويل تارة والتستر تارة أخرى.

شكل المراسلون العسكريون والمحللون للشؤون العربية والناطقون بلسان الجيش والحكومة نجوم الإعلام الإسرائيلي خلال العدوان، وقد اتقنوا عرض وجهة النظر الرسمية لما يحدث.

ثم يكن هناك توازن معقول ومقبول بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي في المقابلات ونقل المواقف، ولم يبرز ذلك فقط في قلة عدد الفلسطينيين الذين قبلوا في التقارير الصحافية والإعلامية، وإنما في التوجه العدائي والاستفزازي والاستعلائية للصحفيين الإسرائيليين.

تبني الإعلام الإسرائيلي في أثناء العدوان مواقف الحكومة وعدم الميل لانتقادها، وإنما مارس دوراً تعبويّاً يميل للتصرف كامتداد للمؤسسة السياسية العسكرية والأمنية اليهودية.

أصبح الضحايا الفلسطينيون في الإعلام الإسرائيلي مجرد أرقام، لا أسماء لهم ولا أهل ولا أمهات.

تمال الإعلام الإسرائيلي لاستخدام مصطلحات وتعابير انتقائية، وتحولت إلى جزء من عملية تصوير "إسرائيل" والإسرائيليين بوصفهم ضحايا إلى نهاية العالم، وتصوير الفلسطيني على أنه السليبي والمجرم والمذنب والمسؤول عن كل ما يجري في العالم.

(١) أبو عامر، عدنان، الفصل الثالث : توجهات الإعلام الإسرائيلي خلال العدوان ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٨ - ١٨ / ١ / ٢٠٠٩، دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (عملية الرصاص المصبوب / معركة الفرقان) مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات بيروت، ٢٠٠٩ ص ٤٩ .

٩- علاقة أساليب توظيف اللغة بأطر تقديم الأحداث داخل التقارير الإخبارية: دراسة تطبيقية على الحرب الإسرائيلية على غزة (محسن، ٢٠٠٩)^(١) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الأطر التي اعتمدت عليها كل من قناة الجزيرة والعربية في تقديم حدث الحرب على قطاع غزة، ودور اللغة في بناء هذه الأطر، والطريقة التي وظفت بها القناتان أدوات التعبير اللغوي اللفظية والبصرية في بناء الأطر الإخبارية، واستندت في إطارها النظري على فروض نموذج ستيفان تولمان لاستخدام الحجج ونظرية تحليل الإطار الإعلامي، وتنتمي الدراسة إلى البحوث الوصفية، واعتمدت على منهج المسح ومنهج تحليل الخطاب ووظفت أسلوب المقارنة، وتم إجراء الدراسة على عينة مكونة من (٨) تقريراً إخبارياً مسجلاً من بين التقارير التي تم توظيفها في تغطية الحرب على غزة داخل قناتي الجزيرة والعربية خلال الفترة الزمنية ٢٧ كانون أول ٢٠٠٩م حتى ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٩م، واستخدمت استمارة تحليل المضمون لجمع البيانات، ومن أهم نتائج الدراسة:

- مثل "الإنسان الفلسطيني الفاعل الأساسي والشخصية الأكثر ظهوراً في التقارير الإخبارية داخل قناة الجزيرة، في حين كان "المكان" هو البطل الرئيس في أغلب التقارير التي قدمتها قناة العربية في تغطية حدث الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة.
- استندت قناة الجزيرة إلى إطارين مركزين في تقديم الحدث، هما: "الجاني والضحية" و"مقاومة الضعيف للمتغطرس"، بينما الإطار المركزي الذي اعتمدت عليه قناة العربية في تقديم حدث الحرب على غزة هو "إطار غطرسة الاحتلال".

١٠- المعالجة الصحفية للحرب السادسة وتداعياتها على القضية الفلسطينية دراسة تحليل مضمون لصحفاً الأيام - القدس - الحياة الجديدة (عابد، يونيو، ٢٠٠٩)^(٢)

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المعالجة الصحفية الفلسطينية للحرب السادسة بين حزب الله وإسرائيل، التي تعد من الأحداث المهمة وأبرزت تداعياتها بخاصة على القضية الفلسطينية، وجاءت هذه الدراسة للتعرف على تأثير طبيعة الحرب السادسة من خلال دراسة تحليل المضمون لترتيب أولويات الاهتمام لدى صحف الدراسة (الأيام- القدس- الحياة الجديدة)، وتنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية، واستخدمت منهج المسح بالعينة، واستمارة تحليل المضمون أداة لجمع البيانات على عينة عمدية ابتداء من ٣/١٢/٢٠٠٩م حتى ١٤/١٢/٢٠٠٩م بواقع (٣) عددًا من كل صحيفة من صحف الدراسة، ومن أهم نتائج الدراسة:

- التركيز على الموضوعات السياسية لأهمية الموضوع، واعتماد الصحف الدرجة الأولى على وكالات الأنباء العالمية بوصفها مصدرًا للخبر الصحفي لمعالجة الحدث بخاصة على صفحاتها الداخلية.

- الصحف الثلاث اعتمدت على الخبر الصحفي بشكل أساسي في معالجة الحرب السادسة وتداعياتها على القضية الفلسطينية بنسبة (79.6%)، من بين أشكال الفنون الصحفي المختلفة.

- أن العناوين الرئيسية هي أكثر العناصر التبوغرافية المستخدمة في معالجة الحرب السادسة وتداعياتها، حيث بلغت النسبة (37.6%)، وتلي ذلك الصور بنسبة (25.7%)، وتميزت صحيفة الأيام باهتمامها بالصور، وبلغت نسبتها (50.7%)، أما

(١) محسن، ماهيناز، علاقة أساليب توظيف اللغة بأطر تقديم الأحداث داخل التقارير الإخبارية: دراسة تطبيقية على الحرب الإسرائيلية، في: المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الثالث والثلاثون، القاهرة: كلية الإعلام بجامعة القاهرة، ٢٠٠٩م.

(٢) عابد، زهير، وآخرون، المعالجة الصحفية للحرب السادسة وتداعياتها على القضية الفلسطينية دراسة تحليل مضمون لصحفاً (الأيام - القدس - الحياة الجديدة) في: مجلة جامعة الأقصى، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، يونيو، ٢٠٠٨.

(صحيفة الحياة الجديدة فقد اهتمت بالعناوين الرئيسية بنسبة من بين العناصر التيبوغرافية، أما صحيفة القدس فاهتمت بالعناوين الرئيسية، (35.7%)

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة

استفاد الباحث من الدراسات السابقة في :

١. توضيح فكرة الدراسة مما أسهم في وضع تصور كامل حول موضوع الدراسة الذي تبلور في الخطة المنهجية التي أعدها الباحث.

٢. الاختيار الأمثل لمنهج الدراسة وأدواتها بشكل دقيق وعلى وفق القواعد المنهجية .

٣. المعاونة في صياغة المشكلة البحثية بما يتلاءم مع أهداف الدراسة التحليلية والميدانية.

٤. التعرف على المناهج والأدوات والأساليب البحثية التي استخدمتها.

٥. صياغة تساؤلات الدراسة وأهدافها .

ويلخص الباحث من مراجعة الدراسات السابقة أهم النقاط الآتية :

• للإعلام دور مهم ومؤثر وفعال في خدمة القضية الفلسطينية، وكسب التعاطف الدولي ولاسيما القنوات الإخبارية الفضائية .

• القنوات الإخبارية الفضائية الأكثر تأثيراً وقت الأزمات والحروب لما تتمتع به من مزايا وخصائص .

• أصبحت الجماهير تدرك أهمية الوصول على المعلومات والحقيقة بسرعة من مصادر مختلفة.

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدراسة من أنها تتناول موضوعاً جديداً وحيوياً يتمثل في درجة اعتماد الجمهور الفلسطيني على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعة أحداث العدوان وتداعياته ، وكذلك تكمن الأهمية نتيجة توجه الجمهور نحو مشاهدة القنوات الفضائية الإخبارية خلال الأزمات والحروب ، وندرة الدراسات العربية التي تناولت عدواناً (٢٠١) على غزة . وعلى حد علم الباحث تعد من أولى الدراسات التي تجرى على المجتمع الفلسطيني في هذا المجال.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

تتحدد مشكلة الدراسة في كشف مدى اعتماد الجمهور الفلسطيني على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعة أحداث العدوان وتداعياته ؟ ويتفرع عنه مجموعة من الأسئلة :

١س: ما مدى حرص الجمهور الفلسطيني على متابعة العدوان وتداعياته ؟

٢س: ما الجهات ومصادر معلومات الجمهور لمتابعة أحداث العدوان وتداعياته؟

٣س: ما وسائل الإعلام التي اعتمد عليها الجمهور في متابعة أحداث العدوان وتطوراتها ؟

٤س: ما حجم الاعتماد على الفضائيات الإخبارية في متابعة أحداث العدوان وتداعياته؟

٥س: ما تقييم الجمهور لمواقف الفضائيات الإخبارية من أحداث العدوان وتداعياته؟

٦س: تقييم مستوى الأداء المهني للفضائيات الإخبارية في تغطية أحداث العدوان وتداعياته

٧س: ما الخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة ؟

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى :

- ١ - معرفة مدى حرص الجمهور الفلسطيني على متابعة العدوان وتداعياته .
- ٢ - معرفة جهات معلومات الجمهور ومصادره لمتابعة أحداث العدوان وتداعياته.
- ٣ - الكشف عن أكثر وسائل الإعلام التي اعتمد عليها الجمهور في متابعة أحداث العدوان وتداعياته.
- ٤ - حجم الاعتماد على الفضائيات الإخبارية في متابعة أحداث العدوان وتداعياته.
- ٥ - تقييم الجمهور لمواقف الفضائيات الإخبارية من أحداث العدوان وتداعياته.
- ٦ - تقييم مستوى الأداء المهني للفضائيات الإخبارية في تغطية أحداث العدوان وتداعياته .
- ٧ - تقديم مقترحات ورؤى لاستثمار القنوات الفضائية الإخبارية في خدمة القضية الفلسطينية.

نوع الدراسة ومنهجها:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التي تهتم بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الأوضاع والأحداث (طايغ؛ ٢٠٠٠، ص١٦) (١)، وهي تقوم على أساس الرصد والتوصيف الدقيق لعناصر الظاهرة البحثية ومتغيراتها (عطية؛ ٢٠٠٨، ص٧) (٢)، وتتيح هذه النوعية من البحوث وجود بيانات قابلة للقياس الكمي وتسمح بخضوع البيانات للتحليل الرياضي ومن ثم إمكانية التعميم والتنبؤ (Joseph؛ ٢٠٠٠، ص١١) (٣).

وتعتمد الدراسة على منهج مسح جمهور وسائل الإعلام الذي يهدف إلى دراسة خصائص الجمهور الذي يتعرض لأي وسيلة إعلامية، وأنماط تعرضه لتلك الوسيلة واتجاهاته نحو المضامين المختلفة (زغيب؛ ٢٠٠٠، ص١١) (٤) بوصفه جهداً علمياً منظماً للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة أو مجموعة الظواهر موضوع البحث؛ لتزيد كفاءة الأوصاف القائمة عن طريق مقارنة المعلومات التي تم الحصول عليها بمستويات أو معايير قياسية سبق اختيارها وإعدادها (حسين؛ ٢٠٠٠، ص١٣) (٥).

عينة الدراسة :

(١) طايغ ، سامي ، بحوث الإعلام : تصميمها وإجراؤها وتحليلها ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، ٢٠٠١ .

(٢) عطية ، هشام ، مناهج البحث الإعلامي، دار الإيمان للطباعة بالقاهرة، ٢٠٠٨ .

(٣) Roger D.Wimmer, Joseph R.Dohinick, **Mass Media Research : an introduction** New York : Wasd Worth The .Publication Company, 2003)

(٤) حسين ، سمير ، ٢٠٠٦: دراسات في مناهج البحث العلمي: بحوث الإعلام، الطبعة الثالثة ، مكتبة عالم الكتب بالقاهرة .

(٥) زغيب ، شيماء ذو الفقار . مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٩) .

تمثل مجتمع الدراسة في الجمهور الفلسطيني وتم تطبيق الدراسة على عينة غير احتمالية (Non-probability Samples) (عبد العزيز، ٢٠١١، ص ١٥٥) ^(١) قوامها ٥٦ مفردة. وتم جمع البيانات خلال المدة الواقعة بين ٢٠١٤/٢ حتى ٢٠١٤/٥.

أدوات جمع البيانات :

تم استخدام استمارة ميدانية بوصفها أداة لجمع البيانات للدراسة، حيث تمثل تلك الاستبانة "أحد الأساليب الأساسية التي تستخدم في جمع بيانات أولية أو أساسية أو مباشرة من العينة المختارة، أو من جميع مفردات مجتمع البحث عن طريق توجيه مجموعة من الأسئلة المعدة مقدماً، وذلك بهدف التعرف على حقائق معينة، أو وجهات نظر المبحوثين واتجاهاتهم، أو الدوافع والعوامل والمؤثرات التي تدفعهم إلى تصرفات سلوكية معينة" (حسين، ٢٠٠٦، ص ٢٠٠) ^(٢).

وتم تقسم الاستبيان على خمسة محاور، هي: (الخصائص الديمغرافية، ومدى حرص الجمهور الفلسطيني على متابعة العدوان وتداعياته، وحجم الاعتماد على الفضائيات الإخبارية في متابعة أحداث العدوان وتداعياته، وتقييم الجمهور لمواقف الفضائيات الإخبارية من أحداث العدوان وتداعياته، ومستوى الأداء المهني للفضائيات الإخبارية في تغطية أحداث العدوان وتداعياته) وضمت الدراسة ثلاثة عشر سؤالاً متنوعة ما بين الأسئلة المفتوحة والمغلقة.

مصطلحات الدراسة :

القنوات الفضائية الإخبارية: مجموعة من القنوات الفضائية ذات الطابع الإخباري، وتقوم بتغطية الأحداث والتطورات في العالم ولها العديد من المكاتب والعاملين في العديد من الدول منها: قنوات فضائية إخبارية عربية، وأجنبية ناطقة باللغة العربية، والأجنبية الناطقة باللغات الأجنبية.

العدوان: الحرب التي شنت على قطاع غزة في الثامن من تموز (يوليو) ٢٠١١، وتعرض خلالها القطاع إلى عدوان استمر لمدة ٥١ يوماً، وذلك بشن آلاف الغارات الجوية والبرية والبحرية عليه، حيث استشهد جراء ذلك ٢١٦ فلسطينياً وأصيب الآلاف، وتم تدمير آلاف المنازل، وارتكاب مجازر مروعة.

الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة

١ - نوع المبحوثين :

جدول رقم (١)

توزيع المبحوثين على وفق المتغيرات الديمغرافية

المتغيرات الديمغرافية	التصنيف	ك	%
النوع	ذكر	430	76.5
	أنثى	132	23.5
السن	من ١٨ سنة إلى أقل من ٣٠ سنة	364	64.8

^(١) عبد العزيز، بركات، مناهج البحث الإعلامي: الاصول النظرية ومهارات التطبيق (القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠١١).

^(٢) حسين، سمير، ٢٠٠٦: مرجع سابق.

27.0	152	من ٣ سنة إلى أقل من ٤ سنة	
8.2	46	من ٤ سنة إلى أقل من ٦ سنة	
4.6	26	دون الثانوية العامة فما دون	
26.7	150	دبلوم متوسط	المؤهل العلمي
49.1	276	بكالوريوس	
13.9	78	ماجستير	
5.7	32	دكتوراة	
56.6	318	أقل من \$٥٠	الدخل
26.7	150	من \$٥٠ إلى أقل من \$١٠٠	
16.7	94	من \$١٠٠ فأكثر	
100	562	المجموع	

مناقشة نتائج الدراسة

١- درجة حرص المبحوثين على متابعة أحداث العدوان :

جدول رقم (٢)

درجة حرص المبحوثين على متابعة أحداث العدوان

%	ك	درجة حرص المبحوثين
93.2	524	دائماً
6.4	36	أحياناً
٠.4	2	لا
100	562	المجموع

تبين بيانات الجدول رقم (٢) أن متابعة المبحوثين خلال العدوان جاءت مرتفعة جداً؛ إذ أجاب نسبة ٩٣% من المبحوثين بأنهم يتابعون بصورة دائمة الأحداث في أثناء العدوان، وبنسبة ٦.٤% من المبحوثين أجابوا بـ(أحياناً)، وبنسبة ٠.٤% لا يتابعون أحداث العدوان، وهي نتيجة طبيعية خاصة في ظل العدوان طيلة ٥١ يوماً أن يتابع الجمهور الفلسطيني ويوأكب تفاصيل الأحداث مما يشر إلى كثافة متابعة وسائل الإعلام وقت الحروب والأزمات.

٢- درجة حرص المبحوثين على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه:

جدول رقم (٣)

درجة حرص المبحوثين على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه

درجة حرص المبحوثين	ك	%
دائماً	212	37.7
أحياناً	314	55.9
لا	36	6.4
المجموع	562	100

بيانات

يتضح من

الجدول رقم (٣) أن متابعة المبحوثين لتداعياتالعدوان بعد انتهائه انخفضت مقارنة بالنتيجة السابقة؛ إذ أجاب نسبة ٣٧.٧% من المبحوثين بأنهم يتابعون بصورة دائمة تداعيات العدوانبعد انتهائه ، وبنسبة ٥٥% من المبحوثين أجابوا ب(أحياناً)، وبنسبة ٦% لا يتابعون أحداث العدوان بعد انتهائه ، مما يدل على أن سخونة الاحداث والتطورات الميدانية في أثناء العدوان تتطلب متابعة أعلى من الجمهور الفلسطيني، في حين بعد انتهاء العدوان تدنى مستوى المتابعة وأهميتهعلى الرغم من أن تداعيات العدوان وأثاره التي تركها ما زالت مستمرة ويعاني منها الشعب الفلسطيني .

٣- جهة مصادر المعلومات التي اعتمد عليها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان:

جدول رقم (٤)

● جهة مصادر المعلومات التي اعتمد عليها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان

جهة المصادر	ك	%
مصادر فلسطينية	٥٦٢	١٠٠
مصادر عربية	251	٤٤.٦
مصادر أجنبية	130	٢٣.١
المجموع	562	100

يتبين من بيانات الجدول رقم (٤) أن جميع المبحوثين اعتمدوا على مصادر المعلومات الفلسطينية في متابعة أحداث العدوان بنسبة ١٠٠% ، يليها مصادر المعلومات العربية؛ إذ جاءت بنسبة ٤٤% ، وأخيراً مصادر المعلومات الأجنبية بنسبة ٢٣% . وقد يعود ذلك إلى مكان وقوع العدوان داخل فلسطين، وسهولة توافر المعلومات، ونقل الرسائل الإعلامية مباشرة من الميدان بصورة مستمرة أعطى أهمية وانفراداً في تغطية بعض الأحداث للمصادر الفلسطينية بخاصة تلك المتعلقة بالأجنحة العسكرية .

٤- وسائل الإعلام التي اعتمد عليها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان وتداعياته:

جدول رقم (٩)

*تم السماح للمبحوثين بإمكانية اختيار أكثر من بديل .

وسائل الإعلام التي اعتمدها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان وتداعياته●

الوزن النسبي	لا		أحياناً		دائماً		وسائل الإعلام
	%	ك	%	ك	%	ك	
0.91	3.9	22	18.1	102	77.9	438	محطات إذاعية
0.90	4.3	24	21.7	122	74.0	416	شبكة إنترنت
0.83	3.2	18	45.2	254	51.6	290	قنوات تلفزيونية
0.47	68.0	382	22.8	128	9.3	52	صحف

يتضح من بيانات الجدول رقم (٩) أن المحطات الإذاعية أكثر وسائل الإعلام التي اعتمدها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان وتداعياته بوزن نسبي ٠.٩٠ ، تلتها شبكة الإنترنت في المرتبة الثانية بوزن نسبي بلغ ٠.٩٠ ، ثم القنوات التلفزيونية في المرتبة الثالثة بوزن نسبي بلغ ٠.٨٣ ، وأخيراً الصحف في المرتبة الرابعة بوزن نسبي بلغ ٠.٤٧ .

وقد يرجع ذلك إلى انقطاع التيار الكهربائي المستمر عن قطاع غزة، وتوجه الجمهور الفلسطيني على وسائل بديلة ومتوفرة كالاستماع للإذاعة، أو تصفح الإنترنت عبر جهاز الهاتف النقال ولا تحتاج إلى طاقة عالية كما هو الحال في مشاهدة التلفزيون ، وأن عملية نقل الصحف من مكان إلى مكان يشكل خطورة كبيرة على القائمين على عملية التوزيع، وكذلك على القراء خلال شراء الصحف في أثناء العدوان .

٥- درجة الاعتماد على القنوات الإخبارية لمتابعة أحداث العدوان وتداعياته:

جدول رقم (١٠)

درجة الاعتماد على القنوات الإخبارية لمتابعة أحداث العدوان وتداعياته

الوزن النسبي	لا أشاهدها		قليلة		متوسطة		كبيرة		درجة الاعتماد القنوات	
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
0.85	6.4	36	10.7	60	20.6	116	62.3	350	الجزيرة	
0.65	27.4	154	17.4	98	24.2	136	31.0	174	الميادين	
0.52	43.1	242	22.8	128	19.2	108	14.9	84	BBCعربي	
0.50	47.3	266	21.0	118	17.1	96	14.6	82	العربية	
0.49	42.7	240	27.0	152	19.9	112	10.3	58	روسيا اليوم	
0.44	58.0	326	16.7	94	16.0	90	9.3	52	CNN	
45.6	256	14.6	82	4.6	26	20.6	116	14.6	82	CNN
53.0	298	11.7	66	1.1	6	21.4	120	12.8	72	TRTالتركية
40.9	230	16.0	90	3.6	20	27.0	152	12.5	70	روسيا اليوم
47.0	264	17.1	96	6.0	34	19.2	108	10.7	60	الحرّة

تم السماح للمبحوثين بإمكانية اختيار أكثر من بديل .

52.0	292	18.1	102	4.3	24	14.9	84	10.7	60	فرنسة ٢
46.6	262	13.2	74	2.8	16	27.0	152	10.3	58	BBCدولي
54.1	304	15.7	88	6.8	38	13.9	78	9.6	54	الإخبارية السعودية

تبين بيانات الجدول رقم (٨) أن قناة الجزيرة جاءت في المرتبة الأولى من حيث تضمها وجهتي النظر في تغطية أحداث العدوان تلتها في المرتبة الثانية قناة الميادين ، في حين أن القناة الإخبارية السعودية حازت على أعلى نسبة عدم المشاهدة من المبحوثين خلال العدوان الإسرائيلي على غزة ، وذلك بنسبة ٥٤% ، ثم قناة النيل الإخبارية المصرية بنسبة ٥٢% .

ويمكن تفسير ذلك باعتماد قناتي الجزيرة والميادين على استضافة العديد من المحللين السياسيين والناطقين الإعلاميين لعرض مختلف وجهات النظر ؛ وعلى الرغم من ذلك فإن نسبة كبيرة من المبحوثين تشير إلى تبني القناتين وجهة نظر واحدة وهنا يمكن القول إن القناتين تتبنى وجهة النظر الفلسطينية مع محاولة خلق نوع من التوازن في عرض وجهات النظر الأخرى.

٨- تقييم مستوى أداء الإعلاميين العاملين في القنوات الفضائية الإخبارية من حيث دعمهم لأحداث العدوان وتطوراتها:

جدول رقم (٩)

تقييم مستوى أداء الإعلاميين من حيث دعمهم لأحداث العدوان

الوزن النسبي	لا أشاهدها		لا أعرف		سلي		إيجابي		مستوى أداء الإعلاميين القنوات
	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
0.94	5.3	30	2.1	12	5.7	32	86.8	488	الجزيرة
0.77	23.1	130	7.5	42	6.4	36	63.0	354	الميادين
0.69	23.1	130	11.0	62	33.8	190	32.0	180	العربية
0.59	39.9	224	16.7	94	11.0	62	32.4	182	روسيا اليوم
0.58	35.2	198	25.3	142	11.0	62	28.5	160	BBCعربي
0.54	43.1	242	19.9	112	13.5	76	23.5	132	CNN
0.53	48.4	272	17.8	100	5.7	32	28.1	158	التركية TRT
0.53	49.1	276	18.5	104	4.6	26	27.8	156	الجزيرة الإنجليزية
0.53	44.8	252	21.4	120	11.0	62	22.8	128	BBCدولي
0.51	45.9	258	22.8	128	14.2	80	17.1	96	الحرّة
0.51	45.9	258	21.7	122	13.5	76	18.9	106	فرنسة ٢
0.51	49.1	276	19.6	110	10.3	58	21.0	118	العالم الإيرانية
0.50	47.7	268	17.1	96	21.0	118	14.2	80	الإخبارية السعودية
0.48	49.1	276	18.9	106	21.4	120	10.7	60	النيل الإخبارية المصرية

تبين بيانات الجدول رقم (٩) أن مستوى أداء إعلامي قناة الجزيرة من أكثر القنوات الفضائية الإخبارية الداعمين والمساندين إيجابياً لأحداث العدوان وتطوراتها بنسبة ٨٦% ، تلتها قناة الميادين بنسبة ٦٣% ، في حين أن قناة العربية شغلت المرتبة الأولى في أداء الإعلاميين العاملين فيها سلبياً بنسبة ٣٣% ، وتلتها في المرتبة السلبية قناة النيل الإخبارية المصرية بنسبة ٢١% .

الملاحظ أن درجة الاعتماد ومستوى التوازن ومستوى أداء الإعلاميين الإيجابي في دعم أحداث العدوان على غزة لقناتي الجزيرة والميادين مرتبطة مع بعضها بعضاً، مما يفسر بأن كلما كان العاملون في القناة داعمين ومساندين للقضايا العربية بخاصة القضية الفلسطينية كانت المتابعة والاعتماد عليها بوصفها مصدرًا للمعلومات أكبر.

9- الفروق بين الذكور والإناث في الحرص على متابعة أحداث العدوان :

جدول رقم (١)

الفروق بين الذكور والإناث في الحرص على متابعة أحداث العدوان

مستوى المعنوية	درجة الحرية	قيمة T	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	معدل الحرص النوع
0.169	٥٦٠	1.695	0.239	2.94	430	ذكر
			0.355	2.89	132	أنثى

باستخدام اختبار T وذلك لقياس الفروق بين متوسطات مدى الحرص على متابعة أحداث العدوان (٥ يوماً) والنوع، تشير البيانات الواردة في الجدول السابق إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية الخاصة بمعدل الحرص وبين النوع، وأيدت ذلك قيمة T التي بلغت ١.٦٩، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.١، وبالنظر إلى المتوسط الحسابي نجد أن من يحرصون على متابعة أحداث العدوان لدى الذكور جاء أكثر حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي ٢.٩، وجاءت قيمة المتوسط الحسابي للإناث 2.89.

ويرجع ذلك إلى أن لحظة العدوان الجميع مستهدف ذكورا وإناثا؛ مما حدا بالجميع لمتابعة أحداث العدوان الذي يمس كل الفلسطينيين بخاصة أن العدوان لم يتوقف طيلة ٥ يوماً.

١٠- الفروق بين الذكور والإناث في الحرص على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه :

جدول رقم (١)

الفروق بين الذكور والإناث في الحرص على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه

مستوى المعنوية	درجة الحرية	قيمة T	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	معدل الحرص النوع
٠.008	٥٦٠	2.616	.591	2.35	430	ذكر
			.559	2.20	132	أنثى

باستخدام اختبار T وذلك لقياس الفروق بين متوسطات مدى الحرص على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه والنوع، تشير البيانات الواردة في الجدول السابق إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية الخاصة بمعدل الحرص على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه وبين النوع، وأيدت ذلك قيمة T التي بلغت ٢.٦١، وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠٠٥، وبالنظر إلى المتوسط الحسابي نجد أن من يحرصون على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه لدى الذكور جاء أكثر حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي ٢.٣، وجاءت قيمة المتوسط الحسابي للإناث 2.20.

وقد يكون ذلك إلى اهتمام الذكور أكثر بتبعات العدوان وتداعياته على الحياة الاقتصادية، وانسداد الأفق والأمل أمام الشباب الباحثين عن فرص العمل؛ في حين أن الإناث طبيعتهم تعتمد على العاطفة، وقد زال الخوف والاهتمام بمجرد الانتهاء من العدوان؛ لذلك كان هناك توحيد في المتابعة بين الذكور والإناث في أثناء العدوان.

أهم نتائج الدراسة

١ - كشفت الدراسة أن متابعة المبحوثين خلال العدوان جاءت مرتفعة جداً؛ إذ أجاب نسبة ٩٣% من المبحوثين بأنهم يتابعون بصورة دائمة الأحداث في أثناء العدوان، وبنسبة ٦% من المبحوثين أجابوا (أحياناً)، وبنسبة ٠% لا يتابعون أحداث العدوان؛ في حين أجاب نسبة ٣٧% من المبحوثين بأنهم يتابعون بصورة دائمة تداعيات العدوان بعد انتهائه، وبنسبة ٥٥% من المبحوثين أجابوا (أحياناً)، وبنسبة ٦% لا يتابعون أحداث العدوان بعد انتهائه.

٢ - أشارت الدراسة إلى أن جميع المبحوثين اعتمدوا على مصادر المعلومات الفلسطينية في متابعة أحداث العدوان بنسبة ١٠٠%، يليها مصادر المعلومات العربية؛ إذ جاءت بنسبة ٤٤%، وأخيراً مصادر المعلومات الأجنبية بنسبة ٢٣%.

٣ - أوضحت الدراسة أن المحطات الإذاعية أكثر وسائل الإعلام التي اعتمد عليها المبحوثون في متابعة أحداث العدوان وتداعياته بوزن نسبي ٠.٩، تلتها شبكة الإنترنت في المرتبة الثانية بوزن نسبي بلغ ٠.٩، ثم القنوات التلفزيونية في المرتبة الثالثة بوزن نسبي بلغ ٠.٤، وأخيراً الصحف في المرتبة الرابعة بوزن نسبي بلغ ٠.٤.

٤ - بينت الدراسة أن قناة الجزيرة القطرية شغلت المرتبة الأولى في درجة اعتماد المبحوثين على القنوات الإخبارية لمتابعة أحداث العدوان وتداعياته، تلتها قناة الميادين وتذيلت القائمة قناة النيل الإخبارية المصرية والإخبارية السعودية، وأن قناتي الجزيرة والميادين حازتا على أعلى مستوى في التغطية الفورية للقنوات الفضائية الإخبارية في متابعة أحداث العدوان، في حين أن قناتي النيل الإخبارية المصرية والإخبارية السعودية تذيلت قائمة القنوات الإخبارية.

٥ - بينت الدراسة أن قناة الجزيرة جاءت في المرتبة الأولى من حيث تضمينها وجهتي النظر في تغطية أحداث العدوان، تلتها في المرتبة الثانية قناة الميادين، في حين أن القناة الإخبارية السعودية حازت على أعلى نسبة عدم مشاهدة من المبحوثين خلال العدوان الإسرائيلي على غزة، وذلك بنسبة ٥٤%، ثم قناة النيل الإخبارية المصرية بنسبة ٥%.

٦ - أوضحت الدراسة أن مستوى أداء إعلامي قناة الجزيرة من أكثر القنوات الفضائية الإخبارية الداعمين والمساندين إيجابياً لأحداث العدوان وتطورات بنسبة ٨٦%، تلتها قناة الميادين بنسبة ٦٢%، في حين أن قناة العربية شغلت المرتبة الأولى في أداء الإعلاميين العاملين فيها سلبياً بنسبة ٣٣%، تلتها في المرتبة السلبية قناة النيل الإخبارية المصرية بنسبة ٢١%.

٧ - بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية الخاصة بمعدل الحرص في أثناء العدوان وبين النوع، وأيدت ذلك قيمة T التي بلغت ١.٦٩، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.١٦، وبالنظر إلى المتوسط الحسابي نجد أن من يحرصون على متابعة أحداث العدوان لدى الذكور جاء أكثر، حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي ٢.٩، وجاءت قيمة المتوسط الحسابي للإناث 2.89.

٨ - وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية الخاصة بمعدل الحرص بعد انتهاء العدوان وبين النوع، وأيدت ذلك قيمة T التي بلغت ٢.٦١، وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى معنوية ٠.٠٠، وبالنظر إلى المتوسط الحسابي

نجد أن من يحرصون على متابعة تداعيات العدوان بعد انتهائه لدى الذكور جاء أكثر حيث بلغت قيمة المتوسط الحسابي ٢.٣٥ ، وجاءت قيمة المتوسط الحسابي للإناث 2.20 .

توصيات الدراسة:

في ضوء نتائج الدراسة يقترح الباحث مجموعة من التوصيات موجهة للمعنيين بالقنوات الفضائية بعامه والقنوات الإخبارية بخاصة ولاسيما وقت الأزمات والحروب :

١. ضرورة قيام القنوات الفضائية الإخبارية بالتغطية الفورية للأحداث وتطورات أي عدوان أو أزمة تمر بها المنطقة العربية من خلال أفراد مساحة زمنية متواصلة للبت الحي والمباشر وإجراء المقابلات والتغطية الخاصة من مكان الأزمة أو الحرب .

٢. مراجعة القائمين على القنوات الفضائية الإخبارية بخاصة ذات المشاهدة المتدنية سياساتها وطريقتها معالجتها في تغطية أحداث المنطقة بما يعزز من جذب المشاهدين إليها .

٣. أن توفر القنوات الفضائية الإخبارية مكاتب وإمكانات تقنية وفنية وطواقم ذوي مهارات عالية في جميع المناطق بخاصة في مناطق الأحداث الساخنة كفلسطين .

٤. عرض القنوات الفضائية الإخبارية وجهات النظر المختلفة مع تنبني وجهة النظر الفلسطينية بما يخدم القضايا العربية من خلال استضافة العديد من المحللين السياسيين والناطقين الإعلاميين لعرض مختلف وجهات النظر؛ (أي: محاولة خلق نوع من التوازن).

٥. أن يكون مستوى أداء الإعلاميين العاملين في القنوات الفضائية الإخبارية إيجابياً فيما يدعم ويساند ويخدم القضايا العربية وأن يتسموا بالمسؤولية المهنية والوطنية والأخلاقية.

٦. أن تسعى القنوات الفضائية الإخبارية إلى توفير مصادر خاصة ونوعية لعرض المادة المرئية ذات الانفراد والحصري بما يرفع من نسبة المتابعين والمشاهدين لها .

٧. أن تستمر القنوات الفضائية الإخبارية في عرض ما وراء الأحداث من تداعيات عبر القصص الإنسانية وتفصيل الأحداث وتطوراتها المتلاحقة لاستقطاب المشاهدين لمواكبة ما هو جديد وشيق وعدم التوقف بمجرد انتهاء العدوان أو الأزمة .

٨. أن تستثمر القنوات الفضائية الإخبارية التكنولوجيا الحديثة في بث المواد المرئية المسموعة عبر وسائل حديثة كمشاهدة القنوات عبر تطبيقات الهواتف الذكية النقالة والإنترنت بخاصة في أوقات الأزمات التي يكثر فيها انقطاع التيار الكهربائي والتشويش عبر الأقمار الصناعية .

المدخل الاقتصادي في الإصلاح السياسي: مراجعة تبني الجزائر لخيار الكوتا في السياق العربي

أ. نجيبية بولوبر، أستاذة باحثة / قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر - باتنة-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إمطة اللثام عن ذلك السياق الذي يختلف في طبيعته عن عملية التغيير التي مست مختلف القوانين على غرار قانون الانتخابات، قانون الأحزاب، قانون الإعلام بفتح الفضاء السمعي البصري وأخيرا توسيع تواجد المرأة في الفضاء النيابي. كل ذلك لغاية واحدة هي تنظيم قواعد العملية السياسية، واعتماد المقاربة المشاركة التي تضم الطرفين السياسي والمجتمعي، وعليه تُشكّل هذه المتغيرات مجتمعةً السياق الداخلي للإصلاح في الجزائر أو إصلاحات الرئيس كما تعارف علمها إعلاميا. وعلمها القيمة المضافة لهذه الدراسة هي كشفها عن السياق الخارجي الذي صاحب ما ذكر أعلاه والذي كان عربيا بعيدا عن الطبيعة السياسية للمتغيرات المألوفة، فخصوصيته هذه إنّما يستشفها من خصوصية بيئة دراسته.

الكلمات المفتاح: الكوتا النسوية، البيئة العربية والجزائر، الإصلاح السياسي، التمويل الخارجي.

Abstract :

This study aims to reveal the context in which it differs from the process of change that has touched the various laws such as the electoral law, the law of parties, media law when open the audio-visual space and eventually expand the presence of women in parliament Space. All this for one purpose is to organize the political process rules and adopt an approach which includes the participation of political sides and the community, and therefore these variables make up with each other the internal context for reform in Algeria or the President reforms long as the media. Accordingly, the added value of this study is the detection of the external context in which they came at the same time and as mentioned above, it is the Arab context, which is different in nature from the political nature of the variables of familiar. Therefore this variable privacy by specificity from the study environment.

مقدمة:

ارتبط مفهوم الإصلاح السياسي في الجزائر بعملية التغيير التي مست مختلف القوانين على غرار قانون الانتخابات، وقانون الأحزاب، وقانون الإعلام بفتح الفضاء السمعي البصري وأخيرا توسيع تواجد المرأة في الفضاء النيابي. كل ذلك بمسعى واحد هو تنظيم قواعد العملية السياسية واعتماد المقاربة المشاركة أو الاحتوائية- إن صح التعبير- للطرف الثاني من المعادلة السياسية على الساحة ألا وهو المجتمع، ودعوى ذلك دائما هي تأكيد إسهام هذا الأخير، بخاصة في عمليات التشريع التي تُعنى بقضايا الشأن العام.

من منطلق ذلك اعتبرت الدولة الجزائرية الاهتمام بالرابطة التي تجمع المرأة بالسياسة من أولوياتها بعيدا من أهم مسارات الإصلاح السياسي هذا من جهة، ومن جهة ثانية في إطار تأكيدها على ديمقراطيتها وبحثها عن مسوغات أخرى تقوي

بها نسيجها السلطوي. وعليه وعلى غرار باقي الدول التي آمنت بهذه الخطوة وشرعت في تطبيقها عمليا حذت الجزائر حذو الدول السبقة نحو هذا الإجراء متبينة آلية الدعم العددي الكوتا النسوية.

وتتجدد بنا الإشارة إلى أنّ محاولات إقحام المرأة - بالتركيز على المرأة العربية- في الفضاء العام ليست بالجديدة، فهي متداولة منذ عصر النهضة الذي يؤرخ له تقريبا بمنتصف القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين بوصفه جزءاً من كل هو عملية العصرية والتحديث. وفي هذا السياق لا يسعنا إلاّ التعرّيج على الدعوة الشهيرة التي قادها قاسم أمين لتحرير المرأة وما صاحبها من جدل كبير استمر لعقود بعد ذلك مع مفكري ذلك العصر ممن سعوا لتأكيد حق المرأة السياسي كما حققها الاجتماعي على قدم المساواة مع الرجل. غير أنّ حالات المدّ والجزر التي تعرضت لها المكاسب النسوية في بعدها السابقين بخاصة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي من متشدّين للذهنية الأبوية والثقافة الذكورية محاولين الإبقاء على الأنماط التقليدية لدور المرأة، واستبعادها من مجالات التأثير المجتمعي والسياسي أجج دعوات إشراكها في قضايا الشأن العام بخاصة في جزئية احتلال المناصب القيادية في الدولة بما فيها البرلمانات الوطنية التي أستخدمت لتجاوز فجوتها آلية دعم لسنا في مقام لتقييم مدى ديمقراطيتها أو دستوريتها.

تتناول هذه الورقة السياق الخارجي لتبني خيار الكوتا النسوية الذي يضع التجربة الجزائرية في بيئتها العربية بحكم القواسم المشتركة التي تجمع البيئتين بعيدا عن شعارات الوحدة والمصير المشترك، محاولةً الإجابة عن تساؤل جوهري حول المتغيرات ذات الخصوصية التي أهملتها الدراسات الغربية المنظرّة بعيداً عن المتطلبات المحلية، بمنهجية تحليلية أكثر منها توصيفية لهذه المتغيرات. والإجابة عن هذا التساؤل تكون من خلال معالجة العناصر الآتية:

١. واقع التمثيل النيابي للمرأة العربية.

٢. الكوتا النسوية في الجزائر: هل شكلت الورقة الراجعة لتمثيل المرأة النيابي؟

٣. معادلة تبني خيار الكوتا عربياً: التمويل الخارجي متغير عالي الدلالة فيها.

في دراسة مسحية لـ^٢ دولة عربية تطرح Christina WelborneBozena تساؤلاً استهلالياً حول السبب الذي يجعل مستوى التمثيل الجندي (النسوي)، وإصلاح السياسات النوعية في لبنان أقل منه في المغرب على الرغم من أنّ البيئة الأولى تشهد مستوى تعليمياً أحسن من الثانية التي تعد من أعلى معدلات الأمية في العالم. وما يخلق الفجوة في العالم العربي هو أن منظري التحديث من Seymour Martin Lipset وصولاً إلى Ronald Inglehart² و Norris Pippa² أشهر دارسي تقاطع حقلي التمثيل السياسي والنوع الاجتماعي، كلهم توقعوا خلاف ذلك. فما الذي يفسّر هذا التناقض؟

أولاً: واقع التمثيل النيابي للمرأة العربية

نستعرض من خلال هذه الجزئية واقع تمثيل المرأة العربية على مستوى مجالسها الوطنية، وهذا ما نُعبّر عنه احصائيات الجدول أدناه في سياق مقارن تُوضّح من خلاله نسب زيادة متوسط تمثيل المرأة في العالم العربي مقارنة بمناطق أخرى في العالم، حيث اعتمدت حتى سنة ٢٠٠٠ إحدى عشر دولة نظام الحصص على الرغم من السجل الحافل الذي

¹Christina WelborneBozena, « The Strategic Use of Gender Quotas in the Arab World », **William and Kathy Hybl Democracy Studies Fellowship Paper**, IFES Fellowship in Democracy Studies, 2010.

² Look at :

Ronald Inglehart and Pippa Norris, « The True Clash of Civilizations », **Foreign Policy**, N. 135. (Mar - Apr, 2003), pp. 62-70.

شهدته المنطقة من تغيرات بنكهة الإصلاح السياسي، وقد انتقل متوسط التمثيل الإقليمي في العالم العربي من ٤ إلى ٩% منذ مطلع الألفية الثالثة تزامنا واعتمادًا على نظام الكوتا النسوية في المنطقة، فخلال عشرية من الزمن ٢٠١٢-٢٠٠١ شغلت النساء في المنطقة العربية ٦.٣% فقط من المقاعد البرلمانية قبل أن تشهد قفزة ملحوظة في مارس ٢٠١٢ إلى ما يقارب ١٥%؛ أي: بزيادة تقارب ١%.

وما سُجل في ما يقارب ٥٩ عملية انتخابية عُقدت خلال عام ٢٠١٢ حول العالم، استخدام ١٦ دولة لشكل من أشكال نظام الكوتا النسوية، فشهدت تلك الدول حصول النساء على ٢٧% من المقاعد مقابل ١٦% فقط في دول لا تعتمد على الكوتا، وهذا مؤشر عن مسعى الدعم العددي الذي تصبو إلى تحقيقه نظم الكوتا على اختلافها: تشريعية، حزبية وتخصيص المقاعد!

جدول رقم (١): يوضح ترتيب متوسط التمثيل النيابي للمرأة العربية اقليميا

المتوسط الإقليمي لتمثيل المرأة في المجالس النيابية	المجلس الفردي أو مجلس النواب	مجلس الشيوخ أو الأعيان	الدمج المجلسين
بلدان الشمال الأوروبي	42.0%	-	-
البلدان الأعضاء في منظمة الأمن والتعاون - بما في ذلك بلدان الشمال الأوروبي	24.6%	22.6%	24.2%
الأمريكتان	24.2%	23.8%	24.1%
البلدان الأعضاء في منظمة الأمن والتعاون - باستثناء بلدان الشمال الأوروبي	23.0%	22.6%	22.9%
أفريقيا جنوب الصحراء	21.1%	18.7%	21.7%
آسيا	19.1%	13.8%	18.5%
الدول العربية	17.8%	7.7%	15.9%
دول المحيط الهادي	13.1%	38.6%	15.9%

المصدر: مايا مرسي، "دور المرأة في المجالس المنتخبة"، ورقة مفاهيمية مقدمة في مؤتمر: نحو مشاركة فاعلة

ومستدامة للمرأة في المجالس المنتخبة، الجزائر، ١ ديسمبر ٢٠١٣، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، ص ٤.

يلخص الشكل والجدول المواليين ما جاء به تقرير الاتحاد البرلماني العالمي لعام ٢٠١٢ حين أوضح أنّ هذا العام شهد نمو أكبر من المعتاد لمشاركة المرأة العربية في الحياة السياسية، مسجلا أكبر تقدم في الانتخابات التشريعية لثلاث دول تُطبّق الكوتا لأول مرة، هي: الجزائر، والسنغال وتيمور الشرقية^٢. وأبرز التقرير أنّ الجزائر هي أولى الدول العربية التي تخطت نسبة تواجد المرأة في برلمانها عتبة ٣%^٣. ١% معتبرا ذلك إنجازا ملحوظا في المنطقة كما نوه التقرير إلى تقدم المملكة العربية السعودية بمشاركة المرأة في برلمانها لأول مرة فانتقلت المشاركة من العدم إلى ١٩% في عام واحد، وكذلك الحال في ليبيا التي وصلت النسبة فيها إلى ١٦%، ومن ناحية أخرى شهدت مصر انخفاضا في نسبة نساءها البرلمانيات في انتخابات ٢٠١٢ مقارنة بسابقتها حيث تراجعَت نسبتهم إلى ١٢%.

¹Mona Lena Krook, « Gender Quotas as a Global Phenomenon: Actors and Strategies in Quota Adoption », *European Political Science*, 3 (3), 2004, pp 59-65.

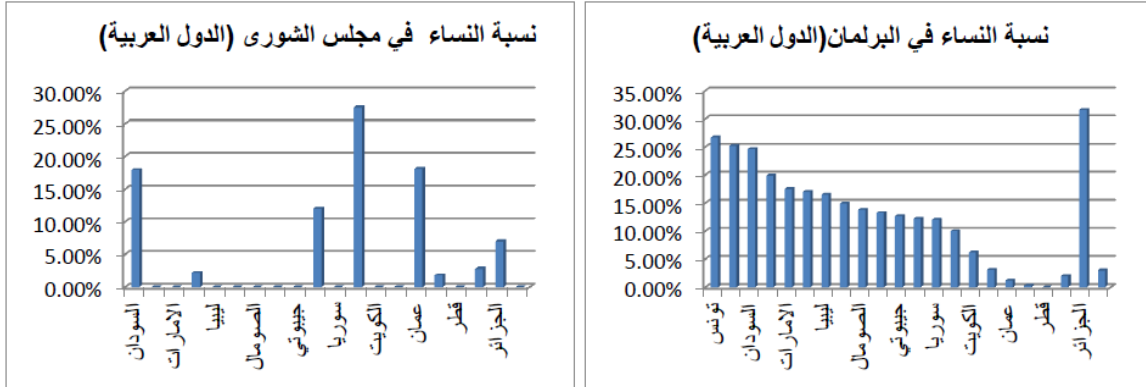
للتوسع أكثر حول واقع المشاركة السياسية للمرأة العربية انظر:

هيئة التحرير، " مشاركة النساء في الحياة السياسية في البلدان العربية "، سلسلة أوراق ديمقراطية، مركز العراق لمعلومات الديمقراطية، (سبتمبر، ٢٠٠٥)،

ص (٥٢ - ٥٤). من الموقع: www.iraqdemocracyinfo.org

مايا مرسي، " دور المرأة في المجالس المنتخبة "، ورقة مفاهيمية مقدمة في مؤتمر: نحو مشاركة فاعلة ومستدامة للمرأة في المجالس المنتخبة، الجزائر، ١٠ ديسمبر ٢٠١٣، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، ص ٥.

شكل رقم (٥): نسبة النساء الممثلات في البرلمانات العربية



المصدر: مايا مرسى، "دور المرأة في المجالس المنتخبة"، ورقة مفاهيمية مقدمة في مؤتمر: نحو مشاركة فاعلة

ومستدامة للمرأة في المجالس المنتخبة، الجزائر، ١ ديسمبر ٢٠١٠، البرنامج الانمائي للأمم المتحدة، ص ٥.

وتفسير أسباب هذا الانخفاض الكبير في مستويات تمثيل النساء بحسب الأدبيات المتخصصة التي أجمعت -أغلب المطلاع عليها- على تصنيف هذه العوائق إلى ثلاثة مجالات كبرى: سياسية، وسوسيو-اقتصادية وايدولوجية-نفسية، أو تُعرف في كتابات أخرى بالاجتماعية-الثقافية^١. وللتخصيص أكثر فقد قدم Matland مقاربة نظرية لتفسير فجوة التمثيل بمنظور غير غربي، في بحثه عن جواب لتساؤل فحواه: هل العوائق التي يواجهها العمل السياسي للمرأة هي نفسها في كل بقاع العالم؟

مقاربة العالم الثالث حول العوائق التي تواجهها المرأة في السياسة:

يرى Matland أنّ النساء في دول العالم الثالث تواجهن حواجز تجعل من الصعب إن لم نقل من المستحيل عليهنّ أن يندمجن في العملية السياسية بعامة، وهذا لا ينفي قدرة المقاربة الغربية على تفسير بيئة هذا العالم، فالاختلاف يكمن في أن كل بيئة يميّزها صنف مميّز من المعوقات من دون الأخرى.

يضيف Matland أنّ اعتماد الكوتا جاء دعماً لحضور المرأة في السياسة، وفي هذا السياق جاء تساؤله الثاني عمّا يمكن للنساء أن تضيفه للسياسة عند اقتحامها؟ ونظراً لقلّة الأدبيات غير الغربية حول التمثيل النيابي للمرأة في العالم المتخلف لا يمكن للإجابة المُقدمة أن تكون موضوعية^٢.

إنّ قلّة الأدبيات لا ينفي إجماعها - بالمطلق - حول معاناة النساء من صعوبات عديدة في وجه حقوقهنّ ضمن نسق سياسي قد يعترف بها شكلاً ويقمعها بكل مكوناته الفرعية مضموناً. وتنشأ هذه الصعوبات عادة من الثقافة المجتمعية السائدة، وتقديسها للسلطة الأبوية التي تتحكم في كل المجالات المجتمعية وليس في السياسية فحسب. وعليه يكون من الصعوبة على المرأة أن تنخرط في المؤسسات السياسية على اختلافها، وهذه الأخيرة لم يبلغ نضجها درجة تشجيع العنصر النسوي على

¹NadezhdaShvedova, «Obstacles to Women's Participation in Parliament», In : Julie Ballington and Azza Karam, **Women in Parliament: BeyondNumbers**, HandbookSeries IDEA: Stockholm, Sweden, 2005, pp 35-39.

²Ritchard. E. Matland, «Women'sRepresentation in National Legislatures : Developed&Developingcountries», **LegislativeStudiesQuarterly**, 23,(01),1998, pp 109-125.

For more information look at :

Richard E. Matland, «EnhancingWomen'sPolitical Participation: LegislativeRecruitment and Electoral Systems», In : Azza Karam (ed), **Women in Parliament: BeyondNumbers**, International IDEA : HandbookSeries 02, 1998, pp 93-98.

الانخراط ضمن صفوفها، ومن ثم - وفي خطوة أكثر نضجا- إدراج المرأة في قائمة المترشحين. و اللوم في ذلك لا يقع على الأحزاب فحسب بل إن سواده الأعظم يتحمله جين الناخبين الذين لا يتخلون عن تمسكهم بـ"قدسية" السمات الفردية النوعية واختيارهم للمرشحين الرجال على حساب النساء. حتى لو نجحت المرأة في أن تكون عضوة في إحدى الهيئات السياسية فإنها حتما ستواجه صعوبات أخرى تكبح نشاطها¹، وهذا ما يؤكد دورة حياة الثقافة المُشبعة بتزعة الجنوح نحو السلطة الأبوية

جدول رقم (٥): مشاركة مقارنة للمرأة في البرلمان بغرفتيه عبر الدول العربية

مشاركة المرأة في البرلمان ومجالس الشورى تصنيف الدول العربية ¹⁶									
الدولة	البرلمان			مجلس الشورى			انتخاب	عدد المقاعد	نسبة النساء
	انتخاب	عدد المقاعد	نسبة النساء	انتخاب	عدد المقاعد	نسبة النساء			
1 تونس	10 2011	217	26.70%	---	---	---	---	---	---
2 العراق	3 2010	325	25.20%	---	---	---	---	---	---
3 السودان	4 2010	354	24.60%	5 2010	28	17.90%	5	5	17.90%
4 السعودية	1 2013	151	19.90%	---	---	---	---	---	---
5 الإمارات	9 2011	40	17.50%	---	---	---	---	---	---
6 المغرب	11 2011	395	17.00%	10 2009	270	2.20%	6	6	2.20%
7 ليبيا	7 2012	200	16.50%	---	---	---	---	---	---
8 تشاد	2 2011	188	14.90%	---	---	---	---	---	---
9 الصومال	8 2012	275	13.80%	---	---	---	---	---	---
10 النيجر	1 2011	113	13.30%	---	---	---	---	---	---
11 جيبوتي	2 2013	55	12.70%	---	---	---	---	---	---
12 الأردن	1 2013	148	12.20%	10 2013	75	12.00%	9	9	12.00%
13 سوريا	5 2012	250	12.00%	---	---	---	---	---	---
14 البحرين	10 2010	40	10.00%	11 2010	40	27.50%	11	11	27.50%
15 الكويت	7 2013	65	6.20%	---	---	---	---	---	---
16 لبنان	6 2009	128	3.10%	---	---	---	---	---	---
17 عمان	10 2011	84	1.20%	10 2011	83	18.10%	15	15	18.10%
18 اليمن	4 2003	301	0.30%	4 2001	111	1.80%	2	2	1.80%
19 قطر	7 2013	35	0.00%	---	---	---	---	---	---
20 مصر	11 2011	508	2.00%	1 2012	180	2.80%	5	5	2.80%
21 الجزائر	5 2012	462	31.60%	12 2012	142	7%	10	10	7%
22 جزر القمر	12 2009	33	3.00%	---	---	---	---	---	---

المصدر: مايا مرسي، "دور المرأة في المجالس المنتخبة"، ورقة مفاهيمية مقدمة في مؤتمر: نحو مشاركة فاعلة

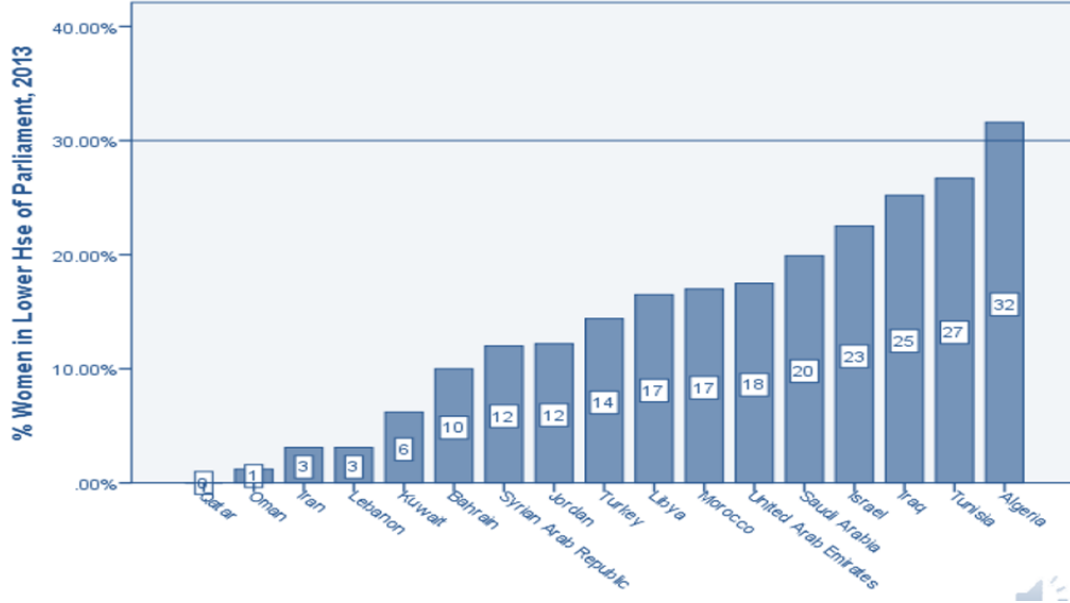
ومستدامة للمرأة في المجالس المنتخبة، الجزائر ١٠ ديسمبر ٢٠١٠، البرنامج الانمائي للأمم المتحدة، ص ٥.

ثانيا: الكوتا النسوية في الجزائر: هل شكلت الورقة الراجعة لتمثيل المرأة النيابي؟

بعد التعرّيج على البيئة العربية بعامة ننتقل إلى البيئة الجزائرية لنستشف من الشكل الموالي الموقع الذي تشغله المرأة في تمثيلها النيابي بين النساء العربيات من خلال دراسة احصائية لاتحاد البرلمان العالمي والذي يُقدم دوريا دراسات احصائية عبر اقليمية لمستويات تمثيل النساء في المجالس الوطنية في العالم.

¹ Caroline Szyber, « Giving voice to the voiceless : A Field study from India about capacity building towards women in Panachayats as an instrument for empowerment », Department of political science, Stockholm University, 2005, p10.

شكل رقم ٢٠): ترتيب تمثيل المرأة الجزائرية بين البرلمانات العربية لعام ٢٠١٣



المصدر: اتحاد البرلمانات العالمي، ديسمبر ٢٠١٣، من الموقع: www.upi.org

يوضح الشكل أعلاه نسب النساء الممثلات في ١٧ مجلسا عربيا منتخبا بما فيها الجزائر التي تحقق أعلى مستويات التمثيل بينها وتشغل المركز الأول بـ ٣٢%. ومرد ذلك هو اعتمادها على نظام الكوتا النسوية-الذي سنتناوله بشيء من التفصيل قصد التعرف على ملامحه بعد الورقة الرابعة التي اعتمدها الدولة الجزائرية لدعم تمثيل نساءها- في آخر انتخابات تشريعية سبقت هذه الاحصاءات ألا وهي تشريعات ماي ٢٠١١. وعلى خلاف الأدبيات الواسعة في العالم الغربي التي تدرس أسباب الانتشار السريع لخيار الكوتا فيها^١ ما تزال هذه الدراسات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا قليلة وطور الاكتشاف، فبين تأثير النخب والمنظمات غير الحكومية لتبني هذا الخيار تتماثل العوامل المؤثرة في خيار الكوتا في العالم العربي مع بعض الفروقات حول الإسلام بوصفه ديانة وطنية سائدة من دون أن ننسى الثقافة القبلية المحافظة^٢.

الحدود التشريعية والتنظيمية الضابطة للكوتا النسوية في الجزائر

إيماننا بأنها المرأة عنصر مهم في عملية التمثيل السياسي الذي لا تكتمل صورته إلا بنظرتها المتميزة لمشاكل مجتمعا وحلولها الخلاقة التي تعكس طبيعتها الأنثوية، وفي إطار تطبيق نص المادة الدستورية^٣ مكررا تلك التي استحدثها التعديل

^١ وتجدر الإشارة إلى تلك التعددية التي شهدتها متغيرات دراسة مفهوم التمثيل السياسي للمرأة ببعديه معا أو /في بعده الانتخابي، حيث قامت كل دراسة باضفاء متغير جديد وإثبات مدى علاقته بمذنب المفهومين، وعلى تعددها لا يسمح المجال لاستعرا ضنها كلها. وعموما يتم تصنيفها لأغراض منهجية إلى عوامل مؤسسية وأخرى ثقافية/مجتمعية، حتى هناك من الدراسات من أضافت مجموعة ثالثة تتعلق بالعوامل الخارجية وهي جوهر تركيز ورقتنا هذه. المزيد من المعلومات، انظر:

Alexa Leigh Sendukas, **A Global Analysis of Women in Political Office: The Disjuncture between Elections and Appointments**, Undergraduate Honors Thesis, Department of Government, University of Texas at Austin, May 12, 2010.

^٢Christina Welborne Bozena, op.cit, pp 1-7.

الأخير لدستور ١٩٩٦ سنة ٢٠٠٠ تشكلت لجنة وطنية تتولى اقتراح مشروع القانون العضوي، وقدمت في شهر جوان ٢٠٠٠ مشروع قانون ينص على اعتماد حصة للنساء تساوي ٣% من إجمالي عدد أعضاء الهيئات المنتخبة في الجزائر^١.

تمت مناقشة هذا المشروع خلال الدورة البرلمانية لعام ٢٠٠١ عاكسا خلاصة آراء المشاركين في المشاورات حول الاصلاحات السياسية^٢، أسفرت كل هذه الجهود عن صدور القانون العضوي رقم ٠٣٦ ونظرا لوجوب إخضاع القوانين العضوية إلى الرقابة من المجلس الدستوري قصد التأكد من مدى دستوريتهما قبل إصدارها من رئيس الجمهورية، وبموجب الفقرة الأخيرة من المادة ١٢ من الدستور أكد المجلس الدستوري في هذا الإطار مبدأ المساواة وإزالة العقبات التي تحول دون المشاركة السياسية للمرأة^٣، وأصدر في ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١ ما تقرّر عن رقابته لدستورية القانون العضوي المتعلق بتوسيع حظوظ المرأة في المجالس المنتخبة، حيث أكد بذلك مسألتين مهمتين^٤:

- دور المجلس الدستوري عند ممارسته لهذه الرقابة جاء للتأكيد على أنّ النسب الواردة في هذا القانون ليس من شأنها التقليص من حظوظ التمثيل النسوي في المجالس المنتخبة، سواء من حيث التبيي أو التطبيق. مع التأكد من عدم وقوف هذه التخصيصات عائقاً أمام المشاركة الحقيقية للمرأة في الحياة السياسية، وأضاف المجلس الدستوري أن إقرار المشرّع لنسب متفاوتة لترشيح المرأة ومشاركتها على مستوى القوائم الانتخابية للأحزاب ما هي إلا مقتضيات تطبيق المادة ٣١ من الدستور؛ لإزالة العقبات التي تحول من دون المشاركة الفعلية للجميع في العملية السياسية بما فهم النساء وترقية حقوقهنّ السياسية.

- التأكيد على مبدأ المساواة بوصفه إطاراً عاماً لممارسة هذه الحقوق السياسية على اعتبار أن المادة ٢٩ من الدستور لا تتنافى والمقتضيات التي أقرّها المشرّع بتحديد نسب مختلفة لمواطنين موجودين في أوضاع مختلفة؛ لأن معيار الاختلاف لا يؤدي إلى اللامساواة، بل بالعكس هو ما يسمح بتطبيق ما يأتي به القانون العضوي.

إن محاولة تعريف القانون العضوي لتوسيع حظوظ تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة تفرض العودة إلى التزام الدولة بالعمل على ترقية الحقوق السياسية من خلال التعديل الدستوري^٥، فقد حدّد المشرع الأداة القانونية لتفعيل الدور السياسي للمرأة ضمن المادة ٣ مكرراً. هذا القانون من منطلق أنه ذو طبيعة دستورية بحكم طبيعة الموضوع المُعالج ذي الأهمية الدستورية، فهو فلسفة تشريعية يتم إدراجها بوصفه قانوناً أسى من القانون العادي وأدنى من الدستور من حيث القيمة القانونية، وأن إجراءات تعديله تكون أصعب من القوانين العادية من حيث التنسيق والبناء اللغوي حتى لا تدخل هذه الوثيقة القانونية في تفاصيل لا يتحملها النص الدستوري، وقد نصت المادة ١٦٨ من الدستور في فقرتها الثانية على أن يبدي المجلس الدستوري رأيه وجوبا في مدى دستورية القوانين الوضعية بعد إخطار رئيس الجمهورية وتصويت

^١ عائشة عبد السلام، "دراسة مسحية لمشروعات المجال الاجتماعي للنهوض بالمرأة"، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة، ٢٠٠٩، ص ٢٥، من الموقع: <http://ministere-famille.gov.dz>

^٢ "النوع الاجتماعي والسياسة في الجزائر"، المعهد الدولي للأمم المتحدة للبحوث والتدريب في مجال النهوض بالمرأة، أكتوبر ٢٠٠٩، ص ٣،٤، من الموقع: www.womenpoliticalparticipation.org

^٣ دستور الجزائر ١٩٩٦، الصادر بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٩٦، الجريدة الرسمية رقم ٧٦ المعدل والمتمم بموجب القانون رقم ١٩/٠٨ الصادر بتاريخ ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨.

^٤ سليمة مسراتي، "المرأة الجزائرية وحق الترشح في المجالس المنتخبة بين الاعتراف القانوني ومحدودية الممارسة"، مجلة المفكر، (٨، ٢٠١٤)، ص ٣٠٤، من الموقع: <http://hdl.handle.net/123456789/1546>

البرلمان عليها - وهذا ما هو محدد في المادة الأولى من قواعد عمل المجلس الدستوري- في أجل قانوني تحدده المادة ١٦٦ من الدستور، كل هذا يُبين مدى أهمية القوانين العضوية في المنظومة التشريعية والهرم القانوني الجزائري^١.

الفقرة الثانية من المادة ٣ مكرراً أحالت كليات تطبيق وتجسيد الحقوق السياسية للمرأة في المجالس المنتخبة إلى مجال القانون العضوي وليس العادي؛ نظراً لأهمية الموضوع وحساسيته، وبذلك فهي تُكسبه قوة الزامية تكون أقل منزلة من الدستور وأعلىها من القوانين العادية فضلاً عن أن أحكامه تكون مُفسّرة للنصوص الدستورية من حيث تنظيم نسب تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة وتحديدها.

بالنسبة لمحتوى القانون العضوي رقم ٢٣٠٣، فضلاً عن أسسه الدستورية والدولية فقد جاء استجابة للطموح السياسي للمرأة ومساعي تحقيق المساواة النوعية مع مراعاة الخصوصية، وإقحام النساء في المجالس المنتخبة وفي المحصلة إزالة كافة أشكال التمييز، وتنفيذ الالتزامات الدولية من معاهدات واتفاقيات^٢. ونجد أن العديد من الدول فرضت على أحزابها اعتماد نسبة من النساء في أنظمتها الداخلية وفي مختلف الهياكل القيادية للحزب قصد إيصال المرأة إلى مراكز صنع القرار وذلك الالتزام ليس بالمستدام، حيث يمتاز هذا القانون بالمرحلية إلى غاية الوصول إلى المساواة الجندرية في التمثيل النيابي أو تحقيق نسبة تتمتع بالقبول العام حول تواجد المرأة في الهيئات المنتخبة. تضمن هذا القانون ثماني مواد تناولت الست الأولى منها إجراءات ضبط توسيع التمثيل السياسي للمرأة في المجالس المنتخبة بما يلي^٣:

١. المادة الأولى تنصّ على الأساس الدستوري لهذا القانون، وهي المادة ٣ مكرراً من الدستور الحالي.

٢. المادة الثانية تُحدّد نسبة النساء في قائمة الترشيح نسبة إلى مقاعد المجلس واستناداً إلى الكثافة السكانية للدائرة الانتخابية^٤.

٣. المادة الثالثة تتضمن توزيع المقاعد بحسب ترتيب الأسماء مع تخصيص النسب المحددة للنساء وجوباً^٥.

^١ فوزي أوصديق، "تطور المركز القانوني للمرأة في الجزائر على ضوء الاتفاقيات الدولية"، دراسات قانونية، (٤/ ٢٠٠٩)، ص ١٥، ١٤.

^٢ صفية فحاصي، "التمكين السياسي للمرأة في الجزائر"، المنتدى الديمقراطي الأول للمرأة العربية: التمكين السياسي للنساء خطوة ضرورية نحو الإصلاح في الوطن العربي، ١١-١٣ ديسمبر ٢٠٠٤، اليمن، من الموقع: www.safyamen.org

^٣ انظر: القانون العضوي رقم ٠٣/١٢ المؤرخ في ١٨ صفر ١٤٢٣ الموافق ١٢ جانفي ٢٠١٢ المتعلق بتحديد كليات توسيع حظوظ تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة.

^٤ إنّ التطبيق الاجباري لنظام الكوتا ضمن قوائم الترشيحات في انتخابات المجالس الشعبية البلدية والولاية والوطنية سيضعف تدريجياً من أعداد النساء الممثلات، لذلك لا حاجة لأي إجراء تكميلي لتوسيع حظوظ تمثيل المرأة في مجلس الأمة؛ لأن تحقيق الشطر الأول سيقود لا محالة لتحقيق الشطر الثاني؛ أي: يتم تمكين المرأة من المشاركة في ترشيحات مجلس الأمة عن طريق الاقتراع غير المباشر.

^٥ قراءة في المادتين الثانية والثالثة يُبين أنّ نسب تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة يُحدد استناداً إلى عدد المقاعد المتنافس عليها في الدائرة الانتخابية ليعاد تحديد النسبة نفسها في المادة ٣، ولم تُحدد على أساس المقاعد المتحصل عليها التي فازت بها القائمة، في المقابل و طبقاً لأحكام المادة ٨٨ من القانون العضوي ٠١/١٢ يتم توزيع المقاعد على وفق الترتيب الوارد في القائمة.

إنّ عدم التنسيق الوارد بين هاتين القاعدتين القانونيتين يحيل إلى فجوة عميقة تتحقق عند عدم ادراج العنصر النسوي في المراتب الأولى للقائمة الانتخابية حيث نضطدم بكيفية حساب نسبة العنصر النسوي بخاصة في قائمة مغلقة، ومحدث النزاع بين أولئك المتمسكين بنص المادة ١٦٦ من القانون ٠١/١٢ والمتمسكين بنص المادة الثالثة من القانون ٠٣/١٢، في المقابل فإنه عند الحساب من المرجح الحصول على عدد عشري وكان من الأجدر التقريب نحو العدد الصحيح الأكبر فتكون النتيجة هي منازعة على طاولة المجلس الدستوري ليفصل فيها. للاطلاع أكثر انظر:

إذن نستشف حالة عدم تنسيق بين القواعد القانونية بما يُخل بالمنظومة القانونية المتكاملة والمتراصة الأبعاد، وهذا ما يُعاب على المجلس الدستوري الذي تُعد رقابته على القوانين العضوية رقابة إجبارية لتبيان مدى دستوريته.

يهدف المشرع من خلال تحديده لنسب النساء المترشحات في القوائم الانتخابية إلى توسيع حظوظها في هذه المرحلة، وترقية مشاركتها الفعلية في المجالس المنتخبة، وقد يغدو الأمر غير ممكن إلا مع قوائم الأحزاب الكبيرة التي يكون بإمكانها الحصول على عدد أكبر من المقاعد البرلمانية، وقد تتضاءل هذه الحظوظ عند الحديث عن الأحزاب الصغيرة التي لا يمكن لها إلا أن تفوز بمقاعد محدودة لا تتجاوز في أحسن الظروف الأربعة مقاعد بخاصة إذا ما تصدّر رأس القائمة مترشح وليست مترشحة. وما يُؤكّد ذلك عملياً، أن الفصل في تحديد نسبة النساء في الانتخابات التشريعية الأخيرة مآي ٢٠١ لم يُحسم إلا في الأيام القليلة قبل الموعد الانتخابي عند اجتماع وزارتي الداخلية والجماعات المحلية ووزارة العدل للخروج بقرارة صحيحة للمادتين الثانية والثالثة من القانون العضوي ٢٠١٢، وهذه الحالة تُشابه كثيراً التفسيرات المتضاربة التي واجهتها عملية اختيار رئيس المجلس الشعبي البلدي عند تساوي القوائم في عدد المقاعد سنة ١٩٩٩، وهنا تدخلت وزارة الداخلية وقامت بإعداد برنامج الكتروني يسمح بحساب عدد المقاعد التي تحصل عليها المرأة تطبيقاً للقانون العضوي الذي يُحدّد كفاءات توسيع حظوظ تمثيلها في المجالس المنتخبة، وذلك على النحو الآتي:

- الدوائر الانتخابية من ١ إلى ١٣ مقعداً: يكون عدد النساء المنتخبات مساوياً لنسبة ٣٠% بحسب عدد المقاعد التي فازت بها القائمة، وبصيغة رياضية يكون عدد النساء $x \cdot 0.3$ عدد المقاعد التي فازت بها القائمة.

- الدوائر الانتخابية من ١٤ إلى ٣١ مقعداً: يكون عدد النساء المنتخبات مساوياً لنسبة ٣٥% بحسب عدد المقاعد التي فازت بها القائمة، وبصيغة رياضية يكون عدد النساء $x \cdot 0.35$ عدد المقاعد التي فازت بها القائمة.

- الدوائر الانتخابية من ٣٢ مقعداً فما فوق: يكون عدد النساء المنتخبات مساوياً لنسبة ٤٠% بحسب عدد المقاعد التي فازت بها القائمة، وبصيغة رياضية يكون عدد النساء $x \cdot 0.4$ عدد المقاعد التي فازت بها القائمة.

- أما عن تمثيل الجالية الجزائرية بالخارج ففي المناطق الأربع يكون لكل منطقة مقعدان؛ ونظراً لأن عدد النساء المنتخبات يكون مساوياً لنسبة ٥٠% بحسب عدد المقاعد التي فازت بها القائمة، تكون الصيغة الرياضية بما يلي: عدد النساء $x \cdot 0.5$ عدد المقاعد التي فازت بها القائمة!

في نقطة أخرى نجد أن المشرع في القانون العضوي رقم ٢٠١٢ قد حدّد نسبة ٢٠% عندما يكون عدد مقاعد الدائرة الانتخابية يساوي أربعة مقاعد، غير أنّ الواقع يبيّن أن أصغر دائرة انتخابية تضم خمسة مقاعد^٢، وتفسير ذلك هو أنّ المشرع لم يفرّق بين المجالس المحلية والوطنية وكان من الأجدر أن ينظم كل مجلس على حدى لتفادي اللبس والغموض.

٤. المادة الرابعة تتحدث عن ضرورة تبيان جنس المترشح في أثناء التصريح بالترشح للانتخابات.

وليد شريط، السلطة التشريعية من خلال تطور الدستور الجزائري، أطروحة دكتوراه في القانون العام، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كليّة الحقوق، قسم

الحقوق، ٢٠١١-٢٠١٢، ص ١٧٢، ١٧١.

^١ القانون العضوي رقم ٠٣/١٢، مرجع سابق.

^٢ وليد شريط، مرجع سابق، ص ١٧١.

٥. المادة الخامسة في فقرتها الأولى تبين أنه يتم رفض القوائم التشريحية التي لا تتطابق وهذا القانون، وفي فقرتها الثانية تمنح أجلاً للأحزاب لإزالة عدم التطابق حيث لا يتم رفضها جملة وتفصيلاً.

٦. المادة السادسة تؤكد هدف الحفاظ على التمثيل النسوي، حين نصت على ضرورة الاستخلاف في جميع الحالات المنصوص عليها في القانون العضوي المتعلق بنظام الانتخابات والقانونين المتعلقين بالبلدية والولاية ويكون المستخلف من جنس المستخلف.

إنّ الطرح أعلاه الذي يقول بوجود مفارقة قانونية بين تشريعين إنّما يؤكد من جهة أنّ المشرع الجزائري في محاولاته لتأكيد توجه الدولة نحو توسيع المشاركة السياسية للمرأة ويكون قد عمد الى إصلاحات عديدة تخدم ذلك، قبلاً، على غرار قانوني البلدية والولاية؛ لأن مجالسها الشعبية هي قاعدة اللامركزية وسمة التشاركية الحقّة للمواطنين¹. في هذا السياق إشارة إلى دخول كفاءات قيادية جديدة منحها المشرع أولوية الترشيح²، غير أنّ كل هذه الطموحات تمّ إفراغها من محتواها عند عرضها على المجلس الشعبي الوطني حين تمّ استبعاد امكانية استخلاف المترشح من الجنس نفسه كما جاء في مشروع الحكومة وهذا ما بيّنه النص النهائي للقانون العضوي³، وفي المقابل نجد أنّ أعضاء البرلمان في تصويتهم على القانون العضوي المتعلق بتوسيع حظوظ المرأة في التمثيل تراجعوا عن ذلك - كما رأينا أعلاه في المادة السادسة - وأقرّوا بأحقية استخلاف المترشح من الجنس نفسه⁴.

من جهة ثانية يكون المشرع قد استند إلى التجارب الديمقراطية الأصيلة⁵، عند توجهه لاعتماد نظام الكوتا النسوية بما يتماشى ومنطلق المساواة والديمقراطية وطريقة الانتخاب المباشر التي تعتمدها الجزائر، ويظهر ذلك فيما يلي:

• الأخذ بإجبارية التخصيص ضمن قوائم الترشيحات أو في المقاعد المحصّل عليها من كل قائمة باعتبار هذا النظام أكثر الأنظمة انسجاماً واتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضدّ المرأة كافة⁶.

¹ الفقرة الأولى من المادة ١٥ والمادة ١٦ من دستور الدولة الجزائرية ١٩٩٦، مرجع سابق.

² المادة ٦٩ من قانون البلدية تنص على: "إعطاء الأولوية في ترشيح رئيس المجلس الشعبي البلدي في حالة تساوي قائمتين في عدد المقاعد والأصوات، للقائمة التي تحوي أكبر عدد من النساء المنتخبات، وفي حالة تساوي الأصوات بين مرشحين لرئاسة المجلس الشعبي البلدي، تُعلن الم رأة رئيساً للمجلس الشعبي البلدي، وفي الدورة الثانية تُعلن المرأة فائزة لرئاسة المجلس الشعبي البلدي في حالة تساوي الأصوات".

³ المادة ٤٢ من قانون البلدية تنص على: "في حالة الوفاة، الاستقالة أو الإقصاء أو حصول مانع قانوني لمنتخب المجلس الشعبي البلدي، يتمّ استخلافه في أجل لا يتجاوز شهراً واحداً بالمرشح الذي يلي مباشرة آخر مُنتخب من القائمة نفسها".

⁴ المادة السادسة من هذا القانون تنصّ على أن: "يُستخلف المترشح أو المنتخب بمرشح من الجنس نفسه، في جميع حالات الاستخلاف المنصوص عليها في القانون العضوي المتعلق بنظام الانتخابات والقانونين المتعلقين بالبلدية والولاية".

⁵ أكدّ وزير العدل حافظ الأختام هذا التوجه في كلمته التي ألقاها أمام أعضاء لجنة الشؤون القانونية والإدارية والحريات بالمجلس الشع بي الوطني بقوله: "إنّ النظام الأخذ بالنظام الإجباري للحصص يأتي مساندة للتجارب السابقة عبر دول العالم في مجال ترقية المرأة ضمن المجالس المنتخبة بما يفرضه منطق العدالة والديمقراطية". للمزيد من الاطلاع، انظر بيان اللجنة المؤرخ في ١٥ سبتمبر ٢٠١١.

⁶ انضمت الجزائر الى هذه الاتفاقية سنة ١٩٩٦ وتنصّ مادتها الرابعة على أنه: "لا يُعتبر اتخاذ الدول الأطراف تدابير خاصة ومؤقتة تستهدف التعجيل بالمساواة الفعلية بين المرأة والرجل تمييزاً بالمعنى الذي تأخذ به هذه الاتفاقية، ولكن يجب أن لا يُستبعد بأيّ حال، كنتيجة له الإبقاء على معايير غير متكافئة أو مفصلة، كما يجب وقف العمل بهذه التدابير عندما تكون أهداف التكافؤ في الفرص والمعاملة قد تحققت".

- الأخذ بنسبة تخصيص، سواء في المقاعد أو ضمن قوائم، تساوي ٣٠% على أساس أن مختلف التجارب الديمقراطية للكوتا النسوية تتأرجح نسبها بين ٢% و ٥%؛
- يقتصر هذا الإجراء على المجالس المنتخبة بالبلديات الموجودة بمقر الدوائر فحسب، أو التي يزيد عدد سكان بلدياتها عن عشرين ألف نسمة؛
- لا تنطبق معايير توسيع حظوظ التمثيل على مجلس الأمة - كما رأينا سابقا- على أساس أن ثلثي تركيبته منتخبة من بين ومن أعضاء المجالس الشعبية المنتخبة البلدية والولائية.
- إمكانية التحفيز المالي للأحزاب التي تظفر فيها المرأة بأكثر عدد من المقاعد النيابية.

إذا ما سلمنا بأن الهدف الأسمى للحكومة عند تبنيها لنظام الكوتا النسوية هو تذليل العقبات التي واجهت ومازالت تواجه تواجد المرأة في الحياة السياسية وتمثيلها في المجالس المنتخبة بخاصة بما يضمن تضاعفا تدريجيا لتعدادها، لا يُفسر اقتراح المشرّع للحوافز المالية لصالح الأحزاب السياسية مقابل المرشحات الفائزات بمقاعد في المجالس المنتخبة^١، إلا بكونه إجراءً داعمًا يصب في بوتقة الهدف المذكور علماً أن مشروع القانون كان قد ألزم الحكومة بتقديم تقرير تقييمي للبرلمان حول مدى تطبيق هذا القانون عقب كل محفل انتخابي، غير أن المجلس الدستوري رأى في ذلك استحداثاً لآلية رقابية جديدة على عمل الحكومة لم ينص عليها الدستور^٢.

ثالثاً: معادلة تبني خيار الكوتا عربياً: التمويل الخارجي متغير عالي الدلالة فيها

على الرغم من أن العديد من الحكومات العربية تقوم بإثراء النقاش حول اعتماد الكوتا النسوية - كما ذكرنا آنفاً - غير أن تنفيذها لم يحدث إلا في ١١ دولة، هي: الجزائر، وجيبوتي، والعراق، والأردن، وموريتانيا، والمغرب، وفلسطين، والصومال، والسودان، وتونس، ومصر مؤخراً. وفيما يلي نستعرض تفسيراً كمياً - بناء على تحليلات إحصائية - لإقرار الكوتا النسوية في العالم العربي (على وفق منهجية مستحدثة في الدراسات ذات الصلة عند الغرب، وهي تحليل الأحداث التاريخية Event history analysis) وهو إجراء إحصائي يُعتمد أكثر فيدراسات نمذجة انتشار السياسة الإقليمية في الولايات المتحدة.

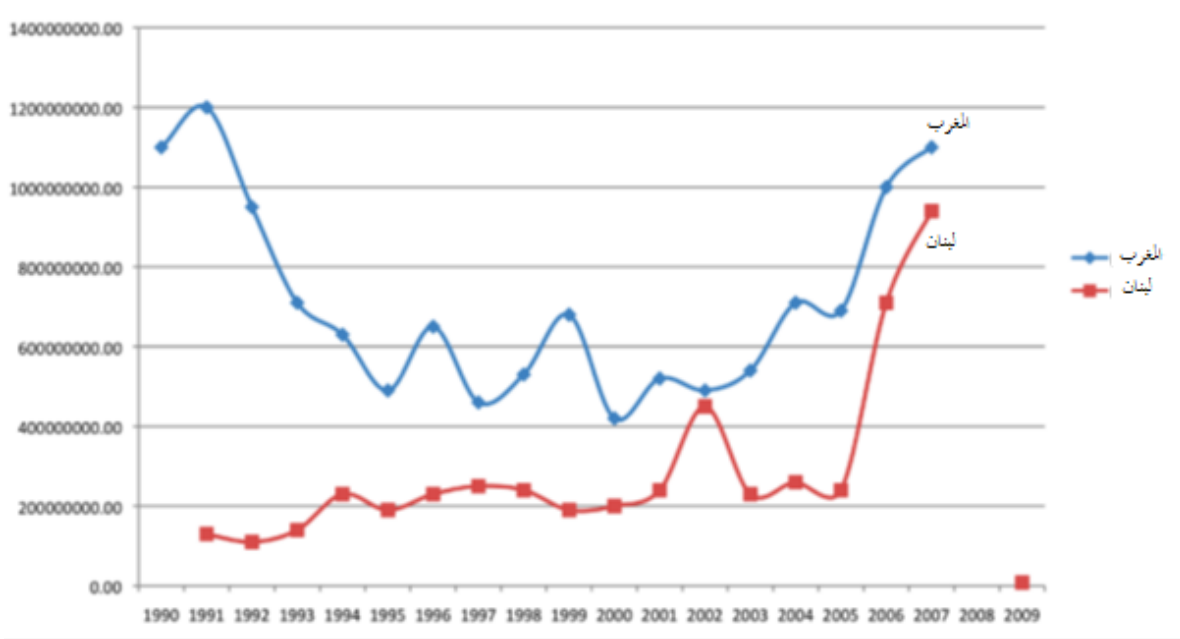
يوضّح التمثيل البياني أدناه تطور حجم المساعدات الانمائية التي حصلت عليها دولتين عربيتين، هما: المغرب ولبنان، وهذه النقطة هي بداية للبحث عن علاقة هذه الأخيرة بالمستويات المتقدمة التي تُحرزها سياسات سد فجوة التمثيل النوعي بغض النظر عن مستويات التنمية المُحققة في الجانب السوسيواقتصادي خصوصاً، حيث يتضح من المنحنى تفوق المغرب على لبنان من حيث حجم المعونات المُتحصل عليها فضلاً عن تفوقه من حيث مستوى التمثيل النوعي في السياسات الوطنية.

^١ جاء في المادة السابعة من مشروع هذا القانون : "يمكن للأحزاب السياسية أن تستفيد من مساعدة مالية خاصة من الدولة، بحسب عدد مرشحاتها المنتخبات في المجالس الشعبية البلدية والولائية والبرلمان".

^٢ المادة السابعة من مشروع القانون العضوي ٠٣/١٢، مرجع سابق.

انظر: المجلس الدستوري، "رأي رقم ٥ /ر.م.د/، مرجع سابق.

شكل رقم ٣٠: مقارنة مستويات المساعدات التنموية بين المغرب ولبنان



المصدر:

Christina WelborneBozena, « The Strategic Use of Gender Quotas in the Arab World », William and Kathy Hybl Democracy Studies Fellowship Paper, IFES Fellowship in Democracy Studies, 2010, p 2.

وعلى وفق تقنية تحليل الأحداث التاريخية وبطريقة رياضية قدمت Bozena المعادلة أدناه هادفة من خلالها إلى توضيح العوامل الأساسية التي تؤثر في احتمال تبني خيار الكوتا النسوية في البيئة العربية في سنة معينة لا على التعيين على وفق مجموعة متغيرات - وهنا تمّ التركيز على المتغير الذي أهملته الأدبيات التي تناولت تبني خيار الكوتا في بيئات غربية- حيث إنّ تكرارات الحوافز المالية الدولية عملت على تصعيد المساعدة الإنمائية ممّا يرفع من احتمالات التوجه نحو كوتا النوع في البيئة العربية هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ ارتفاع مستويات الاستثمار الأجنبي المباشر يعمل هو الآخر على دعم احتمالية التوجه نحو خيار الكوتا النوعية ؛ لأنه في الأخير يمثل طريقة منخفضة التكلفة للترويج للصورة التقدمية والمستقرة لعالم الضفة الغربية على النحو الآتي:¹

تبني خيار الكوتا = متغير المساعدات التنموية + متغير الاستثمار الأجنبي المباشر + متغير مستوى التنمية الاقتصادية + متغير النظام الانتخابي + متغير الديمقراطية + متغير معدلات الخصوبة + متغير نموذج الخليج + متغير معدّل مشاركة المرأة في سوق العمل + متغير معدلات التعليم الثانوي للمرأة + متغير التمثيل النيابي للمرأة .

$$ADOPT_{i,t} = \Phi (\text{constant}) + \beta_1 \text{ Development assistance}_{i,t} + \beta_2 \text{ Foreign direct investment}_{i,t} + \beta_3 \text{ Economic development}_{i,t}$$

¹Christina WelborneBozena, op.cit,p 9.

$$\begin{aligned}
 &+ \beta_4 \text{ Electoral system } i,t \\
 &+ \beta_5 \text{ Democracy } i,t \\
 &+ \beta_6 \text{ Fertility rates } i,t \\
 &+ \beta_7 \text{ Gulf dummy } i,t \\
 &+ \beta_8 \text{ Women's labor participation rates } i,t \\
 &+ \beta_9 \text{ Women's secondary education rates } i,t \\
 &+ \beta_{10} \text{ Women's legislative representation } i,t \\
 &+ e
 \end{aligned}$$

أهم ما تقدمه هذه النقطة هي إضافة واستدراك للإهمال الأكاديمي الذي طال متغير الاعتماد على التمويل الأجنبي متمثلاً في الاستثمارات الأجنبية المباشرة في المنطقة والمساعدات الإنمائية المقدمّة لها، في حين أغلب الدراسات في السياق ركّزت على تأثير الأطر القانونية الدولية بهدف تعزيز تمكين المرأة سياسياً؛ أي: إنّه مقترح قانوني بحث بالدرجة الأولى، وهذا لا ينفي أنّه كان كفؤاً لتحليل احتمال تبني نظام الكوتا النسوية في بيئات غير عربية.

وعليه يصبح المدخل الاقتصادي من خلال البحث في الحوافز الاقتصادية التي تقود نحو خيارات سياسية على غرار نظام الكوتا من أهمّ المدخل المُفسّرة لتغيّرات مستويات التمثيل السياسي للمرأة العربية. في المقابل يفرض التحول الذي يشهده تأطير عمليات تمكين المرأة من سلعة سياسية إلى سلعة اقتصادية تبني هذا المدخل، و تجدر الإشارة هنا إلى أنه ليس من قبيل الصدفة أن يُؤثّر المانحون الأجانب في أغلب الإصلاحات السياسية التي ينصّ عليها الدستور والتي لا يمكن التنبؤ بها بموضوعية بخاصة تلك التي تمسّ مؤسسات سياسية قائمة منذ الأمد هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن إجراء مقارنة بسيطة على وفق الأدلّة المتاحة في بيئات أخرى تثبت غموض عملية الانتقال في العالم العربي و يؤكد خصوصية هذه المنطقة و هنا تظهر الفجوة¹.

وعموماً يمكن القول إنّه وتزامناً مع الذكرى الثلاثين للمصادقة على اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضدّ المرأة كافة CEDAW تجدد النقاش في العالم العربي حول الآليات المقترحة لدعم حضور المرأة في الفضاء العام بعامّة، وفي المجالس المنتخبة والنيابية منها بخاصة، وإذا ما كانت هذه الآليات ذات طبيعة واحدة مع تلك المعتمدة في مناطق أخرى من العالم؟ وبصورة أدقّ التساؤل المطروح هنا يكون بالأساس حول تلك المتغيرات المحدّدة لتبني خيار الكوتا النوعية من عدمه²، حيث الفجوة في هذه البيئة تظهر من خلال متغيّر عالي الدلالة، وهو الحوافز الاقتصادية التي يُوفرها تدفق المساعدات الإنمائية،

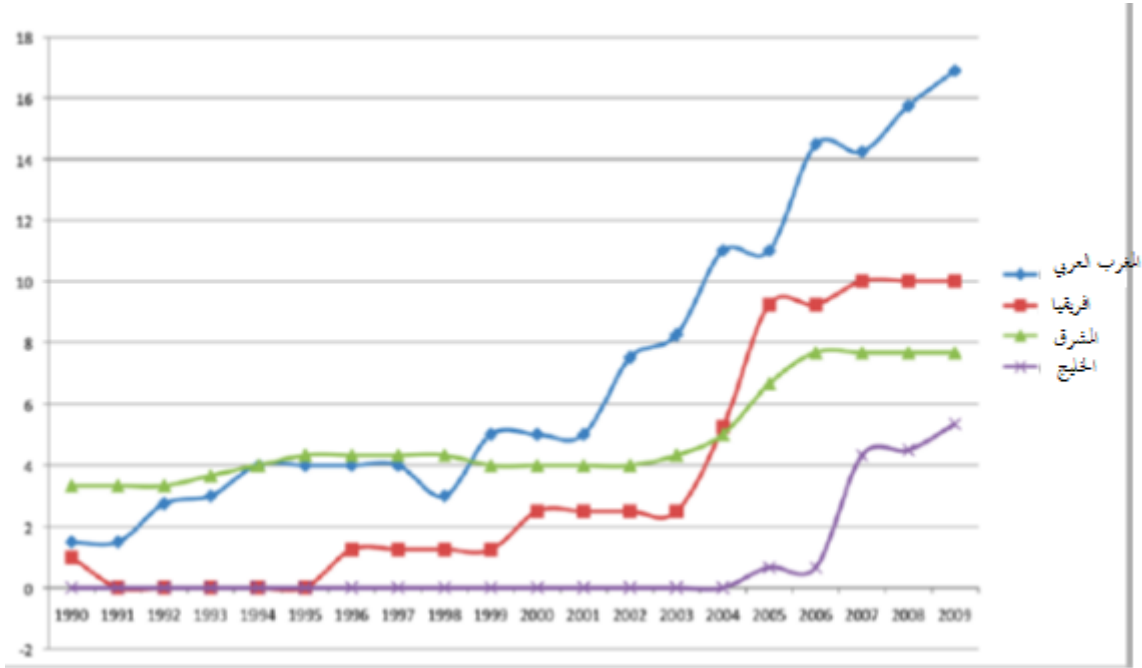
¹Christina WelborneBozena, op.cit,pp 14-18.

² بالتوازي مع هذه النتائج "غير المقصودة" المحققة في العالم العربي، تورد الدراسة مثالا يؤكد المفارقة من البيئة الأردنية، حيث قامت قبيلة محلية صغيرة في محافظة الطفيلة بالخروج عن المألوف وهو سيطرة المرشحين الرجال عن القوائم الانتخابية، وذلك عند اعتمادها على الكوتا النيابية في ت شريعات ٢٠٠٣ وانتخاب البرلمانية "إنصاف خوالد" مما يضمن الوصول إلى الربع البرلماني عبر العهدة البرلمانية لها، ولا يكون هذا التطور المثير للجدل والسطحي بالأهمية بما كان إلا بعد التعرف عن قرب على تلك التسلسلات الهرمية الصارمة في قبائل الأردن، وأن انتخاب امرأة لتكون المصدر الرئيس لدخل قرية نائية ليس بالتطور التافه.

فتزايد هذه الأخيرة إنمّا يعمل باستمرار- وتأكّد ذلك رياضيا- على زيادة احتمال اعتماد خيار كوتا النوع في برلمانات الدول العربية بما يدعم عدد النساء فيها كما يوضحه الشكل الموالي:

شكل رقم (٥): نسب من أنماط شبه إقليمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حول التمثيل النيابي للمرأة من

١٩٩٠ إلى ٢٠٠٩



المصدر:

Christina WelborneBozena, « The Strategic Use of Gender Quotas in the Arab World », William and Kathy HyblDemocracyStudiesFellowshipPaper, IFES Fellowship in DemocracyStudies, 2010, pp 5-6.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث وبعد استقراء موجز لواقع تواجد المرأة العربية في البرلمانات الوطنية المنتخبة بخاصة أنها من أبرز وأكفأ فضاءات الوجود السياسي عند الحديث عن مخرجات هذا الوجود الذي يمس بالضرورة "مصالح النساء بوصفهن مجموعة"، فهذا الأخير هو ما يؤهل النساء للتمثيل، وتبيّنت لنا حقيقة مفادها تدني هذا الوجود إلى أضعف مستوياته عالميا هذا كنقطة أولى، وفي نقطة ثانية من السياق نفسه لم نسجّل مسارعة هذه الدول لتطبيق آلية الدعم العددي التي أثبتت التجربة الجزائرية- الرائدة في البيئة العربية- نجاحها في مسعى الزيادة العددية، ولسنا في مقام هنا لنرصد أثر تطبيق الكوتا النسوية على التمثيل السياسي للمرأة بخاصة في بعده النيابي على مستويات أخرى بعيدة عن المستوى الشكلي المحقق Descriptiverepresentation على غرار المستويين الحقيقي Substantiverepresentation والرمزي Symbolicrepresentation.

إنّ حقيقة تدني مستويات حضور المرأة في مراكز صنع القرار التشريعي جعلت الجزائر مُمثّلة في شخص رئيس الجمهورية تتوجه في سياق معين-كما أشرنا اليه في مقدمة هذه الورقة يُعرف عموما بالسياق الداخلي للإصلاح الذي يُعنى بجملة التغيرات التي مست قوانين النشاطين الحزبي والانتخابي والإعلامي- إلى تبني خيار الكوتا النسوية وتطبيقه بصيغة إلزامية. ونتائج الانتخابات الأولى والوحيدة، حتى كتابة هذه الأسطر، التي أُعتمد فيها نظام الكوتا أثبتت تحقيقه للمستوى

الأول للتمثيل؛ أي: التمثيل الشكلي الذي ترجمته نسبة النساء من النواب، وفي قراءة أولية يكون مردّ هذا النجاح هي خصوصية تطبيق هذه الآلية في البيئة الجزائرية مع تضافر جملة عوامل مساعدة للنجاح على غرار إلزامية اعتماده في القوائم الحزبية، والنظام الانتخابي النسبي المعروف بـ"صداقته" وتمثيل المرأة. وهذا لا ينفي معاناة الجزائر كغيرها من الدول العربية من المعوقات السوسيوثقافية تلك التي أثبتتها المقاربة غير الغربية بحسب Matland.

فينقطة ثالثة من هذه الورقة تمّ التأكيد على خصوصية البيئة العربية حينما يتعلق الأمر باحتمالات تبني خيار الكوتا النسوية، وهذه الخصوصية يترجمها متغير عالي الدلالة من معادلة تبني خيار الكوتا، وهذا الأخير الذي أهملته الدراسات الغربية التي ركزت في مجملها على المتغيرات ذات الطبيعة السياسية. حيث شكّل حجم المساعدات التنموية الموجهة لهذه الدول، وكذا الاستثمار المباشر فيها، أهمّ حافز لترويج نُظم الكوتا النسوية بوصفه من خصوصيات البيئات الغربية، وعلى هذا الأساس يمكن التشكيك في الميزات الخاصة لنمط الكوتا التي اعتمدها الجزائر لدعم تواجد نساءها في مراكز صنع التشريعات من منطلق انتمائها إلى البيئة العربية وتشابههما في قواسم مشتركة عديدة، ويمكن اعتبار التجربة الجزائرية بناءً على هذه المعطيات هي من أحدثت التناقض فكانت فريدة من نوعها بذلك.

بورما وأزمة الاندماج الوطني

د. نهاد احمد مكرم عبد الصمد / دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية - مصر

ملخص باللغة العربية/

أزمة الاندماج الوطني في بورما من الأزمات التي يمكن أن تعصف بمقدرات ووحدة الدولة وقدرتها على مواجهة مشكلاتها سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى السياسية . فبورما " Burma السابقة، والتي صارت تعرف الآن بـ " ميانمار Myanmar، يوجد بها أكثر من ثمانية ملايين مسلم، كثير من حقوقهم ضائعة، بل تجبرهم ظروف التمييز العنصري ضدهم إلى اللجوء للدول المجاورة، حيث وصل عدد اللاجئين من جراء التعسف إلى ما يقارب "مليون مسلم" معظمهم في بنجلاديش والمملكة العربية السعودية من مجموع المسلمين في بورما، وإن كان ما يفهم حول تهجيرهم قسريا وارتكاب جرائم في حقهم ضد الإنسانية كنوع من أنواع التطهير العرقي، فإن أوضاعهم في مخيمات اللاجئين لا يمكن وصفها إلا بأنها مزرية وأكثر سوء وغير إنسانية على الإطلاق.

إن ما يجري في بورما من عمليات للتمييز العرقي والصراع الدائر بين البوذيين والمسلمين أبلغ دليل على العصف الجائر بالمقدرات البورمية. ومن ثم يعد التكامل سبيل نوع من أنواع التجانس داخل الجسد الاجتماعي والسياسي وتخطى الولاءات الضيقة، وغرس الشعور بالولاء والانتماء للدولة ومؤسساتها المركزية، وإيجاد إحساس مشترك بالتضامن والهوية الموحدة أو بالأحرى ما اصطلح على تسميته بالاندماج الوطني.

ملخص باللغة الانجليزية/

The crisis of national integration in Burma is one of crises that could threaten the country's unity and its ability to deal with its problems, whether economic, social or even political . Burma former Myanmar now has about eight million Muslims lost their rights and conditions of racial discrimination against them forced them to seek refuge in neighboring countries, the number of refugees is about two million Muslims, mostly in Bangladesh and Saudi Arabia, we can understand forced displacement, and crimes against them kind of ethnic cleansing, In addition to the situation in the refugee camps is very bad , miserable and inhuman at all, Which occurs in Burma of ethnic discrimination and conflict between Buddhists and Muslims will lead to disintegration and lack of unity. Consequently, the integration is the way to overcome the narrow loyalties and confirm belonging to the state through the creation of common bonds of solidarity and unified identity

كلمات مفتاحيه/ الأزمة- الاندماج الوطني- تطهير عرقي- أزمة هوية - انتهاكات حقوق الإنسان.

مقدمة

تعد أزمة الاندماج الوطني في بورما من الأزمات الأكثر بروزاً؛ جراء عمليات التمييز العرقي والصراع الدائر بين البوذيين والمسلمين، التي أصبحت تهدد الجسد الاجتماعي والسياسي بل الهوية الوطنية الموحدة في بورما. فغرس الشعور بالولاء والانتماء للدولة بمؤسساتها المختلفة من المفترض أن يكون من أولويات النظم الحاكمة، تفادياً لما يمكن أن تواجهه من إشكاليات الاقتتال والتفكك وتفتتت أوصل الدولة الواحدة. وبالطبع لن يتأتى ذلك إلا بإيجاد إحساس مشترك بالتضامن والهوية الجامعة.

وتبرز أهمية التكامل؛ لأنه أحد الوظائف الحيوية للنظام السياسي كما أشار عالم الاجتماع الشهير "تالكوت بارسونز"، فحين تتأصل أزمة الاندماج يكون لها مردود سلبي على عملية إيجاد الروابط القوية والفعالة، مما لا يساعد على خلق شعور موحد بالهوية والتضامن الثقافي، كذلك فهي ترتبط بشكل مباشر بفكرة المشاركة التي قد يصل احتدامها- أزمة الاندماج- إلى حالة الحرب الأهلية ومحاولات الانفصال. وتثار هنا أيضاً مشكلات الولاء سواء للجماعات العرقية أو القبلية أو الطائفية. ومن هنا تنبع خطورة المشكلة في إيجاد مفهوم موحد للهوية والأمة وخطورتها على عملية التنمية الاقتصادية، وكذلك خطورتها على التنمية السياسية. وقد تنوع استراتيجيات التكامل ما بين استراتيجيتين، هما:-

١- إستراتيجية بوتقة الصهر Melting-pot: هدف هذه الاستراتيجية صهر الجماعات والسلالات المختلفة في قومية متجانسة بحيث تفقد هذه الجماعات نتيجة لهذه العملية سماتها الذاتية وتختلط في الجماعات الرئيسة^(١). ولتلك العملية الاستيعابية عدة أنماط هي:-

-الاستيعاب الثقافي: يقصد به محاولة التحول من ثقافات المجتمع القديم إلى ثقافات المجتمع الجديد.

-الاستيعاب العنصري: يقصد به الزواج المختلط على نطاق واسع بين الجماعات العرقية المختلفة مما يؤدي إلى زوال الخصائص البيولوجية المميزة لكل من هذه الجماعات.

-الاستيعاب المؤسسي: يقصد به مشاركة الجماعات المختلفة في الأنشطة والنشاطات والمؤسسات الاجتماعية.

٢- إستراتيجية الوحدة من خلال التعدد جوهر هذه الاستراتيجية احترام الخصائص الذاتية للجماعات المختلفة مع تنمية مشاعر وارتباطات موحدة بين بعضها بعضاً؛ أي: إنها تسعى إلى الحفاظ على الخصائص الثقافية والحضارية للجماعات القومية والسلالية الأخرى، في حين يوجد في الوقت نفسه إطار اتفاق قومي عام، وروابط قومية تشترك فيها الجماعات، وهي بذلك خلاف إستراتيجية بوتقة الصهر ويمكن النظر إليها من خلال زاويتين أولهما:-

*زاوية وظيفية: يقصد بها التجانس السلمي بين الولاءات للأمة وغير ذلك من أنواع الولاءات؛ إذ يسمح للأفراد بالتعبير عن انتمائهم المتعدد، فالولاء للأمة يوجد مع الولاء للجماعات المختلفة سواء كانت إقليمية أو دينية أو عرقية أو لغوية، في حين يظهر القادة احترامهم للاختلافات الثقافية، ويشجعون الجماعات على اختلافها على تحقيق وحدة تستند إلى الاتفاق علماً لأهداف المشتركة وليس إلى التماثل أو التشابه فيما بينهم.

^١ انظر في السيد ياسين، إشكالية الهوية في عصر العولمة، جريدة المرصد الإعلامي الحر، المركز الأكاديمي للدراسات الإعلامية وتواصل الثقافات، العدد ٥٦، ١١/٦/٢٠٠٥

<http://www.freemediawatch.org/56-110605/27.htm>

*الزاوية الثانية المؤسسية: تعني تكفل السياسة للجماعات المختلفة منعرقية أو دينية أو إقليمية في إطار المنظمات المختلفة كي تحصل على فرص المشاركة. ويرى أنصار هذه الإستراتيجية أن وجود شبكة قوية من الاتحادات والتنظيمات الخاصة لا تضعف من تماسك المجتمع الديمقراطي بل تؤدي إلى تقويته، فهي تؤدي إلى ربط الفرد من خلال جماعة قريبة منه و مألوفة له بالمجتمع الكبير المعقد ، وأنها من ناحية أخرى تحمي حرية الفرد من أن تنتهك أو يتصدى عليها من المجتمع^(١). وعموما فإن الدولة لا تلجأ لمواجهة مشكلة التكامل باتخاذ أي من هاتين الإستراتيجيتين من دون الأخرى بل تمنح بينهما بنسب مختلفة بحيث تكون خلاصة هذا المزج أقرب لأحدهما من الأخرى.

و يتمحور هذا البحث حول تساؤل رئيس هو : ما دور الحكومة الوطنية البورمية في تحقيق الاندماج الوطني في بورما؟ وكيف يمكن احتواء أزمة المسلمين في بورما" الروهينجا"، وإعادة دمجهم داخل النسيج الوطني الواحد على أساس اعتبارات المواطنة وحقوقهم الطبيعية بوصفهم مواطنين بورميين؟ لذلك يتناول البحث محورين أساسيين:-

المحور الأول: طبيعة الأزمة في بورما.

المحور الثاني: الأدوار الإقليمية والدولية في الأزمة.

المحور الأول: طبيعة الأزمة في بورما

بورما وتعرف أيضاً باسمميانمار، ورسمياً جمهورية اتحاد ميانماربورمية وهي إحدى الدول الواقعة جنوب شرق آسيا على امتدادخليج البنغال.يحدها من الشمال الشرقيالصين، ومن الشمال الغربي الهند وبنغلاديش، وتشارك في حدودها مع لاوس وتايلاند، أما حدودها الجنوبية فسواحل تطل على خليج البنغالوالمحيط الهندي، ويمتد ذراع من بورما نحو الجنوب الشرقي في شبة جزيرة الملايو، ويقع إقليم أراكان في الجنوب الغربي منها على ساحل خليج البنغال، وتقدر مساحتها بأكثر من ٢٠٠.٠ ميل مربع، ويفصله عن بورما حد طبيعي هو سلسلة جبال (أركان يوما)الممتدة من جبال الهمالايا. تقدر المساحة الكلية لبورما بأكثر من ٢٦١.٠ ميل مربع. بورما بلد زراعيبارز مزرعاتها الأرز الذي يعد الغذاء الأساسي لمعظم سكانها، وهي رابعدولة مصدرة للأرز عالمياً، وتزرع أيضاً «الذرة والبنور الزيتية والمطاطوقصب السكر والشاي، وتشغل الغابات مساحة واسعة تزيد عن نصف البلاد؛ لهذايعد الخشب أحد أهم الصادرات إلى جانب بعض المعادن، مثل: الرصاص. وتمتلكبورما كميات كبيرة من البترول، حيث يقدر حجم الاحتياطي المؤكد بـ ٥ مليون برميل، وتمتلك كميات هائلة من الغاز الطبيعي، بلغ إنتاجها نحو ١٢ مليار متر مكعب عام ٢٠٠٠ في حين يقدر الاحتياطي المؤكداً بـ ٢٧١ مليار متر مكعب، تسهم الزراعة بـ ٥٧.٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي، في حين تبلغ نسبة قطاع الصناعة ٩.٠٪ أما قطاع الخدمات فيسهم بنحو ٣٣.٠٪^(٢).

يبلغ عدد سكان بورما أكثر من ٥٠ مليون نسمة، وتقدر نسبة المسلمين بنحو ٢.٠٪ من مجموع السكان نصفهم في إقليم أراكان، ذي الأغلبية المسلمة. حيث تصلنسبة المسلمين فيه أكثر من ٧٠٪ والباقون من البوذيين الماغ وطوائف أخرى.وتعد الروهينجيا من الأقليات المسلمة القاطنة إقليم أراكان غرب ميانمار" بورما سابقاً" تواجه حالات من العنف والاضطهاد والتمييز ما دفع الآلاف منهم إلى النزوح القسرى. فمجموعات الروهينجا تلك المجموعات ذات الاثنية الإسلامية ظلت تناضل

^١ انظر في إكرام بدر اليبدين، أزمة التكامل في الدول حديثة الاستقلال مع دراسة للكيان الإسرائيلي، القاهرة، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ٨٤-٧٤

^٢ نعيم محمد قداح، ميانمار.. قراءة في أزمة قديمة متجددة، جريدة البحث، العدد ١٣٤٤٨، ٢٠٠٨/٧/٣

لإثبات جنسيتها البورمية حيث ينص القانون البورمي في شأن الجنسية الصادر في ١٩٨٨ على أن المجموعات الاثنية التي تثبت وجودها على الأراضي البورمية قبل عام ١٨٣٠ (قبل الحرب الانكليزية - البورمية التي أدت إلى الاستعمار) تستطيع وحدها الحصول على الجنسية البورمية الأمر الذي يحرم الروهينجا منها سالباً إياهم حق المواطنة . وقد كتبت المفوضية العليا للاجئين في تقرير لها أصدرته في ديسمبر أن هذا الاضطهاد يشمل " ولا يقتصر على " عمل السخرة والابتزاز والقيود على حرية التنقل، وعدم وجود قانون للإقامة، وقواعد زواج جائرة، ومصادرة أراض. كذلك لا يستفيد الروهينجا إلا بشكل محدود من التعليم الثانوي ومن الخدمات العامة الأخرى، وتشير تقارير المفوضية العليا للاجئين للأمم المتحدة إلى تدهور أوضاع اللاجئين من الروهينجا الذين يبلغ تعدادهم إلى ما يقارب ٢٣ ألف لاجئ منهم ما يقارب ٣٠ ألف مسجل رسمياً في مخيمات اللاجئين في بنجلادش. ومن ثم تعد بورما من النماذج على خلفية ما يتعلق بأزمات الهوية والاندماج الوطني. فمفهوم الهوية ظل بارتباطاته مع الوحدة والتعدد الثقافي والدولة الوطنية، يشغل الفكر السياسي والثقافي والاجتماعي مما يعد مقدمات لتفكك الوحدة الوطنية بخاصة مع التراجع في الدور المنوط به للدولة في حماية قاطنيتها من الأقليات. وعليه نتناول الأبعاد الأساسية لتداعي الأزمة في بورما على النحو الآتي:-

أولاً: الأبعاد التاريخية للأزمة

بدأت منذ العام ١٨٢٢ محاولات الاستيلاء على أقاليم بورما المختلفة وضمها إلى الإمبراطورية البريطانية ممثلة في سبع ولايات، وسبع مناطق بإجمالي ١٠٠ منطقة وولاية إدارية، حيث نجح البريطانيون باحتلال بورما (ميانمار) بالكامل وضمها إلى الهند في ١٨٨٥ وإخضاعها لما يسمى نظام الحكم المزدوج (الهندي-بريطاني) حتى سنة ١٩٢٢ م ، ومنحت على إثره نوعاً ما من الحكم الذاتي سمح لها بإجراء انتخاب جزئي للسلطة التشريعية. غير أنه وفي عام ١٩٣٠ م فرض البريطانيون دستوراً جديداً على البلاد سمح بفصلها عن الهند باعتبارها إحدى ولايات الهند البريطانية التي تتألف من اتحاد عدة ولايات، هي بورما وكرن وكابا وشانوكاشين وشن، وسمح بانتخابات برلمانية مع صلاحيات محدودة للسلطة التنفيذية؛ لتكون بذلك مستعمرة بريطانية منفصلة في ١٩٣٣. وفي العام نفسه ضمت بريطانيا بورما مع أراكان التي كان تقطنها أغلبية من المسلمين، لتكون ضمن إمبراطوريتها التي لا تغيب عنها الشمس خلال الحقبة الاستعمارية آنذاك. إلى أن قامت ميليشيا "الرفاق الثلاثين" جيش الاستقلال البورمي في العام ١٩٤٤ وهو قوة مسلحة معنية بطرد الاحتلال البريطاني. تلقى قاداته- الرفاق الثلاثون- التدريب العسكري في اليابان. وعادوا مع الغزو الياباني في العام ١٩٤٤ م مما جعل "ميانمار" نقطة مواجهة خلال الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا واليابان. وفي يوليو ١٩٤٥ م عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء أعادت بريطانيا ضم بورما مستعمرة، حتى إن الصراع الداخلي بين البورميين أنفسهم كانوا ينقسم بين موالي بريطانيا أو لليابان ومعارض لكلا التدخلين، ثم نالت بورما استقلالها سنة ١٩٤٨ م وانفصلت عن الاستعمار البريطاني نهائياً.^(١) حين وافق البريطانيون على منح بورما (ميانمار) الاستقلال الكامل والحكم الذاتي لمناطق الجماعات غير البورمية الرئيسة، وبقيت ميانمار مسرحاً للصراعات المحلية والتأثير الخارجي من الجوار بخاصة التأثير الصيني بأشكالها السياسية والعسكرية.

^١لمزيد من التفاصيل انظر :

جوزيف دوتريمير، بورما تحت الحكم البريطاني، لندن، ت. فيشر أنوين، ١٩١٣

ثانياً: البعد الاجتماعي والثقافي

يصل تعداد السكان في بورما كما أسلفنا ما يزيد عن (٥) مليون نسمة، ونسبة المسلمين في هذا البلد لا تقل عن ٢٠% من مجموع السكان نصفهم في إقليم أراكان - ذي الأغلبية المسلمة، ويختلف سكان بورما من حيث التركيب العرقي واللغوي بسبب تعدد العناصر المكونة للبلاد، ويتحدث أغلب سكانها اللغة البورمانية ويطلق على هؤلاء "البورمان"، وأصلهم من التبت الصينية، وعقيدتهم هي البوذية، هاجروا إلى المنطقة "بورما" في القرن السادس عشر الميلادي ثم استولوا على البلاد في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وهم الطائفة الحاكمة، وباقي السكان يتحدثون لغات متعددة، ويتحدث كثير منهم اللغة الإنجليزية. وفي بعض المناطق تستخدم مجموعات كثيرة تعيش في التلال لغات خاصة بهم. ويبلغ مجموع عدد اللغات المتكلمة في بورما ما يقارباً ١٠ لغة.

ومن بين الجماعات المتعددة اللغة جماعات أراكان وجماعات الكشين. وتشكل نسبة المتقنين القراءة والكتابة ما يقارب ٨٠% من مجموع السكان في بورما، حيث تفرض الحكومة دخول الأطفال للتعليم في عمر ٩٥ سنوات. وتمنح الحكومة التعليم المجاني من الروضة إلى الجامعة، ولكن التعليم بعد المرحلة الابتدائية لا يتوفر إلا في المدن.

تصل نسبة المسلمين في بورما كما أسلفنا إلى ما يقارب ٢٠% وباقي أصحاب الديانات من البوذيين "الماغ" وطوائف أخرى. ويتكون اتحاد بورما من عرقيات Ethnicities كثيرة جداً تصل إلى أكثر من ١٤ عرقاً، أهمها من حيث الكثرة: "البورمان"، وأغلبهم من البوذيين ويسكنون في قرى حول الدلتا وحول وادي نهر اراواوي، والأغلبية العظمى من أصول وفدوا من وسط آسيا إلى المنطقة، وهياكلهم عرقية في البلاد تشمل نحو ثلثي السكان. وهناك أيضاً الـ "شان وكشين وكارين وشين وكايا وركهاين - والماغ"، ويقطن قرابة ٧٥% منهم في المناطق الريفية والبقية في المدن. (1) وينتشر الإسلام بين هذه الجماعات، والمسلمون يعرفون في بورما بـ "الروهينجا"، وهم الطائفة الثانية بعد "البورمان"، ويصل تعدادهم إلى قرابة الـ ١٠ ملايين نسمة، أما منطقة "أراكان" فيسكنها ٥ مليون نسمة حيث توجد كثافة عديدة للمسلمين يصل عددها إلى ٤ ملايين مسلم يمثلون ٧٠% من سكان الإقليم، وإن كانت الإحصاءات الرسمية لا تنصف المسلمين في هذا العدد، حيث يذكر أن عدد المسلمين - بحسب الإحصاءات الرسمية - بين ٥ و٨ ملايين نسمة، ويُعدّ المسلمون من أفقر الجاليات في ميانمار، وأقلها تعليماً، ومعرفتهم عن الإسلام محدودة. وأكثر المسلمين الأركانبيين هم من أصول عربية من المسلمين في اليمن والجزيرة العربية وبعض بلاد الشام والعراق وبعضهم من أصول فارسية، وبنغلاديشية وهندية. وقد وصل هؤلاء المسلمون إلى ولاية أراكان في بورما وجارتها بنغلاديش بغرض التجارة ونشر الإسلام، وهناك استقر الكثير منهم ونشروا الرسالة الإسلامية. وبعد حملة الإبادة الجماعية ضد المسلمين، هاجرت نسبة كبيرة من السكان إلى السعودية والإمارات وبنغلاديش والباكستان بسبب القتل الجماعي والاضطهاد الذي واجهوه من البوذيين والحكومة الميانمارية.

ثالثاً البعد السياسي

عرفت بورما النظام البرلماني حتى حدوث انقلاب عسكري في عام ١٩٦٦ قام به الجنرال (ني وين)، الذي أسس مجلساً عسكرياً عانت على اثره بورما ووصفت بأنها من أقدم الدكتاتوريات في العالم؛ إذ أطاح الجنرال (ني وين) بأول حكومة مدنية حينذاك. وفي عام ١٩٧٤ تم إلغاء الدستور ووضع دستور جديد تحت شعار "الطريق البورمي إلى الاشتراكية"، تبنته الحكومة الاشتراكية الجديدة مبدءاً لإدارة شؤون الدولة، وطرح مشروع الدستور الجديد لبورما الذي تقرر استفتاء الشعب عليه-

^١ انظر موسوعة مقاتل من الصحراء:

بعد مناقشات واسعة ومستفيضة حول قضية وحدة الوطن البورماني^(١). وذلك انعكاسا لما كانت تواجهه بورما منذ عهد الاستعمار البريطاني بسبب التقسيم العنصري الذي حاول الاستعمار بشق الطرق فرضه على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لشعب بورما، وتؤكد المادة الثانية من فصل الدولة في المشروع أن كل الجماعات العنصرية الوطنية في بورما قد قررت أن تعيش معا في وحدة ومساواة عنصرية، وألا تفترق سواء في أوقات الرخاء أو أوقات العسر. وتؤكد المادة الرابعة أهمية سيادة الدولة على جميع المواطنين باعتبار ذلك أمراهما جدا للحفاظ على الوحدة الوطنية، وعلى استمرار وجود البلاد ودعمها كاتحاد. بل إن مشروع الدستور يربط قضية الأخذ بنظام الحزب الواحد وقضية الوحدة الوطنية مؤكدا أن تحاشي النزاعات والصراعات الحزبية يهدف إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية للشعب. ويمكننا أن نلاحظ من الناحية الإحصائية البحتة أن المواد من ٢ إلى ٢١ لا تخلو واحدة منها من إشارة إلى نقطة الوحدة الوطنية بين القوميات والعناصر التي يتكون منها اتحاد بورما، فضلا عن الفصول من ٣ إلى ١٠ التي تتناول التقسيم السياسي والتنظيمي لاتحاد بورما، وقد قسم المشروع الاتحاد على ٤ أقسام، فيما ٦ ولايات و٨ أقاليم، الولايات مقسمة على فق القوميات من ناحية، والأقاليم على وفق التقسيم الإداري من ناحية أخرى^(٢). وتكشف مطالعة مشروع الدستور الجديد لبورما لتأثيرات الفلسفة البوذية في عمومياتها، وتأثيرات تجربة قيادة الجنرال أونج سان (١٩٤٧-١٩٩١) الذي يعد بطل الاستقلال في بورما ورائد الاشتراكية الأول، كذلك تأثيرات المبادئ التي وضعها إعلان طريق بورما إلى الاشتراكية. وحزب البرنامج الاشتراكي لبورما وتحت كل هذه التأثيرات تهيأت بورما لمرحلة مختلفة من تطورها السياسي فيما بعد الاستقلال، ويمكن اعتبارها المرحلة الثانية في بناء الاشتراكية، وهي مرحلة تتميز بإقرار النظم والمؤسسات، في حين كانت المرحلة الأولى تتميز بإقرار الإجراءات الثورية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بخاصة التأميم والإصلاح الزراعي وإلغاء الأحزاب ومحاربة الحركات الانفصالية المسلحة والتأكيد على سلطة الدولة وقد تم كل ذلك في غياب الأجهزة المنتخبة.

وفي ١٩٨٨ من نوفمبر تنحى ني وين عن رئاسة الدولة لكنه احتفظ برئاسة الحكومة بوصفه زعيما للحزب الحاكم. وفي مارس ١٩٨٨ اندلعت انتفاضة شعبية أدى الرهبان البوذيين دورا رئيسا فيها، وعمت أرجاء ميانمار مطالبة بالديمقراطية وتحسين الأوضاع الاقتصادية، غير أن قوات الأمن ردت على تلك الاحتجاجات بمذبحة دموية قتل خلالها الكثير من المتظاهرين.

وتزامنت هذه التطورات مع بروز اسم (أونج سان سوكي) زعيمة للمعارضة التياسست في العام نفسه حزب الرابطة الوطنية من أجل الديمقراطية. وفي سبتمبر ١٩٨٨ أعلن الجنرال (ساوماونغ) استيلاءه على السلطة، وغيّرت حكومتها في يونيو ١٩٨٩ اسم البلاد من (بورما) إلى (ميانمار) واسم العاصمة من (رامغون) إلى (يانغون)، وسط هذه الأوضاع دعا المجلس العسكري الحاكم في مايو ١٩٩٠ إلى انتخابات عامة أحرز خلالها حزب الرابطة الوطنية من أجل الديمقراطية بزعامة سوتشي فوزا ساحقا، حيث فاز ٣٩٢ مقعدا في المجلس الوطني من أصل ٤٨٩ مقعدا. غير أن المجلس العسكري الحاكم وقادته العسكريين رفضوا الاعتراف بنتائج الانتخابات، ورفضوا نقل السلطة للحكومة المدنية، وقامت الحكومة العسكرية باعتقال عدد من السياسيين المعارضين، في حين فر آخرون إلى الخارج ووضعت زعيمة المعارضة أونج سان سوكي حتى عام ٢٠٠٠ قيد الإقامة الجبرية. وفي يوليو ١٩٩٢ تولى الجنرال (ثان شوي) زمام السلطة من ساوماونغ ليصبح رئيسا للمجلس العسكري ورئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع، ووضع أسلافه ني وين وجميع أفراد عائلته قيد الإقامة الجبرية عالم ٢٠٠٠، وبهذا تتكون السلطة التنفيذية

^١ سمير كرم، بورما وبناء الاشتراكية الديمقراطية، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للنشر والتوزيع، يناير ١٩٧٣

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=213525&eid=3750>

^٢ موسوعة مقاتل من الصحراء، مرجع سبق ذكره

من رئيس الدولة وهو رئيس المجلس العسكري ورئيس الوزراء ووزير الدفاع ، أما السلطة التشريعية فتشمل البرلمان ويتكون من ٤٨٥ عضواً يتم انتخابهم لمدة أربعة أعوام. غير أنمجيء (ثان شوي) لم يرض سكان ميانمار ؛ إذ اندلعت مظاهرات تحت اسم ثورة الزعفران عام ٢٠٠٦ وشارك فيها الرهبان البوذيون أيضا احتجاجا على غلاء المعيشة ، لكن السلطات قمعتها بشكل دموي (١). وفي نوفمبر ٢٠٠٦ نظمت السلطة العسكرية الحاكمة انتخابات عامة أسفرت عن انتخاب (تين سين) رئيسا للبلاد ، وبعد عامين من تشكيل الحكومة الجديدة تم تشكيل برلمان جديد، وسن من خلاله دستورا جديدا للبلاد (٢). وفي ظل الاحتجاجات الداخلية والانتقادات الخارجية أطلق الرئيس تين سين عددا من الخطوات الإصلاحية عام ٢٠٠٦ ، أهمها أنه حل نفسه في مارس ٢٠٠٦ وسلم إدارة الحكومة إلى سلطات وصفها بأنها مدنية وليست عسكرية ، وأفرج عن سجناء سياسيين ينتمي الكثير منهم إلى الرابطة الوطنية لتعلن الأخيرة في نوفمبر من العام ٢٠٠٦ نيتها إعادة تسجيل نفسها حزبا سياسيا لتستطيع التنافس على مقاعد البرلمان. وتمكن حزب الرابطة في انتخابات فرعية نظمت مطلع أبريل ٢٠٠٦ وحضرها مراقبون وصحفيون أجانب من حصد كل المقاعد المتنافس عليها وعددها (٤٩)؛ أي: ما يمثل أقل من عشر إجمالي المقاعد البرلمانية، وقد عاد أحدها إلى (أونج سان سوكي) (٣)، وأعلن الاتحاد الأوروبي في حينها أنه سيفتح مكتباً له في ميانمار لإدارة برامج المساعدات وأدى الدور السياسي فيها.

أوضاع المسلمين في بورما

تعرضت الأقلية المسلمة في بورما للقمع العسكري والأمني والاضطهاد الاجتماعي والسياسي والاستغلال الاقتصادي والتشويه الديني والثقافي منذ عقود، حيث يتوزع المسلمون في أنحاء بورما على شكل مجتمعات صغيرة، ويتركز منهم من ذوي الأصول الهندية في رانغون. ويتركز الروهينجا في بلدات شمال أراكان: مايونجداو وبوئيدايونغوراثدايونغ وأكياب وساندواي وتونغو وسوكيرو وجزيرة راشونغ كياوكتاو. وهناك أيضا بانثاي وهم مسلمو بورما من أصول صينية. ويتواجد المسلمون من أصول مالايو في كاوثونغ في أقصى جنوب ميانمار. ويسمى الأشخاص من أصول مالايو ومن أي ديانة كانت باسم باشو. وهناك مسلمو الزربادي وهم خليط تزاوج رجال من مسلمي جنوب آسيا والشرق الأوسط مع نساء من بورما.

ويتعرض المسلمون في بورما لعمليات الطرد الجماعي المتكرر خارج الوطن حيث طرد أكثر من ٣٠٠.٠٠٠ مسلم إلى بنغلاديش. وفي العام ١٩٧٦ م طرد أكثر من ٥٠٠.٠٠٠؛ أي: نصف مليون مسلم، والآن يعيشون في أوضاع قاسية جداً، مات منهم قرابة ٤٠.٠٠٠ من الشيوخ والنساء والأطفال بحسب إحصائية وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. وفي العام ١٩٨٨ م طرد أكثر من ١٥٠.٠٠٠ مسلم، بسبب بناء القرى النموذجية للبوذيين في محاولة للتغيير الديموغرافي، وفي عام ١٩٩٩ م طرد قرابة ٥٠٠.٠٠٠؛ أي: نصف مليون مسلم. ومن الإجراءات القاسية للنظام القائم كذلك إلغاء حق المواطنة للمسلمين؛ حيث تم استبدال بطاقاتهم الرسمية القديمة ببطاقات تفيد أنهم ليسوا مواطنين، كذلك يحرم أبناء المسلمين من مواصلة التعلم في الكليات والجامعات، إمعاناً في تهديمهم وتحجيمهم ومن يلجأ للخارج يُطوى قيده من سجلات القرية، ومن ثم يعتقل عند عودته، ويرمى به في غياهب السجون، فضلاً على حرمانهم من الوظائف الحكومية مهما كان تأهيلهم، حتى الذين كانوا يعملون منذ حقبة الاستعمار أو القدماء في الوظائف أجبروا على الاستقالة أو الفصل التعسفي، إلا عمداء القرى وبعض الوظائف التي يحتاجها العسكر فإنهم يعينون فيها المسلمين بدون رواتب، بل على نفقتهم ويدفعون تكاليف المواصلات

^١ جريدة النهار، «ثورة الزعفران» تتحول إلى مواجهة أميركية صينية في مجلس الأمن، الكويت، العدد ٣٧ - ٢٠٠٧/١٠/٠٨ - <http://www.annaharkw.com/annahar/ArticlePrint.aspx?id=25999>

^٢ إلياس تملالي ، السيدة و الجنرال، قطر ، موقع الجزيرة نت، 2/4/2012 <http://www.aljazeera.net/news/pages/2dcf9560-4a83-4868-85e0-b2fc25d6f239>

^٣ موقع أراكان او لاین: <http://www.arakanonline.com/a/index.php/news-reports/newssofburma>

للعسكر، واستضافتهم عند قيامهم بالجولات التفتيشية للقري، ويضاف إلى ذلك منعهم من السفر إلى الخارج حتى لأداء فريضة الحج إلا إلى بنغلاديش ولمدة يسيرة، ويعد السفر إلى عاصمة الدولة "رانغون" أو أية مدينة أخرى جريمة يعاقب عليها، وكذا عاصمة الإقليم والميناء الوحيد فيه مدينة "أكياب"، بل يمنع التنقل من قرية إلى أخرى إلا بعد الحصول على تصريح.

وكذلك يمنع المسلمون من استضافة أحد في بيوتهم ولو كانوا أشقاء أو أقارب إلا بإذن مسبق، وأما المبيت فيمنع منعاً باتاً، ويعد جريمة كبرى ربما يعاقب عليها بهدم المنزل أو الاعتقال أو الطرد من البلاد الأسرة بأكملها، وتفرض عقوبات اقتصادية، مثل: الضرائب الباهظة في كل شيء، والغرامات المالية، ومنع بيع المحاصيل إلا للعسكر أو من يمثلهم بسعر زهيد لإبقائهم في فقرهم المدقع، أو لإجبارهم على ترك أراضيهم وممتلكاتهم.

وبالعودة إلى الروهينجافهم شعب مسلم سني مع بعض التقاليد الصوفية. وعلى وفق تقديرات إحصائية رسمية لسنة ٢٠١٢ يوجد ٨٠ ألف شخص روهينجي في أراكانوحدها، وتعتبرهم الأمم المتحدة بأنهم أكثر الأقليات اضطهاداً في العالم. وهناك نسبة كبيرة منهم هاجرت وهربت على شكل سلسلة لاجئين للعيش في مخيمات بنغلاديش المجاورة، وعدة مناطق داخل تايلاند على الحدود مع بورما. وتم تهجير ٨٠ ألف مسلم، و ٢ ألف بوذي من بيوتهم مناطق أخرى بعيدة عن سكنهم؛ بسبب تصاعد حدة الصراع الديني الطائفي بين الجانبين. ويبقى الروهينجاء داخل المخيمات الجديدة الكثيفة، حيث يعيشون على كميات المواد الغذائية القليلة التي يوزعها برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة، في حين يعيش البوذيون المشردون في الأديرة والكنائس في مناطق نائية عن قراهم ومدنهم.

وقد قيدت بشدة حركة الروهينجيين في التنقل، وحرمت الغالبية العظمى منهم من الجنسية البورمية. ويتعرضون أيضاً لعدة أنواع من الابتزاز والضرائب التعسفية ومصادرة الأراضي، والإخلاء القسري، وتدمير منازلهم، وفرض قيود مالية على الزواج. وما يزالون يستخدمونهم عمالاً سخرة في الطرقات ومعسكرات الجيش وإن كان معدل أعمال السخرة قد انخفض في ولاية راخين الشمالية خلال العقد الماضي في أعقاب "عملية الملك التنين" المسماة ناجامين للجيش البورمي في سنة ١٩٧٧ حيث فر أكثر من ٢٠٠ ألف من الروهينجا إلى بنغلاديش. وتهدف تلك الحملة رسمياً "بالتدقيق على كل فرد يعيش في الدولة، وتصنيف المواطنين الأجانب بحسب القانون، واتخاذ الإجراءات ضد الأجانب الذين دخلوا البلاد بطريقة غير مشروعة". تلك الحملة استهدفت المدنيين مباشرة، مما أسفر عن انتشار القتل على نطاق واسع، والاعتصاب، وتدمير المساجد، فضلاً عن الاضطهاد الديني. وتجددت مرة أخرى موجة الهروب ما بين ١٩٩٢ و١٩٩٩، حيث فر أكثر من ربع مليون روهينجي إلى بنغلاديش. وقالوا: "إنه تم استخدامهم عمالاً للسخرة، وجرت في حقهم عمليات إعدام بدون محاكمات وتعذيب واعتصاب. واجبروا على العمل من دون أجر في مشاريع البنية التحتية والاقتصادية في ظروف قاسية. وقد حدثت العديد من الانتهاكات لحقوق الإنسان من الأمن خلال عملهم في السخرة."

هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى انفجار أعمال الوحشية والتمييز العنصري ضد أبناء الأقلية المسلمة في ميانمار بولاية راخين وغيرها، منذ أمد بعيد، لعل من أهمها: تباين وتنافر القومية والدين بين البوذيين والمسلمين، وقد استغلّت الغالبية البورمية حادثة الاعتداء الجنسي على فتاة بوذية، وبدأت العنصرية البغيضة المتأصلة في نفوس البوذيين ضد المسلمين، بتسلسل الأحداث الاجتماعية في ٢٨ مايو ٢٠١١، قرب من قرية (كايت ني ماو) حيث يزعم بعض البوذيين بأن ثلاثة من أقلية "الروهينجا" المسلمة اعتدوا جنسياً على فتاة بوذية وقتلوا، فاعتقلتهم الشرطة البورمية وأودعتهم السجن. فهب بعض البوذيين للانتقام ولكن بدواعي طائفية عنصرية. وبدأت شرارة حرق الممتلكات والعنف والعنف المضاد في ٨ يونيو ٢٠١١.

وتصاعدت الصراعات الدينية الاثنية بين عرقيتي الراخين ومسلمي الروهنجيا شمال ولاية اراكان ميانمار. وقد تدافع البوذيون من ذوي النعرات الطائفية لتحريك شر الانتقام فقتلوا عشرة مواطنين مسلمين؛ إذ هاجمت مجموعة من البوذيين محافظة في مدينة (توانغاب)، فتصدى لهم بعض المسلمين من أقلية (الروهنجيا) المسلمة بعد صلاة الجمعة، وذلك بمهاجمة عشرات البوذيين المعتدين فقتلوا سبعة منهم، فقدحت شرارة الاضطرابات والشغب والفوضى المتبادلة بين الجانبين البوذي والمسلم في تلك الولاية البورمية ثم اتسعت لتمتد لبقية أجزاء البلاد.

وتزايدت أعداد القتلى في المجازر الجماعية لتصبح ٥٤ شخصاً، وحرقت قرابة ٢٥٢ متجرًا و منزلًا ومسجدًا إسلاميًا ومعبدًا بوذيًا في الأيام الأولى لاندلاع الصراع الطائفي، ، ممًيًا ١٣٣ لطاقفة الروهنجيا المسلمة و ١,١ للراخين البوذيين، وتفيد آخر الإحصاءات أنه تم تدمير ٤٦٠ منزل في ٨ مناطق بولاية أراكان، وقالت منظمة لحقوق الانسان (هيومن رايتس ووتش): إن أكثر من ٨١ من المباني ومنازل القوارب قد سويت بالأرض في كياوكيبو في ٢٤ أكتوبر ٢٠١٠، ما أجبر كثيرين من الروهنجيا على النزوح شمالًا بطريق البحر إلى سيتوي عاصمة الولاية، وصاحب ذلك تشريد آلاف المسلمين والبوذيين لخارج موطنهم وأماكن إقامتهم العادية.

وخلال أسابيع معدودة وصل عدد القتلى من المسلمين إلى قرابة ٢٠٠ شخص من النساء والأطفال والكبار في السن، وتهجير نحو ١٠ ألف بورمي السواد الأعظم منهم من المسلمين، وأقيم سبعة وثلاثين مخيمًا للاجئين في أنحاء ولاية راخين على وفق إحصاءات عالمية وإنسانية بخاصة إحصاءات دينية إسلامية تركية رسمية على وفق سياسة معتمدة ومعتمدة للتطهير العرقي ضد أبناء الأقلية المسلمة من أتباع بوذا الذين يشكلون أغلبية السكان في تلك البلاد.

وفي تطور لاحق تضاربت الأنباء عن عدد ضحايا المسلمين، فبعض التقارير الإحصائية أشارت إلى إبادة ٢٠ ألف مسلم، في الشهرين الأولين من المعركة الطائفية المحتمدة (يونيو و يوليو ٢٠١٠)، في حين أوضحت تقارير إعلامية أخرى أن رقم ضحايا المسلمين تجاوز ٧٠ ألف بورمي مسلم من الأطفال والنساء والكبار في السن في المدة ذاتها، في مجزرة طائفية بورمية مفتوحة ضد الأقلية المسلمة وسط تعميم إعلامي حكومي رسمي من حكومة ميانمار العنصرية.

ثم تابعت عملية التعذيب والتنكيل والبطش الرسمي الحكومي والشعبي البوذي بالمواطنين المسلمين في مختلف أرجاء ميانمار بقتل المئات بمجازر رهيبة تقشعر لها الأبدان والعقول السوية، وحرقت آلاف الأشخاص، واغتصاب عشرات الفتيات والنساء المسلمات جهارًا نهارًا، واحرق عشرات الأطفال الصغار والنساء، واعتقال مئات المسلمين بلا ذنب ارتكبهوه، مما أسهم في تشريد أعداد إضافية من المواطنين المسلمين إلى الدول المجاورة مثل بنغلادش وغيرها. وقد أشارت منظمة "هيومان رايتس ووتش" لحقوق الإنسان إلى الانتهاكات التي يتعرض لها مسلمو الروهنجيا بولاية أراكان، حيث أفادت "بأنهم يتعرضون للسخرة، وتقييد في حرية الحركة، وحرية العبادة، وتفرض عليهم الأحكام العرفية، وتُدمر منازلهم؛ لهذا تظل أساليب التعذيب والتنكيل والاضطهاد الديني والقومي والانساني بالمسلمين في بورما فضلًا عن تردي أوضاعهم الاقتصادية، وتجاهل السلطات الرسمية في البلاد لهم واقعا مريرا حتى إن بعضهم يشير الى أن تلك السياسات العنصرية سواء الشعبية منها والعسكرية تتم تحت رعاية رسمية حين صرح رئيس بورما (ثين سين) بأنه يجب طرد مسلمي الروهنجيا من البلاد، وإرسالهم إلى مخيمات للاجئين تديرها الأمم المتحدة. وعدّ - سين - أن "الحل الوحيد لقضيتهم يتبلور في إرسالهم إلى المفوضية العليا للاجئين لوضعهم في معسكرات تحت مسؤوليتهم". وتابعت قائلاً "سنبعث بهم إلى أي بلد آخر يقبلهم. وهذا ما نعتقد أنه الحل للمشكلة".

ومن ثم تتعمق جذور الأزمة وتتضح تجلياتها عيانا بيانا ، غير أن الخطير في الأمر أن السلطات الرسمية في البلاد لا تعمل على احتوائها أو حلها بل تسهم بشكل أو بآخر في احتدامها.

المحور الثاني: الأدوار الإقليمية والدولية في الأزمة

على الرغم من أهمية البعد الداخلي في اندلاع الأزمة في بورما ، فإن البعد الخارجي يعد الأقوى في مساراتها وتطوراتها ، وهو أمر يرجع إلى الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لميانمار؛ إذ إن موقعها أوجد حالة من التنافس الشديد بين القوى الدولية والإقليمية.

وتكمن أهمية ميانمار لواشنطن في موقعها الاستراتيجي بين الصين والمحيط الهندي، حيث تسعى لجعلها «خاصة رخوة» يمكن الانطلاق منها إلى الصين الجنوبية، وكانت الولايات المتحدة قد فرضت عقوبات على بورما بعد أحداث عام ١٩٨١، فقد أدى نقص الغذاء والتدهور الاقتصادي إلى حالة سخط عام خرجت على إثرها مظاهرات شعبية، تزعم معظمها الرهبان والطلاب وبرزت خلالها أونج سان سوكي زعيمة حزب المعارضة الرئيسي «الرابطة الوطنية من أجل الديمقراطية» وقام الجيش بالتصدي للمتظاهرين بالقوة المسلحة. وتضمن ذلك حظر تصدير الخدمات المالية وتجميد أصول بعض المؤسسات البورمية، واستكمالاً لهذه العقوبات مع اندلاع التوترات والمظاهرات مجدداً في ٢٠٠٠؛ بسبب ارتفاع أسعار الوقود ومشتقاته والمواد الأساسية الأخرى التي تم اعتقال المئات من الرهبان والمعارضين فيها، وأعلن حظر التجوال نهائياً لمدة ٦٠ يوماً فيما يعد انتهاكاً صارخاً من الحكومة البورمية سواء في تطويق تلك المظاهرات بالقوة أو فظاظة انتهاكات الإنسانية في حقها. وقد أعلن الرئيس بوش في خطاب ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٠ تشديد العقوبات المالية التي تستهدف قادة بورما، وعلى الرغم من أن واشنطن بررت إجراءاتها بما يجري في ميانمار من انتهاكات لحقوق الإنسان، غير أن هذا التحرك الأمريكي يرتبط بشكل كبير برغبة الولايات المتحدة في مواجهة النفوذ الصيني المتنامي في ميانمار، فقد زودت بكين ميانمار بمحطات رادار وسفن دوريات بحرية من نوع «هينان» بقيمة مليار ونصف مليار من الدولارات، وأقيمت عدة محطات مراقبة الكترونية على الجزر، والشواطئ البورمية، فضلاً عن حصول الصين على كمية كبيرة من نفط بورما الطبيعي وغازها، أضف إلى ذلك الاستثمارات الصينية والوجود البشري.

وفي هذا الصدد، رأى بعض المحللين أن العقوبات التي أعلن عنها الرئيس بوش في الأمم المتحدة موجّهة تحديداً، لاستغلال التوترات القائمة في بورما لإضعاف علاقتها بالصين، حيث تركز الإجراءات الجديدة على الصف الأول من المجلس العسكري، فضلاً عن رجال الأعمال البورميين الكبار الذين يتوسطون في الصفقات الأجنبية للنظام، اعتماداً على أن الضغط على قمة النظام ربما يغري الصف الثاني من القادة العسكريين بالتحرك والانقلاب على القادة الكبار، وهو ما وصفه مسؤول بالإدارة الأمريكية بـ «إشعال التغيير».

وعلى أية حال تشمل أجندة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في دول شرق آسيا : دعم برنامج عدم انتشار الأسلحة النووية، وأسلحة الدمار الشامل، ودعم سيادة التكامل الاقتصادي لشراكة ما حول الأطلسي^(١)، وكذلك إدخال بورما في برامج العوامة والانفتاح على العالم الغربي، وتعزيز الاستثمار والهيمنة الاقتصادية والدولية على بورما - وتعد المعارضة في تايلاند هي حليف الغرب وممر هذه الأجندة في شرق آسيا. ومن ثم تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بترويج أفكارها عن

^١ شراكة ما حول الأطلسي : هي اتفاقية تجارة حرة بين دول شرق آسيا وأكبرهم الصين وبين الأمريكتين وأكبرهم الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك كثير من الآراء المناهضة لهذه الاتفاقية في الصين؛ لأنها تهدد التكامل الاقتصادي بين دول شرق آسيا وكذلك هذه الاتفاقية تشترط على الدول الصغيرة عدم حيازتها للأسلحة النووية وهو ما تقف الصين ضده، فهذه الاتفاقية تتوعد من التدخل الأمريكي في دول شرق آسيا والصين ما زالت غير مشاركة في هذه الاتفاقية.

الديمقراطية في بورما من خلال دعم المعارضة والنشطاء التابعين لحركة المعارضة في الداخل والخارج، وكذلك منظمات المجتمع المدني مثل: المؤسسة الوطنية للديمقراطية NED ومعهد المجتمع المدني المفتوح، وانترنيوز التي تعمل داخل المنطقة وخارجها على نطاق واسع لتعزيز الديمقراطية.⁽¹⁾ (في تقرير للمملكة المتحدة عالم ٢٠٠ بعنوان: "فشل شعب بورما" دعم الولايات المتحدة الأمريكية لبورما في العالم ٢٠٠ م بمبلغ ٢,٥٠٠ دولار لتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان في بورما. وتستخدم هذه الأموال لدعم الأقليات العرقية في بورما من خلال دعم البرنامج الفرعي عن طريق منح جزئية المشاريع الممولة تهدف إلى نشر ثقافة الديمقراطية بداخل بورما لإنشاء مؤسسات تابعة للمجتمع المدني داعمة للديمقراطية ولتسهيل الحصول على معلومات فيما انتهاكات لحقوق الإنسان بواسطة النظام العسكري في بورما. وبناء الإمكانيات لدعم عودة اللاجئين إلى بورما.

وعلى إثر التغييرات السياسية في بورما استقبل الرئيس البورمي ثين سين رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كامبرون إلى بورما في ١٣ أبريل ٢٠١ وهي أول زيارة لرئيس حكومة غربي منذ عقود، وفي الوقت الذي تدرس فيه القوى العظمى تخفيف العقوبات عن النظام الشيوعي، بحسب مراسل لوكالة فرانس برس. وأشاد الرئيس البورمي باللقاء "التاريخي" خلال استقباله لكامبرون الذي يعد المسؤول الأول على هذا المستوى الذي يزور بورما منذ الانقلاب العسكري في العالم ١٩٦. وقد صرح الرئيس ثين سين "نحن سعداء بإقراركم بالجهود التي نبذلها لتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان في بورما". وسبق أن قام مسؤولون غربيون عدة بزيارات مؤخرا إلى بورما من بينهم وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في كانون الأول في إشارة إلى رغبة الإمبراطورية الدولية في إخراج بورما من عزلتها.

وفي إطار تصاعد أزمة الأقلية المسلمة الروهينجا في بورما تابع المجتمع الدولي وبشغف جم الزيارة التاريخية التي قام بها الرئيس الأمريكي باراك أوباما لبورما في ١٩ من فبراير ٢٠١ التي عدّها بعضهم بمثابة مكافأة ليانجون كبرى المدن البورمية نظير إصلاحات ديمقراطية مزعومة نجحت ميانمار في القيام بها مؤخرا، وليست محاسبة أو استثمارا لفرصة سانحة لإنصاف الروهينجا أو الانتصار لحقوقها أو استخدامها مجرد وسيلة للضغط على النظام الحاكم المعروف بتواطئه مع البوذيين في اضطهاد الروهينجا، لتحسين أوضاع تلك الأقلية أو وقف قتل أفرادها. ومن ثم يبدو أن موقف أوباما المتراخي في حسم تلك القضية لا يعبر فقط عن مبالغة التخاذل الأمريكي باللدولي الواضح في التعاطي مع تلك الأزمة على النحو المطلوب. لكن الواضح أن تلك القضية لا تمثل محورا في العلاقات الثنائية بين يانجون وواشنطن التي لا تعرف سوى لغة المصالح في التعامل مع الآخر.

وباستحضار الدور الصيني في أزمة بورما فمن المهم أن نشير إلى أن دور الصين في بورما دور له ميراث قديم منذ بواكير الثورة الثقافية التي أرادت الصين تصديرها لبورما بل هناك اتفاقات ثقافية للارتباط القديم بين البوذيين في كلا البلدين، تجلّى ذلك خلال زيارة للوفد الثقافي الصيني، فضلا عن أنها حليف للعسكر، فالعلاقات ما تزال تسير على وتيرتها كعلاقة صداقة وتعاون وذلك في العقود الأخيرة، ولا توجد مشاكل قائمة بين البلدين، وأن الصداقة بين "ميانمار" والصين راسخة، والتعاون على المستوى الثنائي والإقليمي والدولي بينهما يحقق تقدما جيدا. بحكم المصالح تراخت الصين في شجب الإجراءات القمعية التي قامت بها القوات العسكرية الحاكمة مع المطالبين بالديمقراطية من الرهبان البوذيين أو "ثورة الحفاة" كما يحلو للرهبان تسميتها، ولكن مع الضغط على بورما لدعم الديمقراطية التي كانت للبوذيين وحدهم، نجد بكيّن تؤيد

^١ ثورات وحقائق سرية، بورما.ميانمار. ما خلف الستار

http://revfacts.blogspot.com/2012/07/blog-post_25.html

الإصلاح في "ميانمار"، لكنها من خلف دعوتها الخجولة للقادة العسكريين تخفي الرغبة لحماية مصالحها الإستراتيجية والأمنية، المصالح المتبادلة حيث تحصل الصين على قواعد وتسهيلات عسكرية في الموانئ المطللة على خليج البنغال والمحيط الهندي. وللصين مصالح في مجال الطاقة في ميانمار. وتستورد سلعا من هذا البلد المعزول سياسيا، وبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين ٢١ مليار دولار العام ٢٠١٠: في مقابل الدعم المالي والسلاح.

ونجد أن الصين " قد عارضت تماما" فرض العقوبات الأمريكية على "ميانمار"، ولكن مع تدخل الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه رسالة يمكن أن توصف بالتحذيرية إلى الصين والهند ورد فيها: أن من واجب البلدين بصفتهم قوتين إقليميتين التوقف عن تزويد "ميانمار" بالأسلحة والطاقة، على أثر عمليات القمع التي قامت بها المجموعة العسكرية الحاكمة لتحركات كانت تطالب بالديمقراطية، وذلك في مؤتمر حول آسيا نظمته مجموعة "انتربرايز انستيتيوت الأمريكية": "إن الوقت حان لأن تضع بكين ودلبي جانبا عقود الطاقة التي ملأت جيوب المجموعة الحاكمة وتوقفا مبيعات الأسلحة إلى هذا النظام"، مما دعا الصين أن تظهر القلق حول الوضع في "ميانمار". فالوضع المضطرب في "ميانمار" يقلق الصين الجارة الكبرى للبلاد التي تشترك معها بحدود يتجاوز طولها ألفي كيلومتر عبر أحراش وجبال وأنهار، تشمل جزءا من أراضي "المثلث الذهبي" مصدر إنتاج وتهريب المخدرات بمنطقة جنوب شرق آسيا، ومن أبرز أهداف الصين الاستراتيجية في "ميانمار" محاصرة التحالف الناشئ بين الهند والولايات المتحدة واليابان وأستراليا، فهذا التحالف يهدد الصين؛ لذا فهي تجد أن من الطبيعي إقامة علاقات جيدة مع هذا البلد المجاور، وبدون دعم الصين ربما لن تقوى الحكومة العسكرية على الصمود وقد تنهار في أي لحظة، ولكن لم نسمع صوتا واحدا يدين القمع الذي يتعرض له المسلمون الذين راحوا ضحايا للمطالبة بالديمقراطية، ويدفعون الثمن غاليا في حين التنظيمات العرقية والدينية الأخرى لم تلق من القمع شيئا.^(١)

وعلى اثر إخفاق المجتمع الدولي في تدارك تصاعدات الأزمة انطلقت تحذيرات دولية بما فيها رابطة الآسيانالمسؤولة عن مغبة إهمال ملف أزمة مسلمي ميانمار، في تخفيف الضغوط التي يعيشها الروهينجا تحت الاضطهاد البوذي، الأمر الذي قد يدفع بالأقلية المسلمة - الأكثر اضطهادا في العالم على وفق تأكيدات الأمم المتحدة - لرد العنف بعنف مماثل، مما يهدد الأمن والاستقرار الإقليميين، بما في ذلك مضايق مالقالت التي تمثل الممر المائي الرئيس للسفن التجارية، وعلى المستوى العالمي بينالمحيطين الهندي والهادئ، رفضت حكومة ميانمار الدخول في محادثات معالرابطة والأمم المتحدة، بدعوى أن ما يجري شأن داخلي.

وفي سياق مماثل، أعلنت ٣٢ منظمة روهينجية في ماليزيا، تشكيل اتحاد دولي يهدف إلى توحيد الجهود السياسية والإنسانية؛ لمساعدة مضطهدي الروهينجا في ميانمار، وحشد التأييد الدولي لقضيتهم.

ودعا الأمين العام لاتحاد المنظمات الروهينجية، غياث عبد السلام إلى الضغط على المؤسسة الحاكمة ببورما؛ من أجل وقف الإبادة الجماعية التي يتعرض لها الروهينجيون في إقليم أراكان، وإفساح المجال أمام المساعدات الإنسانية، والمراقبين الدوليينللوصول إلى المتضررين من أعمال العنف.^(٢)

وفي السياق نفسه اندلعتمظاهراتفي إيران وتركيا وباكستان والهند واندونيسيا وماليزيا وبلداناخرى لإدانةمجازر المسلمين الروهينجا في بورما والإعراب عن تضامنهم معهموالإشفاقعليهم وعلى حالتهم المزرية.وتساءل المتظاهرون عن سبب تجاهل

^١ موقع قصة الإسلام، المسلمون في بورما ميانمار لا بواكى لهم، ٢٠٠٩/٣/٣١

<http://islamstory.com/ar>

أحمد عزيز، الروهينجا.. محاولات لتدويل الأزمة ومخاوف من تصفية القضية، ٢٠١٢/١١/٦

<http://main.islammmessage.com/newspage.aspx?id=15679>

المجتمع الدولي والقوى العالمية التي تتنادي بحقوق الإنسان لموقف المسلمين في بورما ، منددين بموقف الأمم المتحدة التي اعترفت بعقود التمييز التي عاشها الروهينجا في بورما، وتقييد حقهم في التعليم والخدمات الصحية والحق في الأرض ولكنها لم تتخذ أي خطوة إيجابية أو فعالة حتى الآن.

وفي الاتجاه نفسه، تناولت مباحثات الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، أكمل الدين إحسان أوغلو، مع وزير الخارجية المصري، محمد كامل عمرو، محنة مسلمي ميانمار، وسط محاولات تهدف إلى تدويل القضية. فقد عقدت منظمة التعاون الإسلامي اجتماعا استشاريا طارئاً مع منظمات إنسانية تابعة للدول الأعضاء بالمنظمة بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠١٥م في كوالالمبور- ماليزيا بالتعاون مع جمعية الرحمة الماليزية. وحضره مندوبون من (٤٠) منظمة إنسانية مهمة بما يواجهه المسلمون الروهينجا في ميانمار. وشارك في هذا الاجتماع الدكتور/ بشير صوالحي مندوباً عن اللجنة الإسلامية للهلال الدولي. (١) وأردف أوغلو عقب اللقاء: إن منظمة التعاون الإسلامي، تقوم حالياً باتصالات مكثفة، على مستوى الأمم المتحدة ومجلس الأمن؛ من أجل دفع قضية مسلمي ميانمار في المحافل الدولية، مطالباً المجتمع الدولي بالتعامل بشفافية مع هذه القضية.

الخاتمة

بعد استعراض الأبعاد الأساسية للآزمة والأدوار سواء الوطنية أو الإقليمية أو الدولية في مسار الأزمة في ميانمار يمكن استنتاج ما يلي:-

١ - ارتباط الأزمة في ميانمار بطبيعة موقعها الجغرافي الاستراتيجي وسياسات الاستعمار البريطاني حيالها أدت لتكون بؤرة للصراع الداخلي بخاصة مع الطبيعة التعددية العرقية والدينية واللغوية التي تتسم بها بورما. فقد عمدت بريطانيا منذ مواجهتها مع الشعب البورمي إلى إشعال الفتنة بين المسلمين وغيرهم (البوذيين) على وفق سياساتها المعهودة تجاه مستعمراتها "فرق تسد"، وتمثلت تلك السياسات في عدة مظاهر منها: طرد المسلمين من وظائفهم وإحلال البوذيين مكانهم. ومصادرة أملاكهم وتوزيعها على البوذيين. والزج بالمسلمين بخاصة قاداتهم في السجون وأنفهم خارج أوطانهم. وتحريض البوذيين ضد المسلمين، ومد البوذيين بالسلاح حتى أوقعوا بالمسلمين مذبحتهم عام ١٩٤٢ حيث فتكوا بما يقارب مئة ألف مسلم في أراكان. إغلاق المعاهد والمدارس والمحاكم الشرعية ونسفها بالمتفجرات.

٢ - استمرار السياسات الاقصائية والتمهيشية والقمعية من الحكومات المتوالية منذ الانقلاب العسكري في بورما التي تم إدانتها من المجتمع الدولي والإجماع داخل المنظمات الدولية والحقوقية على أن النظام العسكري في بورما إنما يعد من أكثر الأنظمة قمعا، وقد دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة مرارا وتكرارا (٢) المجلس العسكري البورمي إلى احترام حقوق الإنسان ، واعتمدت الجمعية العامة في نوفمبر ٢٠٠٩ مشروع قرار "يدين بشدة الانتهاكات المنهجية الجارية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية"، وداعيا الجيش البورمي والنظام "لاتخاذ تدابير عاجلة لوضع حد لانتهاكات حقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي"، وقد أفاد تقرير منظمة "الحرية في العالم" لسنة

^١ اللجنة الإسلامية للهلال الدولي، الاجتماع التشاوري للمنظمات الإنسانية حول الوضع الإنساني للمسلمين الروهينجا في ميانمار، ٢٠١٢/٨/٣
http://www.icic-oic.org/index.php?option=com_content&view=article&id=181:2012-08-16-19-53-22&catid=34:2010-02-08-01-14-43&Itemid=78

^٢ Alternative ASEAN Network on Burma, ALTSEAN-Burma
<http://www.altsean.org/Research/UN%20Dossier/UNGA.htm>

٢٠١١: "المجلس العسكري يحكم منذ فترة طويلة بموجب مرسوم، ويشرف على جميع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية. وهو المسؤول عن انتهاكات حقوق الإنسان والإفلات من العقاب بالمجلس العسكري الحاكم قام بتزوير انتخابات عام ٢٠١٠ الوطنية، التي لم تكن حرة ولا نزيهة في البلاد أكثر من ٢١٠ من السجناء السياسيين، وشملت ما يقارب 429 من أعضاء الرابطة الوطنية للديمقراطية، المنتصرون في انتخابات عام ١٩٩٠".^(١)

٣ - قصر الأدوار الإقليمية والدولية ودولا ومنظمات على مجرد الاستنكار وشجب ما تقوم به الحكومات في ميانمار غير انه وبالتوازي ينطلق دور أمريكا والصين على وجه التحديد من منطلق تحجيم الدور الصيني في المنطقة لصالح النفوذ الأمريكي، وتتبع أمريكا في ذلك إستراتيجية "حبات العقد" حيث يحاول الغرب احتواء الصين من خلال زعزعة الاستقرار في الدول المحيطة (بورما و تايلاند)، وبناء أنظمة موالية للغرب ومن ثمّ يستطيع الغرب قطع الطرق على الصين وحصرها في مواصلة الاعتماد على مضيق ملقا، للتضييق على الصين وحصرها في النهاية بمشروع الشرق الأوسط الجديد، ويرى بعضهم أن الصين كآخر دولة سيتم التدخل بها من الغرب بعد العالم العربي والدول الصغيرة بشرق آسيا نظراً لحجمها الضخم الذي يوجب محاصرتها قبل الانقضاء عليها على وفق مخططات تحكم في العالم.

التوصيات

اختلفت وجهات النظر حول أزمة مسلمين بورما (الروهينجا) ومن ثم سبل احتوائها:

* هناك اتجاه لا ينكر تعذيب المسلمين بوساطة قيادات بورما العسكرية والأغلبية البوذية التي تشكل ما يقارب ٨٥% من إجمالي السكان في بورما، حيث لاقت الأقليات المسلمة في بورما أهوال التعذيب منذ ما يقرب من ٢٦٠ سنة تقريبا. وكذلك لا ينكر ما تحاول تلك الحكومات القيام به من رفضها لتواجد هؤلاء المسلمين الروهينجا على أرضها، ورفضها منحهم صفة الجنسية البورمية. لكنهم يؤكدون أن ذلك لا يطبق على الأقليات المسلمة بخاصة بل على كل طوائف الأقليات في بورما، حيث هناك "أقلية كاشين" وهي أقلية مسيحية تعاني مثل سائر الأقليات في بورما، وهذه الأقلية المسيحية رفعت السلاح ضد السلطة في بورما لنيل حقوقها والاعتراف بها وتسمي هذه الأقلية المسيحية ما يجري لها من تعذيب وإهدار للحقوق بالإبادة الجماعية، وهم يناضلون للاعتراف بعاصمتهم لايزا. فالاضطهاد في بورما على حد وصفهم ليس عنفا طائفيًا أو دينيا بعامة أو إسلاميا بخاصة؛ لكنه تطهير عرقي بدعم من الدولة. ولا تضغط أمم العالم على زعماء ميانمار لوقفه. بل حتى أونج سان سوكي زعيمة حركة المعارضة التي فازت بمقعد في البرلمان ببورما لم تعلن موقفا بهذا الصدد. ومن ثم يمكن احتواء الأزمة من خلال تحركات حكومية إجرائية تتمثل في استيعاب الجماعات المختلفة في إطار ما يعرف بالوحدة من خلال التعدد؛ أي: بما يحقق فكر التكامل والاندماج الوظيفي بوصفه أحد أساليب إدارة الصراع.

* هناك توجهات أخرى تصف أزمة مسلمين بورما (الروهينجا) بأنها أزمة طائفية يتجه أغلب مؤيديها للدفاع عن حقوق المسلمين من جراء العنف ضدهم الذي وصل مداه إلى حد الإبادة الجماعية. وتتمثل سبل نزع فتيل الأزمة على وفق هذا التوجه على عدة أصعدة على النحو الآتي:

^١ Freedom House, Burma

<http://www.freedomhouse.org/report/freedom-world/2011/burma?page=22&year=2011>

أولا : توحيد صفوف المسلمين (القومية والدينية) في ميانمار لمواجهة الأخطار الطائفية والقومية الداخلية والخارجية المحدقة بهم، وتشجيع الحركات الإسلامية والقومية المناوئة للسياسة العنصرية البوذية وتقويتها، والانخراط في القطاع الحكومي والجيش البورمي والإدارة العليا للبلاد لحماية مصالح المسلمين العليا . ومن أمثلة ذلك تقوية نفوذ جمعية مسلمي كل ميانمار ، ومنظمة روهينجا بورما، ومؤتمر مسلمي بورما وغيرها .

ثانيا : ترسيخ قيم ومبادئ ممارسة الدفاع السلمي عن النفس، وهذا الدور يجب أن يكون بمبادرة شعبية إسلامية من مواطني بورما ، وبضغط من الحكومات الرسمية العربية والمسلمة ، ومن الحركات الإسلامية من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل .

خامسا : ممارسة الضغوط الدولية الشاملة على بورما؛ لثمنها عن ممارسة القمع والملاحقة البوليسية للمواطنين المسلمين .

سادسا : الدعاية الإعلامية المتلفزة والمسموعة والمطبوعة والانترنت ، المبرمجة التي تفضح السياسة العنصرية البوذية في بورما .

سابعا : تنظيم حملات الإغاثة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمساعدة أبناء المسلمين في ميانمار ، بصورة فعالة ومنتظمة .

ثامنا : العمل الحثيث على إيجاد نموذج لنظام سياسي يدعم إما الفيدرالية أو منح الحكم الإقليمي للأقاليم ذات الأقلية المسلمة تمهيدا لاستيعاب النظام البوذي الحاكم في ميانمار لحال هؤلاء المسلمين ، ولا يكون البديل المطالبة بالانفصال الكامل .

أخيرا وعلى وفق السيناريوهات المقترحة تظل محاولة احتواء ونزع فتيل أزمة مسلمين بورما رهان الإرادة السياسية سواء من جانب الحكومة البورمية أو المعارضة وترسنة الجهود الإقليمية والدولية دولا وتكتلات ومنظمات للضغط في هذا الاتجاه وما تشمله أيضا من تجمعات وتنظيمات إسلامية أو حقوقية .

هلاك الأمم: بين قوانين التغيير وقواعد القيادة

دراسة في تغيير دول الشرق الأوسط

د. حازم حمد موسى الجنابي

رئيس قسم القانون/كلية القلم الجامعة

د. سيف نصرت توفيق الهرمزي

مقرر قسم الدراسات الدولية/كلية العلوم السياسية- تكريت

المقدمة:

انطلاقاً من الجدلية بين قوانين التغيير وقواعد القيادة، وما أفرزتها تفاعلاتها من أحداث ومفاجآت عصفت بصناع القرار، لا بل تجاوزت ذلك لتعصف بدولهم بعد أن عجزوا عن وضع قواعد عقلانية تتكيف والتغيير ليفقدوا الرؤية الإستراتيجية. فنجاح القادة بالقيادة لا يمكن أن يكون من دون التنبؤ بالتغيير وما يصنع من صور مستقبلية؛ لهذا أطاح التغيير بالكثير وهم يحاولون ترويضه من دون محاكات سابقة لمقتربات التغيير، وفهم انماطه التي يمكن أن تحل في حيثيات السياسة، حتى ظن بعضهم أن التعامل مع التغيير يخرج عن العقل والمنطق.

وبخلاف ذلك ساد نوع من الاندفاع لدى بعضهم الآخر من القادة لخوض غمار التغيير عن طريق إدراكه وإدارته، تبعاً لما يحويه التغيير من إشكاليات أو جدليات لا يمكن حصرها أو حسم مبتغاها بخاصة بعد سيادة رؤية مفادها أن التغيير حاضنة للتفاعلات المتضادة. وبخلاف ذلك ظهر فريق ثالث: من القادة عزم على صناعة التغيير؛ ليكون هو (سيد الموقف) ومن ثمّ تسويق التغيير إلى الآخرين بعد دراسة التحديات والمعوقات وسبل الاستجابة لها.

وتبعاً لذلك، يمكن القول: لا يمكن لأي قارئ منصف لتاريخ القادة في النظام الدولي وعبر المراحل التي مر بها، أن يتغاضى عن الإدارة القيادية التي ولدت إرادة التغيير وإدارة التغيير وقادته. وفي ضوء تضارب الرؤى والطروحات حول المستقبل في ظل التغيير. جهد الباحث نفسه لصياغة رؤية تحليلية عن هلاك الأمم بعد أن ساد نوع من الاهتمام والتركيز على سر صعود الدول والامبراطوريات وأقولها الذي عده الكثير لغزاً يصعب حله والوقوف على كل الأسباب، وبعضهم سلم بأنهم قد طُمر مع اندثار تلك الأمم.

ومن هذا المنطلق نشأ مفهوم قوانين التغيير وإبانه آثاره في مستقبل الدول، لما كرسه من رؤى وطروحات كانت متجذرة أصلاً في المدرك القيادي حتى بدأ الإلحاح على تطبيقها سبباً في كشف الوجه الحقيقي للقوى الفاعلة صانعة التغيير.

ومن هذا المنطلق، حاولت الدراسة شق طرائق خاصة له بعد أن تزاومت طرق البحث والدراسة في ما يخص الاستراتيجيات والسياسات؛ لذا وجد من الضروري ذكر بعض الإشارات المهمة قبل الولوج في تفاصيل الدراسة موضوع البحث، لتكون لنا دليلاً في البحث والدراسة، ولعل أهم تلك الإشارات.

❖ أهمية البحث: انطلقت أهمية البحث من المكانة التي شغلها التغيير في الإستراتيجية + الدولية، وما له من دور في صعود القوى المؤثرة في النسق العالمي وسقوطها، وما للقيادة من إمكانات في صياغة صور التغيير والتحكم بها والانتفاع منها.

- ❖ إشكالية البحث: حمل لنا الموضوع إشكالية عامة هي: هل التغيير يصنع القادة أو القادة يصنعون التغيير؟ لهذا كان الغموض والضبابية هي أساس الإشكالية للتعرف إلى فروع خرجت على شكل تساؤلات هي: ما قوانين التغيير؟ ما قواعد القيادة؟ ولماذا تقدمت الدول ولماذا تأخرت؟ ولماذا صعبت الدول؟ ولماذا سقطت؟
 - ❖ فرضية البحث: استند البحث في فرضيته إلى العلاقة الطردية ما بين القيادة وضبط التغيير: ((فكلما كانت قوانين التغيير غير مدركة، فقد القادة قواعد القيادة، وبالتالي انفلات التغيير في إدارة الدولة في ظل ضبابية استشراق المستقبل)).
 - ❖ منهجية البحث: اعتمدنا على المنهج التاريخي في المبحث الأول، والمنهج التحليلي الوصفي في المبحث الثاني؛ لاحتنا إليه لوصف المفاهيم وتحليلها، والمنهج الاستشراقي في المبحث الثالث للإفادة منه في التنبؤ المستقبلي.
 - ❖ نطاق البحث: انحصر حيز البحث على دول الشرق الأوسط.
 - ❖ هدف البحث: هو التعريف بقوانين التغيير وقواعد القيادة وتوضيح العلاقة بين القيادة والتغيير، والوقوف على أسباب هلاك الدول في الشرق وصمود غيرها في الغرب في عالم اليوم.
 - ❖ هيكلية البحث: يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث رئيسية تحاكي قوانين التغيير في مراحلها المختلفة وخاتمة.
- المقدمة التمهيدية:

لعل من أولى واجبات البحث والتحليل لأية ظاهرة أو واقعة، تحديد المقاصد واستشفاف المضامين والمفاهيم، بخاصة بعد أن يسودها اللبس والتداخل في المعنى والمفهوم. ومن هنا تدعونا دراستنا إلى تحديد القصد من قوانين التغيير، والقصد من قواعد القيادة الذي طالما اختلف بشأنهما الكثير، قياساً ووجوداً، تحديداً وتأطيراً، لما يتضمنه المفهوم من مقومات تشكيل وبناء وأداء، وتميز عن بقية المفاهيم التي تداخلت وتشابكت معه.

وانطلاقاً مما تقدم، شاع اعتقاد بأن قوانين التغيير تؤدي إلى اضطراب وإرباك أدائي، وربما يؤدي إلى حدوث أزمات ووكوارث، بخاصة أن الاضطراب الناتج عن التغيير لا يقتصر على التأثير السلبي في المجال المعنوي، بل يتعداه ليلوح المجال المادي. وعليه لم تكن مهمة القادة في هذا الحمل سهلة على الإطلاق، بل بدت من أصعب المهام بخاصة حينما يتعلق الأمر بالجانب الوجودي الذي يعد من أصعب الجوانب الإستراتيجية التي يراهن عليها القادة صناع المستقبل الذين يرنون إلى أن يكونوا أساطير التاريخ، وستكون المقارنة بين القوانين والقواعد في أثناء هذا البحث موضوع الدراسة، وعمدنا جاهدين على نمط جديد في دراسة موضوع التغيير الذي يعتمد على لغة جديدة لفلسفة التغيير وتطبيقها على التاريخ والواقع ثم المستقبل، وأن المستفيد من استقراء أطر التغيير سيكون ناجحاً على مستوى الفرد المؤسسة الدولة ومحورها - القيادة الرشيدة في إدارة التغيير المنضبط، ومن هنا ارتأى الباحثان تقسيمه على ثلاثة مباحث وعلى النحو الآتي:

➤ المبحث الأول: قوانين التغيير وقواعد القيادة: رؤية تاريخية.

➤ المبحث الثاني: قوانين التغيير وقواعد القيادة: رؤية تحليلية.

➤ المبحث الثالث: قوانين التغيير وقواعد القيادة: رؤية مستقبلية.

المبحث الأول: قوانين التغيير وقواعد القيادة: رؤية تاريخية:

بداية فإننا لا نميل إلى ما اعتقده الفريق الأول: أن التاريخ يسير في طريق عمودي بحت، أو ما اعتقده الفريق الثاني: أن التاريخ يسير بطريق أفقي بحت، بل يسير بطريق متموج صعوداً ونزولاً، فالصعود يدل على النهضة والانتعاش، والنزول

يدل على الانكماش والافول. فعلى طوال حقب التاريخ علينا أن لا ننسى قادة حاربوا العالم كله ذات يوم، ونجوا، وانتصروا؛ لأنهم امتلكوا الإيمان بقوتهم وخضعوا لإرادتهم، فالتاريخ المعلم الكبير الذي يعلمنا الدروس المستفادة والخبير المتمكن الذي يفتح أذهاننا.

ولكي نقف على أرضية خصبة تسعفنا في إدراك التغيير وفهم الكيفية والالية التي تحرك من خلالها القادة، وتفسيرها بغية بلورة رؤية مستقبلية لها، لا بد لنا من أن نرجع إلى الجذور التاريخية لهذا المفهوم دارسين التاريخ ومطلعين على ما يحمل لنا من مفاهيم ومصطلحات وتجارب كان لها الدور البارز والمحفز لبناء ذلك المفهوم وبلورته بالصورة التي نشاهدها الآن، فالتاريخ غني بالتجارب التي تغني مادة الدراسة، وتعطينا بعد نظر نستطيع من خلاله فهم الواقع والنظر إلى المستقبل؛ لنتمكن بعد ذلك من إيجاد نموذج موحد للتعامل مع التغيير على وفق المتغيرات في الساحة الدولية، بخاصة بعد أن قادت الولايات المتحدة التغيير عالمياً، ولكي نقف على حقيقة هذه الرؤية التاريخية وأثرها في الحراك العالمي ارتأينا تقسيم الدراسة على مراحل بحسب قوانين التغيير وقواعده على النحو الآتي:

المطلب الأول: صناعة التغيير وحكماء القيادة:

بداية علينا أن ندرك ونتفكر بالحقيقة التاريخية التي تقول: (لا توجد قاعدة ثابتة للتغيير، بل متعددة القواعد؛ لهذا يمكن القول إن التغيير وقع رهن فكر وفعل القادة؛ لأنهم صنّاعه). هذه المقولة تعد مفتاحاً لقواعد أساسية للتغيير، وأن فهم الأخير يقودنا إلى صناعة التغيير المنشود بما يتوافق والاهداف لتحديد الحيوي منها والمهم والاقبل أهمية ، لكي يستطيع صانع القرار أن يقف على أسس لتحديد الأطر الرئيسة للأداء الاستراتيجي الذي يعد الخطة السليمة لنجاح الدول وتقدمها، ومن ثمّ صناعة الدور والمكانة في النسق الدولي ، وهذه المقاربة تحدد بنا إلى الانطلاق من التاريخ لنمر على الحاضر ونستشرف المستقبل بكل انماطه من المباشر والقريب وصولاً إلى المستقبل غير المنظور (الميتا مستقبل).

وعلى صانع القرار أن يتغذى فكره من مخرجات الفلاسفة الذي يعتمدون على معطيات ما وراء الواقع لاستشفاف المكونات لكل شيء بعيدا عن الصورة السطحية التي يراها القاصي والداني، ويفهم مبدأ من مبادئ التغيير الذي طرحه الفلاسفة الاغريق ، بقولهم: (إن كل شيء يتغير الا التغيير فهو ثابت لا يتغير) وهو عنوان كبير سوف نتكئ عليه في أثناء بحثنا.

القاعدة الأولى: "التغيير رسالة، والقيادة أداء"

لعلنا لا نتجنى حينما نصف البداية الحقيقية للتغيير، بأنها كانت تبشيراً بالرسالة القيمية صناعة وقيادة. وهذا ما حمله لنا الآباء الأوائل للمؤسسون للتغيير وصناعه "الأنبياء والرسل"⁽¹⁾؛ إذ تمكنوا من تغيير مجرى التاريخ مراراً، كلما انحرف عن الطريق المستقيم. وكان خاتمهم الرسول محمد (P)، الذي رسم خارطة العالم وغير الفاسد من الفكر والفعل في بؤرة البيئة التي تتبنى عقيدة (الشرك في الالهية)، والذي ينافي الرسالة التي جاء بها جميع الأنبياء بالدعوة الى (التوحيد)، ودعوة الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، ويقول رسولنا الكريم: (تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا

1. عن قصص الأنبياء، ينظر : صلاح الدين، أبو الحسن علي بن الكرم، ابن الأثير، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٤.

شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة⁽¹⁾. فالذي يتتبع حراك التاريخ يجده مر بأغلب تلك المراحل وما ما بقيت إلا المرحلة الأخيرة من التغيير الذي وصفه الرسول الكريم (P).

القاعدة الثانية: "التغيير إرادة، والقيادة إدارة":

لعل الذي يتطلع لتغيير الدولة الراشدية (٤١٩ هـ)⁽²⁾ التي تسلمها أربعة خلفاء أكملوا التغيير الذي صنعه الرسول الكريم⁽³⁾، فحفزوا قوى التغيير بإرادتهم وأداروها بحكمتهم اظهر الجيش الإسلامي مستوعب اليامن الانضباط والتنظيم والتفوق الاستراتيجي، وكان واحدا من أكثر الجيوش قوة وفعالية في العالم آنذاك تحت قوانين (لاتخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)⁽⁴⁾. فامتدت أراضي هذه الدولة من شبه الجزيرة العربية إلى الشام فالقوقاز شمالاً، ومن مصر إلى تونس غرباً، ومن الهضبة الإيرانية إلى آسيا الوسطى شرقاً، وبهذا تكون الدولة قد استوعبت كافة أراضي الإمبراطورية الفارسية الساسانية ما يقارب ثلثي أراضي الإمبراطورية البيزنطية، لكن اغتيل هذا التغيير باغتيال الخلفاء (عمر، عثمان، علي) (رضي الله عنهم وأرضاهم) باستثناء أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ليسجل التاريخ أفضل نظام سياسي عرفه العرب-المسلمون القائم على ركيزتي (الشورى والبيعة)، ومن ثم تغيير نظام الحكم الذي كان على نهج النبوة (الحكم الاختياري) إلى الملك العضوض⁽⁵⁾.

القاعدة الثالثة: "التغيير يفصح عن المطامح، والقيادة تفصح عن المغامر":

من المعروف أن الدولة الأموية (١٣٠-٤١٣ هـ/ ٦٦١-٧٥٠ م) التي غيرت نظام الحكم من الشورى إلى الوراثة⁽⁶⁾، ظهر فيها (١) خليفة كانت عرضة للتغيير؛ بسبب الخلاف التاريخي حول قضية مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على يد الخوارج، وهي الفتنة التاريخية الكبرى، وكذلك تغيير الحكم من الاختياري إلى الوراثة، والفتنة التاريخية الأشد وقعا هي واقعة كربلاء ومقتل الامام "الحسين بن أبي طالب" (رضي الله عنه) الذي أثار حفيظة أهل العراق⁽⁷⁾. وهنا أخفق بني أمية في إدارة التغيير بإدراك الحقيقة التاريخية التي تقول: (إن الدولة حين ينفصل عقلها عن جسدها لا يمكن أن تكون قابلة للبقاء، بل مصيرها الفناء)، فأنهى التغيير تلك الدولة، إلا في الأندلس، لتبدأ حقبة الدولة العباسية.

١. مسند الامام احمد، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٣٧١٤-٢٧٢). وروى الحديث أيضاً الطبي السيو البيهقي في منهاج النبوة، والطبري، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وحسنه الأرنؤوط.

٢. ينظر: محمد يوسف الكاندهلدي، حياة الصحابة، دار الذهبية، ط٣، القاهرة-مصر، ١٩٩٩. ص ١٨٢

٣. أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، دار ابن الجوزي، الدمام-المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨، ص ٣٠٢.

٤. فهد سالم اللتويجري، قواعد الحرب للخلافة الراشدة .. دروس ومواعظ للامة، العبيكان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، الرياض - المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، ص ١٢٣.

٥. علي الصلابي، سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار المعرفة، ط ٤، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٣٦٣.

٦. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٥، ص ٥٦٨.

٧. كارال بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية: العرب والإمبراطورية العربية، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ص ١٥٣-١٥٤.

القاعدة الرابعة: "التغيير قدرات، والقيادة إمكانات":

فيضوء الفرادة التاريخية التي امتازت بها الدولة العباسية من مكانة ودور دولي. غير أن التغيير شملها بسبب التباين بين الوسائل والأهداف، فضلاً عن الطموح الشخصي وضعف الإدارة؛ أي: الفارق بين المساحة والكادر الإداري والتناسق بين قيادة المركز وقادة الأطراف؛ أي: عدم قدرة العقل على إدارة الجسد بسبب كبر الجسد بالنسبة لحجم العقل الثابت (الجنون الجغرافي).¹ فلا توازن ولا اكتفاء ولا كفاءة. تلك المفاهيم هزت بنى الدولة. ومن هنا، برز لنا مفهوم "تغيير التغيير" نتيجة التوالد والانتشار.

فالتغيير البناء يكون بدافع البحث عن الأفضل والأجود، في حين التغيير الهدام يكون بدافع المغنم وتحقيق المصالح، فكل تغيير مصلي هو خسارة باهظة الثمن؛ بسبب غياب العقل وتعلية "الأنا السفلى" بدل "الأنا العليا" التي تعد بمثابة الرسالة الروحية التي تغذي الذات، فالمسلمون الأوائل خسروا معركة أحد بسبب الغنيمة، ويروي لنا التاريخ درساً آخر من دروس التغيير الهدام هو معركة بلاط الشهداء بين المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي ومسيحي أوروبا التي انقلب التغيير ضدّهم بسبب الغنيمة عام (١٠١هـ). واستمر هذا الحال، فكان نتيجة الاندحار.

القاعدة الخامسة: "التغيير مطلب، والقيادة مكسب":

إن المتابع لحراك التاريخ يجد أن "دولة الأندلس" "دولة صقر قريش" عام (٤٢٠هـ) الأعجوبة، التي جاءت بوصفها مطلباً من مطالب إرجاع عجلة التغيير بحكمة ودهاء أمير وحيد طريد أصابها التغيير؛⁽²⁾ لأن الكل يعد نفسه صانع قرار، وأنه هو الأفضل المختار، فتعددت مصادر صنع القرار، وظهر التضاد الداخلي، ودور النساء السلبي في إدارة البلاد على سبيل المثال أم حفيد صقر قريش (صبح) التي اعتبرت القيادة مكسباً. وبعد أن تجاهلوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن القائد الذي لا يفهم طبيعة المكون لبلده، يكون معرض للتغيير ونظامه السياسي، ومن يشرك النساء في الحكم يذهب عقله ويحكم بغرائزه ويستجاب لنزواته".

القاعدة السادسة: "التغيير تحدٍ للإدارة، والقيادة قدرة على الإدارة بالتحدي":

يكاد الرأي يتفق على أن تغيير "دولة الطوائف" جاء استجابة لتحدي التغيير في الأندلس وبعد عدم قدرة القادة على إدارة التحدي.⁽³⁾ وهذا ما أدركه "المنصور بن أبي عامر"؛ ذلك التغيير الذي عجز الملك الصغير هشام وأمه الطامحة "صبح" من التعامل معه لقلّة خبرتها في الإدارة بالأزمات. وهنا، جاءت الحقيقة التاريخية التي جهلها التي تقول: "على من يخشى التغيير.. سيتغير ويدمر بنيانه ومن يخشى الحراك... سيحرك من مكانه".

القاعدة السابعة: "التغيير ضرورة، والقيادة اختيار":

انطلاقاً من الوصف الذي أطلق على قادة غرناطة بأنهم اختيروا لهذه المرحلة للثبات، بيد أن التغيير كان ضرورة للآخر "الروم"؛ إذ جاء تغيير "غرناطة" عام ١٥٤٠ م،⁽⁴⁾ على يد "ابن الأحمر" الذي قبل بالتنازل إلى ملك قشتالة وطبق نظامه فترك

¹ ينظر: عيسى الحسن، الدولة العباسية: تكامل البناء الحضاري، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، عمان-الاردن، ٢٠٠٩، ص ٢٠٣.

² عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، ط٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٢٣.

³ المصدر نفسه ص ٣٢٣.

⁴ محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٤٥.

بلاده لمحنة التغيير الثيوقراطي، والجللاء، وويلات محاكم التفتيش الاسبانية،⁽¹⁾ لهذا كان صناع القرار فيها يستوردون الأنظمة ويطبقونها على بلادهم مما اختلف عليهم تطبيقها، فعندهم كل شيء ممكن التآمر مع الأضداد والتنازل عن الأرض للعدو ممكن، والعيش من دون كرامة ممكن، لكن من غير الممكن التنازل عن السلطة. وهنا، فاتهم إدراك الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن النظام السياسي لا يستورد ولا تدار الدولة من الإمعات والرعاع".

القاعدة الثامنة: "التغيير تشظٍ والقيادة جمع":

واستكمالاً لما مضى، نذكر "الدولة الطولونية" في مصر^(٢٩-٣٥هـ)؛ إذ إن التغيير لا يصنع في جولة واحدة، ولا يعد تغييراً ثابتاً بل متوالداً، ولا يمكن لتغيير مرحلي أن يغير مجرى التاريخ، فكل تغيير ناقص تضليل، وكل تضليل ضياع. وهذا حال الدولة الطولونية التي صنعها "احمد بن طولون" وهو لا يعلم الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن الانقلاب ليس تغييراً بل هو ترميم، والانقلاب لا يصنع إلا انقلاباً، وحركة التاريخ لا تندفع للإمام بالعنف والقسوة والبناء يُجمل بالترميم ولا يرصن".⁽²⁾

القاعدة التاسعة: التغيير تكامل والقيادة تعامل":

واستمراراً في وصف التغيير لنصل إلى "الدولة الصفارية"^(٤٤هـ-٢٩هـ) التي أرسى قواعدها "يعقوب بن الليث الصفار، وكان انتصاره على الخوارج محفزاً للتوسع أكثر من إمكاناته ليأخذ الأهواز وخراسان"، وعصف بها التغيير؛ لأنهم أخفقوا في إدراك الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن التغيير الناقص تغيير متغير... والتغيير المتغير تغيير حلزوني"، وهذا ما كان عليه مآل الدولة الصفارية بعد أن استطاع السامانيون من استغلال التوسع المفرط لإسقاط دولته، مفالولادة قبل أوانها تكون كالولادة الناقصة، وهي ولادة ميتة. فولادة الدولة قبل اكتمال مقوماتها دولة ميتة، وهذا ينسحب على واقع الوحدات الدولية في النظام الدولي اليوم.

القاعدة العاشرة: التغيير ذو حركة حلزونية متسارعة بالأداء، والقيادة تحرك بفطنة وذكاء للتحكم بالأداء":

ما أن ظهرت الدولة الإخشيدية^(٣٥٣هـ-٣٥٣هـ) التي أرسى أركانها "محمد بن طفح"، دق أبوابها التغيير بعد أن تسلمها من بعده (عبد مملوك)،⁽⁵⁾ فهم تجاهلوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "الدولة التي يديرها الرعاع وينذل فيها الشرفاء والنبلاء دولة بعيدة كل البعد عن البقاء": لأن مبرر الوجود، هو مبرر البقاء، وأن قانون التغيير اثبت أن المادة والروح لا تفتيان فناءً

٢، دار النشر والتوزيع

١. عبد الرحمن علي الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، ط الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٥٦٨.

٢. تذكر بعض المراجع القديمة إنناحتنا معناها، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣، ص ١٤٩.

٣. الصفار يونس لالة حكمت من سنة (٢٤٧ - ٣٩٣هـ/ ٨٦١ - ١٠٠٣م)، في سجستان أوسستان، إقليم يعقوب في إيران، جنوب بخراسان وشمال بيلوجستان، وينقسم إدارياً في الوقت الحاضر بين إيران وأفغانستان.

٤. لمزيد من التفاصيل حول الدولة الإخشيدية ينظر: سيدة إسماعيل كاشف، مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، ١٩٨٩، ص ٥٥، وكذلك ينظر: أحمد كامل محمد صالح، مصر الإسلامية منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأيوبية، دار الثقافة العربية، ط ١، القاهرة-مصر، ٢٠٠٥، ص ٦٩.

٥. الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٣، المطبعة الأميرية، د.ت، ص ٣٣٢، وكذلك ينظر: مدحت محمد عبدالنعيم، تاريخ الدولة العباسية، ج ٢، ص ١١٧ - ١١٨.

مطلقاً، وأن البذرة والجذر لا يمكن لهما أن يموتا موتاً أبدياً، فان توفرت الظروف المناسبة انبت البذر وأفرع الجذر من جديد.

القاعدة الحادي عشر: "للتغيير طفرات غير طبيعية تلد طفرات مضادة اندفاعية هدامة. وللقيادة تيارات مضادة تنافسية لها رؤية مضادة خلاقة":

وهذه الحال انعكست على "الدولة السامانية"⁽¹⁾ في فارس (٩٨٧-٩٩٠هـ)، ففي هذه الدولة شاع العنف واللامشروعية وانسأقت الجماهير خلف رؤى متعددة متضادة، واعتقدت بشعارات واهية، ففقدت الرؤية وتبددت قدرتها على العطاء، وأصبحت لعبة بيد كل ناعق. وأن القانون قال كلمته بحق هذه الدولة: "إن الطفرات غير الطبيعية تلد طفرات مضادة اندفاعية هدامة لسابقتها شاطرة لنفسها"

المطلب الثاني: التغيير والقيادة بين المقاومات والنزعات:

القاعدة الثانية عشر: "لكل تغيير مقومتان الأولى: ظاهرة، والثانية: خفية. ولكل قيادة نزعتان: الأولى: بناء، والثانية: هدامة"

نرى أن هذا القاعدة تنطبق على الدولة "البويهية"⁽²⁾ التي أسسها أحمد بن بويه وهي دولة أسست على المتناقضات والمتضادات، وتغيرت على يد السلاجقة بعد ما جهلوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن العجز عن إدراك قانون الاستجابة للتحدي وغياب إرادة البقاء هما سببا الفناء".

القاعدة الثالثة عشر: "التغيير فرص والقيادة ضمانات":

ف"دولة طبرستان" التي أسسها الحسن بن زيد وأتمها الحسن بن علي والتي كان شعارها (قميص عثمان) غيرها الزياريون⁽³⁾ فهم لم يدركوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن الدولة تقوم على الضمانات لا على الشعارات".

القاعدة الرابعة عشر: "التغيير المتكامل يتطلب تغيير إدراكي وأدائي والقيادة المتكاملة تتطلب العقلانية والمنطقية":

وتواصلت مع التغيير التاريخي ووصولاً إلى الدول الطوائف وهي: "دولة الغمارية" و"الدولة البرغواطية" و"الدولة الزناتية" و"الدولة الزيدية"⁽⁴⁾ التي كان شعارهم الحكم لأنساب آل البيت، ولكن مسألة التغيير الإيديولوجي أدت إلى انقلاب قاتل لهم، بعد أن سيطر الدجلة والمهروطقون على فكرهم فغيروا عقيدتهم، ولعدم إدراكه الحقيقة التاريخية التي تقول "إن الجرعة الكبيرة من العلاج تكفي للمقتل وتكون مبرراً للانتحار"

القاعدة الخامسة عشر: "بتفاعل الفرد مع التغيير ويستجاب له إذا كانت الفرص المتاحة له أوسع، ويعارضه إذا كانت الفرص المتاحة له أضيق، والقيادة تستجيب للمتطلبات وتوفر الاحتياجات":

^١ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ١، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، القاهرة-مصر، ١٩٨٧، ص ٩٠.

^٢ راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٧، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧، ص ٦١٢.

^٣ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ٣، ط ٩، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة-مصر، ١٩٧٩، ص ٣٧٦.

^٤ علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٣، ص ٥٦- ٥٨.

وتواصلًا في الوصف ووصولاً إلى "الدولة الحمدانية"⁽¹⁾ في الموصل التي أسسها "حمدان بن حمدون"، وثبت أركانها "سيف الدولة الحمداني"،⁽²⁾ والتي شملها قانون التغيير "بعد أن تجاهلوا الحقيقة التاريخية: من يتحدى التغيير يدق ناقوس الخطر عنده... وان قاوم ولم يستجب ويتكيف فان حاله حال الكفيف ويعرض ملكه للتفكيك.

القاعدة السادسة عشر: "التغيير يدار من الخراء، والقيادة يقودها العقلاء":

أما تغيير "الدولة السلجوقية"⁽³⁾ التي أسسها "طغرل بك"، الدولة التي ذاع صيتها فقد أفل نجمها؛ لأن السلطة الضعيفة المتهاوية تخضع لغرائز شخصيات مدمرة، وهذه السلطة ستدفع ثمن ضعفها مضاعفاً، فهم لم يدركوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن الدولة التي يحكمها العقلاء ويديرها أصحاب المعرفة وأساسها التضامن والتكافل، وسلاحها العلم هي الدولة الباقية، والدولة التي يحكمها الطغاة بالقوة والقهر تزاح بقهر بالقوة".

القاعدة السابعة عشر: "كلما ارتفعت الطموحات، ازدادت الرغبات بالتغيير، وكلما ازدادت التحديات التنافسية للقيادة ازداد اعتماد القادة على القوى الساندة الدافعة":

انه لمن الضروري أن نذكر التغيير الذي عصف بـ"الدولة الفاطمية"⁽⁴⁾؛ لأن من استعان بعوده التاريخي وأعطاه الأمان فهذا بحد ذاته انتحار؛ إذ جعل قادة الدولة الفاطمية الإدارة بيد الأجانب الأضداد التاريخين، وهنا، تسعفنا مقولة كتبت على دمية في طريق الملك عزيز "بالذي اعز اليهود بمنشأ، واعز النصارى بعيسى، وأذل المسلمين بك إلا ما قضيت مظلمتي" غيرها صلاح الدين الأيوبي. وهم لم يدركوا الحقيقة التاريخية التي تقول: من عانى عقدة الولاء فلا ولاء له".

القاعدة الثامنة عشر: "كل تغييره مغرم، ولكل قيادة مغنم، فاما أن تدفع ثمن التغيير، أو تكون رابحاً تقود التغيير، فثمن التغيير معجل وثمر القيادة مؤجل"

لا بد هنا أن نذكر بالحقيقة التي تقول إن "الدولة الأيوبية" التي أسسها "صلاح الدين الأيوبي"،⁽⁵⁾ غيرت إدارتها جارية مملوكة من خلف الكواليس (شجر الدر)؛ لأن قادتها أهملوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن القادة أمام نزعتين، الأولى: نزعة التعمير، وثانية: نزعة التدمير، فاتحاد "الأنا العليا" مع "الذات" تقود إلى البناء واتحاد "أنا الدنيا" مع "الذات" تقود إلى الفناء."⁽⁶⁾

¹ ابن إياس ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٢ ، ص ١٧٦ وينظر: أحمد كامل محمد صالح، مصر الإسلامية منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأيوبية، دار الثقافة العربية ، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ص ٦٩-٧٠.

² أحمد محمد الحوفي الطبري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (د.ت)، ص ٩.

³ ابن إياس، جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تحقيق: محمد زينهم، دار الثقافة، ٢٠٠٦، ص ٩٠.

⁴ علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، موسوعة الحرب الصليبية، دار المعرفة ، بيروت، ٢٠٠٨.

⁵ شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٠١.

⁶ محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، مصدر سبق ذكره، ص ٩١.

القاعدة التاسعة عشر: "للتغيير اتجاهان، الأول: من القمة إلى القاعدة، والثاني: من القاعدة إلى القمة، ويسمى التغيير المزدوج، وللقاعدة مكبالتان، الأول: إذعان، والثاني: توازن. ويسمى الكيل بمكيالين":

ولعلنا لا نجافي الحقيقة في شيء إذا ما قلنا، إن "دولة المماليك"،⁽¹⁾ التي ثبتت أركانها ثلاثة قادة بارعين ("ابيك"، "بيبرس"، "قلاوون").⁽²⁾ لتكون دولة قوية غيرها التآمر من أجل المغانم، فالفرقة والانشقاق قادا إلى التغيير بعد أن كثرت المغارم. لتنطبق عليها الحقيقة التاريخية تقول: "إن التغيير البناء يكون إذا كانت المغانم أكثر من المغارم أم التغيير الهدام يكون عندما تكون المغارم أكثر من المغانم".

القاعدة عشرون: "التغيير القسري تغيير دون إقناع. والقيادة المنتزعة قيادة بدون قناعة":

وهذا الوصف اقتراب من "دولة الأغلبية" في تونس،⁽³⁾ التي أسسها إبراهيم بن الأغلب" وسقطت على يد القائد الفاطمي "المهدي"؛ لأنهم تجاهلوا حقيقة تاريخية تقول: "الإيديولوجية سبب البقاء..ومن يقرر الانفصال ولا يملك إيديولوجية مصيره الفناء".

القاعدة الحادي والعشرون: "الجهل بالتغيير سبب للرفض، والجهل بالقيادة سبب للمعارضة":

من دون شكأن "دولة الخوارج"،⁽⁴⁾ في الجزائر، هم الفريق المعارض للخلافة الراشدية، وهم قتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) فوضييون، لا يحبون التغيير، ومن لا يواكب التغيير يتغير، فتغير وابتعد أن جهلوا الحقيقة التاريخية التي تقول: "إن من يتزمت بالمظهر يخسر الجوهر، ومن يخسر حاضنته الاجتماعية يخسر نفسه".⁽⁵⁾

القاعدة الثانية والعشرون: "كلما كان التغيير مجرباً كان ذلك أدمى للقبول، وكلما كان القادة مجربين كانوا مؤيدين":

لعل، أوضح مثال على ذلك "دولة صقلية"،⁽⁶⁾ التي أسسها أسد بن فرات (أ ٢ هـ)، أساسها المنسوبة والمحسوبة وهذا أدى إلى التحايل والكذب للكسب. تغيرت بعد أن أخفقوا بادراك الحقيقة التاريخية التي تقول: "من تكلم بدون علم كذب كلامه، ومن حكم بدون سند أبطل حكمه، من بنى بدون أساس انهار بناؤه".

القاعدة الثالثة والعشرون: "كلما كان التغيير عشوائياً كان قاسياً، وكلما كانت القيادة حازمة كانت مهيمنة والعاجز من لا يستبد، والمستبد لا يعجز":

١. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، ط ٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٣٢٣.

٢. راغب السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج ٢، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط ٧، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٢-١٣.

٣. عبد الرحيم مارديني، الموسوعة الإسلامية، دار المحبة، دمشق-دار الراية، بيروت، دمشق-بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٠١.

٤. علي الصلابي، سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن أبي طالب شخصيته وعصره، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٢-٣٦٣.

٥. ابنخلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٩٩٧.

٦. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، مج ٢٥، تحقيق: عمر عبدالسلام، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

نرى أن هذه القاعدة تنطبق على "دولة المرابطين"،⁽¹⁾ في المغرب التي كثر فيها التزندق، والفوضى، ومرتزقة الكلام، وتجار الإسلام، فهُمش شرفاؤها وقُرب زنادقتها، وأتُرف أمراؤها، وجيع شعبها. فحق عليها قول الله تعالى: ((إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)).⁽²⁾ فمن كان أساسه ركيكاً سقط بنيانه بسرعة. والدولة تؤسس على الأفعال لا على الأقوال. فتغيرت على يد الموحدين.⁽³⁾

القاعدة الرابعة والعشرون: "لا تغيير من غير مرونة؛ لذا أحذر أن تلجأ إلى سياسة (إما... وإلا...) أي إما أن تقبلوا العملية التغييرية بالكامل وإلا فلا تغيير":

ومن هذا المنطلق نجد "دولة الموحدين"،⁽⁴⁾ التي كان فيها القائد الروحي "محمد بن تومرت" وعرايها محمد بن تومرت الذي ادعى انه "المهدي المنتظر" تجاهل الحقائق المنطقية،⁽⁵⁾ أما "عبد المؤمن بن علي" قائدها الإداري، تجاهل قانون التغيير؛ لذلك يمكن القول: "إن الذي يتعامل مع الآخرين من المعادلة الصفرية، سيتعامل مع شعبه بمثلها وسيصفر رصيده، ويفلس وتنهيار مكانته؛ لأنهم حكموا الشعب بالحديد والنار وافنوا خصومهم فأفناهم أداؤهم. فتتدافع القوى المكبوتة ثائرة مغيرة. فالثورات للمرابطين والأعراب المحرومين ينطبق على دولة الموحدين، قال تعالى (لكل أمة أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).⁽⁶⁾ غيرتها الدولة المرينية.

القاعدة الخامسة والعشرون: "التغيير يصنع الفرص وعلى القيادة اقتناصها"

الدولة الوطاسية، مؤسسها محمد الشيخ، وبعد أن اعتقلت عائلته القوات البرتغالية فاوض البرتغال عن عائلته مقابل دولته، فضلاً عن فتح العديد من الجبهات في الوقت ذاته، غيرها السعديون عام (٩٥٠هـ).⁽⁷⁾ ومن فاتته الفرصة فاتته التغيير وركبته رياح التغيير.

القاعدة السادسة والعشرون: "الغاية في التغيير لا تبرر الوسيلة؛ إذ إن غاية التغيير ينبغي أن تكون نبيلة ووسيلته ينبغي أن تكون نبيلة كذلك، وكذلك القيادة عملية أخلاقية بالدرجة الأولى، وتكليفية لا تشريفية":

تواصلت مع أحداث التغيير ووصولاً إلى "الدولة العثمانية"⁽⁸⁾ التي كثر فيها الانفصالات والتآمرات والصراعات العائلية وتدخلات الجوّاري في إدارتها (اليكس: هويام) زوجة الملك سليمان مما أدب إلى التعصب، ومن ثم النفور بعد عجز الإدارة والشعب، وعجزت الإدارة العثمانية عن إدارة الجغرافية السياسية للدولة، ووسقطت بيد بريطانيا والقوى الأوروبية

¹ محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١.

² سورة الإسراء: آية ١٦.

³ علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥، ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

⁴ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٥ وما بعدها.

⁵ علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥.

⁶ سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

⁷ علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٤.

⁸ علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ٢٠٠٦.

فطبقت عليها سايس- بيكو. والحقيقة التاريخية تقول: "إن العقل الصغير لا يتواءم مع الجسد الكبير بالتالي يقود إلى مرض فقدان السيطرة على الجسم وصولاً إلى الشلل ثم الموت".

المبحث الثاني قوانين التغيير وقواعد القيادة: رؤية تحليلية:

لا أحد في هذا العالم، يمكن له أن يبني إدراكه، هو يتفلسف بنظرياته في زمن فاضت معلوماته وتقدمت تقنياته، ما لم يحلل ليفسر ويستند على أدلة إثبات تقوي حجته، ولا يستطيع أي مفكر أن يدرك حراك التغيير، ويتلمس تدبر القادة من دون تحليل، فالتحليل يعمل على تنظيم الصور الفكرية ويرصفها بشكل متناسق ومتجانس متوالد؛ ليكشف الحقائق ويطور الواقع، فهو أفضل ما يفسر لنا أسرار الذين أبدعوا في صناعة العالم المتقدم، وهذا دعانا إلى الوقوف عند العرب وهم يعاملون مع التغيير بوصفهم قادة.

المطلب الأول: العرب بين قوانين التغيير وقواعد القيادة:

القاعدة السابعة والعشرون: " كلما كانت العلاقات الإنسانية جيدة بين المتغير والمتغير، أصبح التغيير أكثر سهولة وقبولاً، والمقاومة أقل حدة". تكون الإدارة أكثر حنكة".

إن الواقع الموضوعي يشير إلأن "الدولة العربية الموحدة" (١٩٥٨) بوصفها مشروعاً عانت من نزعة الولاء، وغياب الإرادة، وكثرة أطراف القيادة، واختلاف الإيديولوجيات، كلها قادت إلى الاحتكام إلى الخارج، وفقدان المكون الأساسي الصالح الثانوي. فانحرفت حركة التاريخ من بناء الدولة العربية إلى بناء الدولة الوطنية العربية.⁽²⁾

القاعدة الثامنة والعشرون: "الأزمة تصنع التغيير والتحدي للقيادة يغير خارطة الجيو-سياسية والجيو-استراتيجية"

إن الدولة الكويتية:⁽³⁾ عام ١٩٩٩ بعد أن صنعت الأزمة مع العراق فقدت السيطرة عليها. تغيرت بعد أن تجاوزت الخطوط الحمراء، متجاهلين الحقيقة التاريخية التي تقول: "الدول تتأثر بالقرب الجغرافي، فالتغيير يحفز بالتضاد، والتحدي يفني احد الأضداد".

القاعدة التاسعة والعشرون: "كل تغيير غير منسجم ينشد الانسجام والتناسق، وكل إدارة تولد ناقصة وتنشد الكمال" والاثنتان بتطلبا الحكمة والعقلانية.

فنزى تغيير بغداد - نظام صدام: عالم ٢٠٠٠،⁽⁴⁾ من لا يدرك اللعبة الدولية يكون أول الخاسرين؛ ليظهر مشروع الشرق الأوسط الكبير، فالجديد الذي أساسه تقرير المصير والحكم الديمقراطي، ولكن التغيير كان بالأدوات الخشنة-العسكرية، عبر نظرية الفوضى الخلاقة للتعبير عن مفهوم التغيير الايجابي للقوى الكبرى، والسلب لشعوب المنطقة عبر تقسيم

١. حازم حمد موسى، العلاقات العربية-الأمريكية: دراسة في الأبعاد الإستراتيجية لمشروع الشرق الأوسط، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

٢. كارل بروكلمان، الدول الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٠، ص ٧٣ وما بعدها.

٣. محمد حسنين هيكل، حرب الخليج: أوام القو والنصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، ط ٢، القاهرة-مصر، ٢٠٠٣، ص ٢٢١.

٤. جيف سيمونز، مستقبل الحرب الأمريكية على العراق: السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، ترجمة: سعيد العظم، دار الساقى، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤، ص ٢٢٧.

المقسم وتفتيت المفتت، وهذا التقسيم كان النواة الأولى لمفتاح التغيير المستقبلي على أساس طائفي وقومي وعرقي، وهذا ما يفسر تغيير العرب اليوم الذي بدأ بسايكس-بيكو ثانياً، تحت مسمى "الربيع العربي" ⁽¹⁾ ولن ينتهي حتى يحقق حلم الدويلات الصغيرة للجمهوريات (من البلقنة الى اللبنة) الذي فيما بعد سيشمل الملكيات.

القاعدة الثلاثون: "إن الأنظمة المتشابهة تتغير بتغيير نظام معين، والإدارات المتشابهة تحجب التغيير بتجاذب، والمتنافرة تدفعه باتجاه احد تلك الأنظمة":

إن الأنظمة الرئاسية والملكية والمشايخ تتشابه بأدوار والاداءات والمتغيرات. ⁽²⁾، وأن الدور الجديد للإدارات بعد اشتعال هذه الثورات لا يكتفي بالمقاربة السردية لتسلسل الأحداث، بل أن تتسلح (بالنقد الحضاري) لمعرفة الأسباب الكامنة وراء هذه النهضة الشعبية، عن طريق مساءلة المآل الذي ينتظرها، من أجل ترويضها، حتى لا يحق القول(الثورة تآكل أبناءها). ⁽³⁾ ومواكبة التطورات التي طرأت على القرن العشرين، وضبط منافذ القوة الناعمة: لأن الواقع يقول "إن القوة الناعمة تسيطر على القلوب لترويض العقول وبصورة خفيفة"، وهي من أمكر أنواع القوة غير المادية.

وبالفعل مع وصول الملك سلمان الى سدة الحكم في المملكة العربية السعودية بدأت تعي تجاذبات التغيير بعد أن وضعت السكين الإيرانية عبر الوكلاء من الفواعل من غير الدول -الحوثيين في اليمن - في الخاصرة، وهددت قبلها مملكة البحرين. وانطلقت مضادات التغيير بعاصفة الحزم، وأعادة الامل لتحويل التغيير لصالحها.

القاعدة الحادية والثلاثون: "التغيير يتطلب قدرة ووفرة فالإدارة التي لا تملك القدرة على الاكتفاء الذاتي تكون خاسرة ذاتها".

وهذا حال تغيير تونس بن علي. ⁽⁴⁾، فالحكم في تونس كان قائماً على القدرة الشكلية التي تعتمد على الوسائل الامنية لقمع كل تغيير مهما كان شكله، فكانت (صدمة المستقبل) التي بشر بها "الفن توفلر" ⁵ لمن غفل المتطلبات التكنولوجية التي فرضها القرن الحادي والعشرون، فالقيادة في تونس لم تستثمر قوتها لتحويلها الى قدرة ولا هي قاومت التغيير فكانت خاسرة في اول موجة التي كانت المفتاح للتغيير في المنطقة.

القاعدة الثانية والثلاثون: "التغيير يقنن الظواهر والوقائع وهذا يتطلب حسابات والا فمن يعيش على الشعارات تخونه الاداءات والأقوى يفرض أردته على الضعيف":

تغيير ليبيا-القذافي كان شاهداً على ذلك. ⁽⁶⁾

١. حداد طاهر، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ٢٠١٢، ص٣٤.
٢. إبراهيم بن محمد الحقييل، سقط طاغوت تونس، بحث، تونس، ٢٠١٢. وكذلك ينظر: الانتخابات التونسية محطة تاريخية على طريق التحول الديمقراطي، وحدة تحليل السياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الدوحة، ٢٧ أكتوبر ٢٠١١.
٣. الطاهر لبيب. الربيع العربي إلى أين؟ مجموعة من المؤلفين. مركز دراسات الوحدة، بيروت ٢٠١١، ص ١٦٧.
٤. للمزيد من التفاصيل: فاروق الصالحي، بحث عن مكانة مصر ودورها إقليمياً وعالمياً ونظرة العالم إلى مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، القاهرة، ٢٠١٣. ينظر: ريتا فرج، خطاب الإسلاميين في الربيع العربي وهواجس الأقليات، السفير، ٢٠١٢/٦/٢.
٥. لمزيد من التفاصيل حول صدمة المستقبل: ينظر: الفن توفلر، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد، ترجمة: محمد علي ناصف، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط٢، ١٩٩٠.
٦. زياد عقل، الثورة الليبية سقوط النظام وأولويات بناء الدولة، كراسات إستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة -مصر، ٢٠١٤.

القاعدة الثالثة والثلاثون: " لكل تغيير قطبان: ايجابي وسلي؛ أي: تفسيران مختلفان لصورتيين مختلفتين، وهذا ما يولد حراكاً إدارياً يواكب كل تغيير متوالد":

تغيير مصر - مبارك، وهنا نكون امام حقيقة يمكن اختصارها مجازياً بالقول (من خان ذاته، فقد مكانته وقلة خياراته).⁽¹⁾ وان توالد التغيير في مصر انتقل من الناعم الى الخشن لتكون الدولة العميقة في دوامة من العنف لا تنتهي تحت طائلة الصراع ما بين الإسلام المعتدل -الاخوان والعلمانيين وانصارهم -حكم العسكر ، وما بين الإسلام المتطرف المتمثل بالقاعدة واخوانها التي تنبت أينما وجدت أرضية خصبة لنموها والان من يقطف ثمار التغيير للمستفيد الأكبر (إسرائيل) والراعية لها الولايات المتحدة الأميركية.

القاعدة الحادية والأربعون: " لكل تغيير إبقاء دوراني متوج ، تحول الإدارة النظام إلى فوضى والفوضى إلى نظام لتحقيق المصالح":

تغيير يمن - صالح، من لم يواكب التغيير عصف به .وما زالت سجلات التاريخ مفتوحة تدون لنا التغيير، ومن هو المغير لنقف على أسباب التغيير.⁽²⁾ والمستفيد هو الذي يخضع مخرجات التغيير لصالحه ليصب في المحصلة في بوتقته مصالحه العليا ، اذا ما علمنا ان إدارة التغيير تتطلب قراراً واستقراراً، وهذا ما استطاعت ايران من استثماره في اليمن بين الاشقاء الخليجيين الذين بقوا ينظرون الى رياح التغيير التي عصفت ، واذا لم يدركوا ويتداركوا التغيير الأخير والاستجابة لانعكاساته بإرادة فان التغيير سيطالهم بخاصة أن الحلفاء من القوى الكبرى ليس لديهم أصدقاء دائمون، وانما لديهم مصالح دائمة، ويتعاملون مع الواقع المسيطر ما بعد التغيير. وهو ما تداركه الملك "سلمان" بعد تسنمه الحكم في عاصفة الحزم واعادة الامل .

المطلب الثاني التغيير والقيادة بين "سيكولوجيا الثأر" و "سيكولوجيا الانتقام:

ان تغيير الشيء المهم الذي أفصح عنه التاريخ السياسي والذي لم يزل يفهم من خلال صلته بـ"سيكولوجيا الثأر" و"سيكولوجيا الانتقام" للتعبير عن المظلومية، ولأن التكوين "السوسيولوجي" و"السيكولوجي" لصانع التغيير بوصفه قائداً ميدانياً أو صانع قرار في المؤسسة السياسية يتطلب منه أن يملك مدركاً مبنياً على أساس فهم الآخر الضد المعارض واستيعابه وتقبله والابتعاد عن الإجراءات التعسفية ك"الإقصاء" و"الاقتصاص"، وهذا ما لم تسجله لنا أحداث التغيير، مما قاد إلى تبديل مفهوم التغيير البناء إلى التغيير الهدام .

وبقدر ما عبرت تلك الأحداث عن نزعات و رؤى متباينة، أفصح بعض المنظرين وبصراحة عن وقوع القرار السياسي رهن "عقدة الولاء"، لكن اختلفوا في الوصف إلى فرق . فالفريق الأول قال: إن القرار السياسي واقع تحت رهانات دولية وهم أصحاب النهج ((الديمقراطي Democracy)).

والفريق الثاني قال: إنه يخضع لمساومات إقليمية أكثر مما هو واقع تحت الرهانات الداخلية"، وتبّنت هذه النظرة أصحاب النهج ((التيموقراطي Tymocracy)).

١. عبد الرحيم عبد الله ،خفايا عزل الرئيس المصري محمد مرسي ،تقرير وكالة أسوشيتد برس،قناة الحرة،القاهرة، ٢٠١٤، ٢٠.

٢. خيارات الثورة الفرنسية في مرحلة الحسم :مبادئ اللعبة الدولية التي تحاك، :سيناريوهات إسقاط النظام والوصول للسلطة، ملخص دراسة في التغيير، حمص-سوريا ، ١٧-٨-٢٠١٢. ص ٤٥.

والفريق الثالث، وصف الحال قائلاً: إن القرار السياسي يفتقد إلى معايير النهج السياسي فلا بد من إصلاح المؤسسة السياسية قبل اتخاذ القرار السياسي، ويرجع هذا الرأي إلى أنصار النهج ((التكنوقراطي Technocracy)).

والفريق الرابع: قال: إن القرار السياسي لا يتخذ إلا من عانى "المظلومية" وهو قرار ((الثيوقراطي Theocracy)).

المبحث الثالث: قوانين التغيير وقواعد القيادة: رؤية مستقبلية:

لعل من بين أهم ما نشغل به العرب بمختلف عناوينهم اليوم قضية بناء مدرك موحد حيال التغيير، ذلك التغيير الذي على الرغم من جذوره التاريخية المؤثرة بحاجة إلى تأطير جمعي ينبذ ما صادفته لحد الآن من اطر فردية أهدمت بتواترها المحصلة المتوقعة منه، فالسجل التاريخي للعرب يشير إلى اهتمام العديد من النخب العربية (باحثين، قادة فكر، ساسة) في محاولة للعثور على أنموذج أداء معين يتمكنوا من خلاله صهر مطالبهم ليس في تأطير المفهوم محل الدراسة فحسب، بل لإصلاح الخلل المستديم الذي انتاب الأداء محل الدراسة. وفي مختلف الأصعدة بعد أن فقد العرب بوصفهم ساسة زمام المبادرة بفقدانهم الحافز المؤثر في تعديل كفة الميزان لصالحهم أو بالقليل الموازنة في ميزان التغيير.

وإذا ما أردنا الحق فلا بد لنا من القول إن العرب وطوال المدة السابقة من القرن المنصرم لم تبذل ما في وسعها للمشاركة في تأهيل العرب أو دفعهم إلى مستوى المشاركين في صياغة اواصر التغيير أو بنائها، حتى إذا ما بدا الزمن بالتواتر، بدا العرب عاجزين، وتكيف المطالب من دون التفكير بإبعاد التغيير ومآلاته؛ لتصبح ارض العرب محلا للتأزم والاحتقان الذي كان سبباً للانفجار الشعبي عالم ٢٠١١ وميعاداً له. تلك الأحداث التي ازدادت بتواتر دواعيها ونتائجها من تهميش العرب وانكشافهم الاستراتيجي، مما جعل البحث في هذه المفردة لا يعدو عن كونه كشفاً للفوضى السياسية التي توصم العرب.

المطلب الأول: القوانين والقواعد تحد الطموح وتنسف الجموح:

القاعدة الرابعة والثلاثون: التغيير يبرز المتنافسين والقيادة تسبق المتنافسين:

لأرب، أن التغيير الذي انتاب العرب كبير وشامل، ويعد الأساس لما وصل إليه الوضع من تردٍ وانحطاط وتراجع وعجز عن القدرة على إعادة تجديد نفسه؛ ليكون مفهوم دويلات -الدولة هو الاختيار والضرورة؛ لأن العمل يجري على إعادة قراءة اتفاقية سايكس-بيكو من جديد لكن بنسخة أمريكية على وفق مبدأ الناص: تقسيم المقسم وتجزئة المجزأ. على الخارطة الجيو-سياسية العربية التي رسمتها القوى الأوروبية بصورتها القلقة، لتكون الدولة القطرية عرضة لمزيد من التفكك والتجزئة. جاعلة من عجز العرب بوصفهم ساسة في معالجة قضية الأقليات وبلف التناسق الأيكولوجي ورض التناغم السياسي. فرصة للعزف على وتر تقرير المصير متناغمة مع تعطش الساسة الجدد الطامحين؛ ليحض على التخلص من الدولة القطرية بعد أن أصاب التغيير الدولة بالتخمة السياسية. وتوطئة لإشاعة الفوضى الهدامة في الخارطة الجيو-سياسية العربية بعد أن تزاوجت الرغبة الانعزالية للكانتونات مع رغبة الساسة الجدد المتفوقين لتتحطم الفسيفساء السياسية الرخوة، وتشظت الدولة إلى دويلات متضادة، وهذا ما يشير له مستقبل العرب وأنموذجهم المصغر العراق وما يفصح عنه من دويلات متضادة.

القاعدة الخامسة والثلاثون: "التغيير صناعة والقيادة ولادة":

من المعروف أن المعسكر الغربي الديمقراطي الرأسمالي هو من هيمن على الساحة الدولية، وعلى جميع الدول أن تتحول إلى أنظمة ديمقراطية رأسمالية، وهذا المفهوم يتقاطع مع المفاهيم القومية والملكية التي تحكم البلاد العربية فافقدها الشرعية. ليبدو المهيد السياسي مريباً في الرؤى والأفعال. ويغيب مفهوم الأمن السياسي مخلفاً هوة تشاركية واسعة مرجعة التغيير خطوة إلى الوراء ليحتمي بالمفاهيم الاستبدادية. مما انعكس بتجلياته على بنية الدولة القطرية مولداً اهتزازاً وإرباكاً لاح بنية تلك النظم: لتسجل المفاهيم السياسية العربية المتعارف عليها تراجعاً تخطى الكثير من الثوابت والموانع التي يفترض أن لا تتجاوزها، ويسجل الحال العربي تراجعاً وهبوطاً متزامناً⁽¹⁾. وهنا حق قول "ماكيفر" ((إن الشرعية تتحقق حينما تكون مدركات النخب الحاكمة لنفسها وتقدير المجتمع لها متطابقين وفي توافق عام على القيم والمصالح الإنسانية للمجتمع بما يحفظ للمجتمع تماسكه⁽²⁾.

القاعدة السادسة والثلاثون: "التغيير صناعة الجوع والقيادة صناعة الخوف":

من المعروف، أن الحاجة والجوع سبب للتغيير-التغيير الاقتصادي-، وأن القيادة في أوقات الحاجة تصنع الخوف بسبب الفوضى العارمة وسيكولوجيا الانتقام، بعد أن سجل العرب بغناهم قصوراً واضح في المجال الاقتصادي لاقتباسهم الأنموذج من دون إيجاد قاعدة أو تحضير بيئة مناسبة لإنجاح نماذجهم الاقتصادية. ونكوصاً تنموياً وتدميراً لنسبهم الاقتصادي. وما زاد النكوص نكوصاً هيمنة الأنموذج الليبرالي الرأسمالي "ديمقراطية السوق-اقتصاد السوق" على الاقتصاد عالمياً بدا الأنموذج الأفضل المفضل للعرب، لتظهر الفجوة الاقتصادية وسيادة مفهومي الحرمان والفساد وكثرة التخمة والشيع ظاهرة الكساد⁽³⁾.

المطلب الثاني: قوانين وقواعد التغيير تحفز الجركات وترسم الطرقات

القاعدة السابعة والثلاثون: "التغيير يحفز التضاد الاجتماعي والقيادة تحقق المتضادات لصناعة الذات":

لعل من نافلة القول، إن الظواهر الاجتماعية الموروثة غيبت التجانس المجتمعي ولعلي لا أكون مبالغاً عندما أقول إن العرب أكثر ما عرفوا به هو عقدة الولاء من جانب، ومن جانب آخر غياب التنمية البشرية. وسيادة مبدأ الغاب "البقاء للأقوى" الذي أدى دوراً فاعلاً في إيجاد الفجوة الطبقيّة واتساع مداها. تاركة الساحة عرضة للصراع الطبقي ليخل بالنسق الاجتماعي بعد أن وقع المجتمع تحت وطأة التعددية التي كانت حافزاً لتشظي النسق إلى انساق متضادة متنافرة تنذر بالتفكك تحت يافطة حق تقرير المصير.

القاعدة الثامنة والثلاثون: "التغيير لمن ملك التكنولوجيا والقيادة لمن ملك المعرفة":

من المتعارف عليه، أن من يملك التقنية والمعلومات (المقوم التكنولوجي والمعلوماتي) هو من يصنع التغيير والقيادة الناجحة قيادة التكنوقراط، وهكذا بات العامل التكنولوجي عنصر تحدٍ للعرب: لأنهم مستهلكو للمعرفة لا منتجون لها، والقادة العرب قادة ميدان وليس قادة طاولة مفاوضات، فهم منكشفون استراتيجياً ومخترقون عقلياً، فمن ملك التقنية

¹. ينظر: نداء مطشر صادق، التخلف والتحديث والتنمية: دراسة نظرية، منشورات غار يونس، ط 1، بنغازي، 1998، ص 30.

². ثامر كامل محمد، إشكالية الشرعية والمشاركة وحقوق الإنسان في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، عدد 151، 2000، ص 111.

³. طاهر لبيب، التنمية والتنمية الاجتماعية العربية، مجلة المستقبل العربي، بيروت-لبنان، عدد 253، 2000، ص 25.

والمعلوماتية تحكم بالعقول وسيطر على الأفعال.⁽¹⁾، وأن المتبع باستجلاء اثار التغيير اليوم-القرن الحادي والعشرين- يجد ان من يملك المقوم التكنولوجي- القوة الناعمة هو من يصنع التغيير، فمواقع التواصل الاجتماعي صنعت التغيير في المنطقة العربية مالم تصنع الجيوش .

القاعدة التاسعة والثلاثون: "التغيير يولد صراعاً حضارياً والقادة بولدون قناعة بتفوق حضارتهم":

ما أن اجتاحت التغيير الساحة العربية حتى أفصح عن قادة ضيقي الرؤية، ومن ثمّ تأسيس دولة مكونات ومحاصصات تضمن بروزهم على قمة صنع القرار، مقدمين الفرصة لاستغلالها آلية سلب الهوية، وفرض هيمنة ثقافة الطائفة الأقوى وتهميش الآخر الضد.⁽²⁾

القاعدة الأربعون: "التغيير يصنع الايديولوجيا والقادة يتصادمون لفرض الايديولوجيا":

لم يعرف العرب بوصفهم ساسة بمراحل متأخرة من تاريخ نظامهم السياسي بتناقضهم الإيديولوجي فحسب، لا بل براعتهم في ترجمة هذا التناقض إلى فكر تأزمي-تناقضي مغيباً بتداعياته الإطار المنشأ لما يحملوه من قيم فكرية أسندت آمالهم ولم تزل تؤطرها وتحفزها باتجاه بناء صروح حضارية فنوية الذي يمكن أن نطلق عليه المرجعية الإيديولوجية الضيقة؛ ونتيجة لذلك أصبحنا أمام إشكالية متصاعدة للبناء مفادها تأخر الأداء السياسي العربي عن ملاحقة مدركات الشعب؛ ل يبدو ذلك التأخر واضحاً في العجز عن بناء نقاط الالتقاء بين ما تملكه من رؤى... وبين مرجعيته الإيديولوجية.

القاعدة الحادية والأربعون: "التغيير يصنع الحراك والقادة بقودون الحراك":

إن أكثر ما عرف به العرب من خلال استقرار سلوكهم السياسي هو التزمّت بالرأي والرؤية الذاتية التي باتت نتيجة منطقية لإضعاف البناء الفئوي-الفئوي. الذي يفصح عن نزاع الأدوار والبحث عن مكامن الهيبة والمكانة السياسية؛ لتصبح عقدة نزاع الأدوار هي السائدة بعد أن غابت القاطرة الإستراتيجية التي تجمع المكون القطري ليدخلوا في دوامة التناقض الفوضوي بحثاً عن الدور والريادة في صنع القرار، ويقدر ما أوجدت هذه النزاعات فجوة بين المكونين القطر والفئوي ومتابعهما من فقدان الثقة. وظهر لنا نظام الأعمدة المتناقضة المتوازنة المعول عليه؛ ليفصح الأخير عن نظام التحالفات والتالفات من اجل الانفراد بالقرار والانتقام من الآخر الضد وهي توازنات ضعف قطرية.

القاعدة الثانية والأربعون: "التغيير للأقوياء والقادة يقدمون الولاء":

إن المطلع المتابع يستدل بسهولة على أن الأقوياء هم صناع التغيير والقادة هم تابعون، فبريطانيا غيرت الدولة العثمانية وكان "محمد علي باشا" القائد الملهم وفرضوا نظامهم الملكي، وما أن هيمن فكر الشخصية الكارزمية العسكرية متوج بـ"ستالين" روسيا و"هتلر" ألمانيا و"موسولني" ايطاليا حتى فرضوا نظامهم؛ لأن الولايات المتحدة مهيمنة تفرض نظامها الديمقراطي. ونلاحظ في كل تلك المراح هناك ازدواجية بالمعايير وازدواجية في الولاء فالكل يدعي الوطنية والكل يخضع للأقوى صاحب الفضل.

القاعدة الثالث والأربعون: "للتغيير حراك وللقيادة إرباك": من المعروف، أن حراك التغيير يهز كل المفاهيم المتعارف عليها ويغير كل الاداءات المتبعة؛ لهذا يظهر قصوراً إدراكياً في تصورات ورؤى الساسة العرب الجدد، وهذا ما يطبق على العراق

¹. سلمان رشيد سلمان، هل يمكن للدولة القطرية العربية تحقيق تقدم علمي وتقني، شؤون عربية، عدد ٨١، ١٩٩٥، ص ١٥٢-١٥٣.

^٢. هشام جعيط، أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحضارة، دار الطليعة، ط١، دمشق-سوريا، ٢٠٠٣، ص ١١٦.

من إرباك فكري وسياسي للقادة الجدد الذين جروا العراق إلى الهاوية مما دعا القوى المحرك للتغيير أن تعتمد على سيناريو التضاد على المشهد السياسي العربي؛ لتنتشر الفوضى الإستراتيجية، وتطاحن القوى المتنافسة، متعاملة مع الآخر الضد من منطلق المعادة الصفرية^١.

المبحث الثالث: التغيير والعرب رؤية مستقبلية

لم تكن مهمة اتقان فلسفة التغيير والقيادة والتنبؤ من خلالها مستقبل الدول سهلة على الإطلاق، بل بدت من أصعب المهام التي صادفت الباحثين الذين ينوون بحمل مصير أمتهم والتقدم خطوة للأمم، فالعالم مليء بالقادة الذين أبدعوا في إظهار أروع الصور القيادة وهم يتعاملون مع التغيير كاشفين الغطاء عن مكان أسرار قوته إن كانت متناغمة أو متضادة مع مدركات القادة.

المطلب الأول: قوانين وقواعد التغيير بين التناغم والتضاد:

القاعدة الرابعة والاربعون "التغيير يهدم النظم المركزية والقادة يعيدون نظام الحكم المركزي".

لاشك في أن تدافع قوى التغيير على الساحة العربية؛ لأهميتها الإستراتيجية، أفصح عن حقيقة أن العرب قلب العالم النابض بالطاقة والفكر النير، فلا بد من تغييره بإعادة هندسة خارطته الجيو-إستراتيجية من جديد بما يتلاءم والنظام الدولي لكن كل تغيير يرجع إلى النهج نفسه فيعاد ترميم النظام بتغيير وجوهه.⁽²⁾

القاعدة الخامسة والاربعون: التغيير يهدم النظام والقادة يرممون نظم الحكم".

على وفق سيناريوهات التغيير فإنها وسيلة لتسلم الطامحين المهمشين للسلطة فهم فيالركب نفسه، الخط نفسه، فهم متشابهون في المنطلقات الفكرية مختلفون بالاداءات الاستراتيجية،فالتغيير شكلي وليس جوهري؛ لأن القيم والمفاهيم باقية لكن بصورة ثانية.⁽³⁾

القاعدة السادسة والاربعون: التغيير يهدم النظام والقادة يؤسسون نظامًا جديدًا للحكم".

لاشك في أن العالم الذي يمر بحالة فريدة من نوعها متمثلة بالتغيير الديمقراطي(الديمقراطية الغربية)* والذي سيحطم كل الأنظمة على غير شاكلة،فكل بلد يخالف التعاليم الديمقراطية الأمريكية يجب تغييره ليناسب ما هو مطلوب عالمياً؛ لأن المطلوب نظام لبرالي وليس عسكرياً أو ملكياً،بعد أن أصبحت الديمقراطية معيارًا تقاس عليه درجة التفاعل الدولي،فالقادة الفاعلون المرغوب بهم هم اللبراليون الذين رفعوا شعار اللبرلة للسياسة ودمقرطة الشعوب.وتأسيساً على ذلك برزت فكرة إنشاء ترتيبات جديدة مبنية على أسس وقواعد تقوي الأواصر بين العرب وقادة النظام الدولي.

^١ يُظنر : سيف نصرت توفيق الهرمزي ، مقتربات القوة الذكية كآلية من اليات التغيير الدولي " الولايات المتحدة الاميركية نموذجاً"، اطروحة دكتوراه - كلية العلوم السياسية - جامعة النهدين ، ٢٠١٤، ص ٤٢.

^٢ عبد الإله بلقرين، تحديات إقامة نظام شرق أوسطي جديد وانعكاساته على مجال الثقافة، مجلة المستقبل العربي،بيروت- لبنان، عدد٣، ١٩٩٥،ص١٣.

^٣ .حازم حمد موسى الجنابي، العلاقات العربية- الأمريكية: دراسة في الإبعاد الاستراتيجية لمشروع شرق الأوسط الكبير، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين-بغداد، ٢٠٠٦،ص٢٦٤-٢٦٥.

*بقناعتي الشخصية وبنظرة موضوعية ان الديمقراطية الغربية المصدرة الى عالمنا العربي والإسلامي لا تتفق وقيمنا وعادتنا وتقاليدنا، فهي ثوب غربي لرجل شرقي والفرق كبير ما بين الاثنين ، ولكنها شماعة وشعار معلن لأهداف ودوافع استراتيجية مضمرة لتحقيق مارب عليا. سيف نصرت الهرمزي .

المطلب الثاني: قوانين التغيير وقواعده وتقنين البلقنة:

القاعدة السابعة و الأربعون: التغيير يهدم النظام والقادة يحزؤون النظم ليحكموا¹:

على خلاف ما ظن بعضهم برؤيته لمستقبل العرب، نجد رهطاً رابعاً كانت له رؤية على العكس تماماً للمفاهيم السابقة، منطلقين من مبدأ "بلقنة العرب" من ضمن مفهوم اشمل لمبدأ "بلقنة العالم": "لأنها أخطر منطقة فكرياً، وأهم منطقة اقتصادية، فهي سبب للفوضى العالمية، وهي محركة للتغيرات العالمية، وهي مصدر جذب القوى العالمية."⁽¹⁾ فالحل هو تحويل العرب إلى (٧³) كاتنونا، فالتحول من النظام الفدرالي إلى النظام الكونفدرالي يعني تغيير التغيير، ومن ثمة التغيير سيرجع العرب إلى ما قبل الحضارة "القبلية" و"العصبية"، وهذا ما تؤكدُه أوضاع الشرق الأوسط، فنرى السودان المؤامرة المتجددة، (دولة الشمال الإسلامية، دولة الجنوب المسيحية، دولة دارفور، دولة أنوبة) التي ينتج عنها، والصومال مأساة متكررة، البلد والقرية، وفلسطين الدولة المغيبة، ولبنان البلد القلق ينتج عن قلقه ثماني دويلات (دولة المستقبل، دولة حزب الله، الدولة المارونية، دولة بيروت العلمانية، الدولة العلوية، دولة فلسطينية، دولة درزية، دولة يهودية)، والعراق مملكة الموت، ينتج عن مذابحها ثلاث دويلات (دولة بغداد، دولة الكوفة، دولة كردستان) وسوريا صاحبة أكبر إبادة جماعية تنتج خمس دويلات (الدولة العلوية، دولة حلب، الدولة دمشق، الدولة الدرزية، كردستان)، السعودية ينتج (دولة مكة والمدينة الإسلامية، والمملكة السعودية المستقلة، ودولة الإحساء، دولة الوهابية)، أما دول الخليج الأخرى فتقسم وتوزع مثل الكويت تضم إلى دولة الكوفة، وقطر والبحرين تضم إلى دولة مكة والمدينة، والإمارات تضم إلى سلطنة عمان، واليمن الدولة الفوضى (اليمن الشمالية واليمن الجنوبية)، الأردن (دولة ملكية، دولة فلسطينية) مصر مأساة معتمدة تنتج (دولة الأقباط عاصمتها الإسكندرية، دولة الإخوان عاصمتها القاهرة، دولة أنوبة عاصمتها أسوان، دولة يهودية في سيناء ودلتا النيل)، شمال إفريقيا (البربر أو الامازيغ من النوبة إلى الجزائر، البوليساريو من أراضي المغرب العربي، المغرب (دولة علمانية، ودولة إسلامية)، تونس، الجزائر (الجزائر والبربر)، ليبيا طرابلس، درقة، فزان، البربر) موريتانيا (موريتانيا ونواكشوط)، أما (باكستان وإيران وأفغانستان) فتقسم على (دولة كردستان، دولة أذربيجان، دولة تركستان، دولة عربستان، إيرانستان، دولة بوخزستان، دولة بلوشستان، دولة أفغانستان، دولة باكستان، دولة كشمير)... الخ. فالجميع خائف من التغيير، وتغيير التغيير يعني أن بداية النهاية بدأت.

الخاتمة

انطلاقاً من القراءة التاريخية التي امتاز بها التاريخ الإسلامي، وما أفرزته تفاعلاته من أحداث وسلوكيات أربكت بدورها المدرك الاستراتيجي، عجز الدارسون والباحثون وذوي الاختصاص عن وضع تفسير واضح لما يدور في مدارك صناعات القرار، أو بناء رؤية إستراتيجية تفسر ما يدور في فضاء الاستراتيجيات الإسلامية، فكان من الصعب التنظير في قوانين التغيير، والتنبؤ بقواعد القيادة لمعرفة مستقبل الأنظمة ما بعد التغيير. وإن يكن من حال، فإن التغيير المعني قيد الدراسة كتب له القدر وحالفه الحظ ليخرج من حيزه الضيق إلى مدلوله الأوسع والشامل، لبناء قيادة للتغيير، ولتكون موضع رهان للقوى.

¹ . زبغينورجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكاتب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٧٣.

ولعل اكبر دليل على ذلك، ما احتوى مشروع قوانين التغيير من أهمية، وما شغل من حيز في التفاعلات الدولية، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الخلفية الإستراتيجية التي حملها المدرك الإسلامي التي غناها الفكر الاستراتيجي معطياً للتغيير أولوية في الأجندة الإسلامية.

ولو عدنا إلى التاريخ واستقرأنا صفحات مسيرة الإستراتيجية الإسلامية، لوجدنا أن التغيير ولد مع صنع القادة، وأن القادة يصنعون التغيير، وكأن التغيير أساس إستراتيجية القادة الأقوياء التي تعاطت مع الآخرين من منطق التغيير الصفري.

وتبعاً لهذا الفهم، اتضح السلوك الدولي وبات من السهل واليسر استقراء الفكر الاستراتيجي الإسلامي، وباتت ملامح الغموض فيه بخاصة بعد إن ارتفعت أمواج التغيير الإسلامية، وبدا يتلقف بناء النظم، وبعد إن وجد بناء غير متزن وهش إلى درجة بات الجميع يعتقد بان التغيير أمر حتي ولا بد منه، لنخرج من هذه المقاربة بجملة من النتائج منها:

أولاً- أن للتغيير قوانين وللإدارة قواعد إذا سارا بالاتجاه نفسه قادا إلى البناء وإذا تعاكسا قادا إلى الانهيار .

ثانياً- أن قوانين التغيير قوانين مرنة قابلة للتعديل والتغيير بحسب الحالة وانسجاما مع الوقت، أما قواعد التغيير تعتمد على مرونة صناع القرار وأسس بنائهم الإدراكي .

ثالثاً- خير وسيلة لقيادة التغيير، هي اتقان قوانين التغيير. وخير وسيلة لإدارة التغيير، هي إدراك قواعد التغيير.

رابعاً- وبعد عرضنا كل ما تقدم، يمكن أن نؤكد أن العرب أخفقوا في الاثنتين ودخلوا مرحلة تغيير التغيير.

خامساً- إن المستقبل ينذر بتغير التغيير؛ أي: تقرير المصير وتقنين التقسيم .

من كل ما ورد أعلاه من استنتاجات، نصل ونتوصل إلى صحة ودقة الفرضية التي وضعت للدراسة والتي نصت على (كلما كانت قوانين التغيير غير مدركة، فقد القادة قواعد القيادة) وهذا يعني نهاية الوجود وتغيير الحدود.

التوصيات :

١ - هذه الدراسة جاءت لتغذي صانع القرار بقوانين التغيير لفهم اسباب الصعود والافول للدول والاخذ بها في القيادة.

٢ - على القيادات مهما كانت مكانتها على مستوى الفرد او المؤسسة وصولاً الى الدولة استيعاب التغيير والاستجابة له على وفق الظروف المكانية والزمانية .

٣ - ان القوانين التي افرزتها دراستنا ما هي الا استشفاف لمضامين التاريخ والحاضر فعلى القائد ان يستشرف المستقبل عبر محاكات عملية قبل ان يحدث التغيير .

٤ - على القائد ان لا يخاف من التغيير، لأن ليس كل التغيير سلبياً فهناك الايجابي منه ، وان معالجة التغيير المضاد بالقوة ستكون انعكاساتها على البشرية التي جاءت لخدمتها وليست خدمة كرسي حكمه وعائلته؛ لأن مائله الفناء وافول نظامه شاء ام ابى .

واخيراً يقول الله عزل وجل (إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فعلينا كأفراد ومجتمع ومؤسسات ودول ، ان نغير ما في انفسنا من سوء حتى يصب التغيير في مصلحتنا ويعم العدل والامن والاستقرار

الأزمة السورية والطائفية الإقليمية

(ورقة بحثية مقتبسة من أشغال مؤتمر المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، الذي

أقامه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، في عمان-البحر الميت للفترة من ٣١ سبتمبر ٢٠١٥)

أ.م.د ناجي محمد الهتاش / كلية العلوم السياسية-جامعة تكريت-العراق

المقدمة:

يتفق أغلب الباحثين بخاصة العرب منهم أن الصهيونية العالمية كانت قد خطت وقبل قيام دولة إسرائيل لتفتت الدول العربية التي رسمت خرائطها معاهدة سايكس بيكو في العالم ١٩١٦، على أسس طائفية وعرقية، واستمر تخطيط هذا التفتت الى وقتنا الحاضر، فضلا عن مجاهدة كل المشاريع العربية الوحودية وبدعم الدول الاستعمارية الكبرى. تهدف الدراسة الى:

- إبراز التخطيط الصهيوني-الإسرائيلي لتفتت المنطقة العربية على أسس طائفية وعرقية.
- ربط ما تم تخطيطه سابقا مع ما يتم تنفيذه في الوقت الحاضر من مخططات تدميرية وتفتتية للقوى العربية الرئيسية في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي.
- الوقوف بالتحليل على دور الأزمة السورية في إذكاء الصراع الطائفي الإقليمي، وإبراز دور القوى الإقليمية في ذلك انطلاقا من مصالحها.
- استشراف ما قد تؤول اليه الأزمة السورية على المستوى الإقليمي.

وتنبع أهمية الدراسة من أهمية موضوعها؛ لأنه يمس الدول العربية ويهدد وحدتها الوطنية والاسلامية؛ إذ إن ما تشهده المنطقة العربية من حراك غير منضبط يصل إلى حد الفوضى وسيؤدي الى نتائج لا تحمد عقبها على المستويين الوطني والاقليمي، ويُندر بفوضى اقليمية قد تصل إلى حافة الحرب الطائفية ليس على المستوى الداخلي في بعض الدول، وانما على المستوى الاقليمي سواء كانت حرب وكالة أو حربًا مباشرة.

إشكالية الدراسة

تثير الدراسة حزمة من الإشكاليات، وسيتم معالجتها بشيء من التحليل من خلال الإجابة عن مجموعة من التساؤلات منها:

- كيف أدت الأزمة السورية في إثارة الطائفية الإقليمية؟.
- ما حقيقة الموقف العراقي من الأزمة السورية؟، وما الأسباب التي دعت الحكومة العراقية لتغيير موقفها من النظام السوري؟.
- هل الموقف الإيراني من الأزمة السورية جاء نتيجة للاصطفاف الطائفي؟، أم لاعتبارات أخرى؟.

- هل مارست إيران ضغوطاً على الحكومة العراقية لدعم النظام السوري؟.
- كيف يفكر الأكراد في استثمار الأزمة لصالحهم؟.
- كيف رسمت الأزمة الاصطفاف الطائفي على المستوى الإقليمي؟.

فرضية الدراسة

ستنطلق الدراسة من فرضية مؤداها : أن الأزمة السورية جاءت في سياق المخطط الصهيوني والاستعماري باتجاه تفتيت المنطقة، وهو ما يؤثر جني ثمار هذا المخطط، وبشكل ربما سيكون أكبر مما حُطط له من خلال إثارة الطائفية الدينية والعرقية ليس على المستوى القطري فحسب، وإنما ليتسع على المستوى الإقليمي، لتعيد اصطفاف دول مهمة في المنطقة على هذا الأساس، ولتنذر بمخاطر كبيرة على المنطقة، قد تصل إلى حافة حرب طائفية إقليمية تكون نتائجها كبيرة على دول المنطقة.

وستتوزع هيكلية البحث على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: التخطيط الصهيوني والأمريكي لقلب الشرق الأوسط وتحديد المنطقة العربية، وسيتم فيها التطرق للمخططات الاستعمارية القديمة لتفتيت المنطقة، وربط ذلك بنظرية الفوضى الخلاقة التي طرحها الولايات المتحدة بعد احتلال العراق.

المبحث الثاني: الطائفية الإقليمية في الأزمة السورية؛ إذ سيتم رصد هذه الطائفية من خلال موقف الدول الإقليمية من الأزمة السورية بمحورين المؤيد للنظام السوري، والمعارض له والداعم للمعارضة السورية.

المبحث الثالث: محاولة استشراف مستقبل ما ستفرزه الطائفية الإقليمية بين التصعيد لتتوقع أسوأ ما يمكن توقعه، وبين العمل على السيطرة عليها وتهدئتها بعد إيجاد حل للأزمة السورية.

١ : التخطيط الصهيوني والأمريكي للمنطقة العربية

١.١ : سياسة التفتيت الصهيوني

لغرض زيادة الضعف العربي، عملت اسرائيل منذ نشوؤها وقبلها الصهيونية، وكهدف استراتيجي على زيادة التمزق العربي عبر سياسة التفتيت، فهي الكفيلة في تعزيز مكانة إسرائيل الإقليمية، وبالمقابل فهي وسيلة ناجعة لمنع أي تقارب وحدوي عربي. وهذا الإدراك المبكر هو الذي دفع المنظمة الصهيونية العالمية لتقديم خارطة جيوسياسية إلى مؤتمر السلام في فرساي عام ١٩١٩، وتتلخص في ضرورة العمل على إثارة الانقسامات الاثنية والمذهبية، وتفتيت الكيانات السياسية القائمة بدءاً من لبنان، مروراً بسوريا والعراق ومصر وبقية الدول العربية^١. ولأجل هذا طرحت الكثير من السيناريوهات والاستراتيجيات، نذكر منها الوثيقة التي طرحها أوديد يانون (Oded Yinon) التي نشرت في مجلة الحركة الصهيونية في عام ١٩٨٢ بعنوان (Astratgy For Israel in The 1980)، ودعا فيها صراحة إلى تقسيم وبلقنة العالم العربي على كانتونات

(*) يحدد الباحث بحسب وجهة نظره أن منطقة القلب للشرق الأوسط هي تلك الممتدة من إيران شرقاً إلى مصر والسودان غرباً، ومن تركيا شمالاً إلى الخليج العربي وبحر العرب جنوباً.

^١ . ينظر بهذا الصدد: سيد يس وآخرون، دراسة تحليلية في ندوة صراع القرن (الصراع العربي مع الصهيونية وإسرائيل عبر مائة عام)، (عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان، ١٩٩٩)، ص ١١، ودارا باخوس الفغالي، تخوف أوربي من مخطط صهيوني لتفتيت المنطقة، شبكة الصحافة غير

سياسية¹، ومن جانبه يكشف الاستراتيجي الإسرائيلي يحزقيل دوره في ندوة مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط في العام ١٩٩٠، إن على إسرائيل أن تتبع إستراتيجية عظمى تستند على مجموعة من الأسس، منها: تفتيت التجمعات العربية من الداخل عن طريق دعم الجماعات الاثنية والطائفية².

وبتاريخ ١٩٩٥/٢ نظم مركز بارا يلان للأبحاث الإستراتيجية وبالتعاون مع مركز الأبحاث السياسية بوزارة الخارجية الإسرائيلية ندوة (موقف إسرائيل من الجماعات الأثنية والطائفية في الوطن العربي)، وأكدت الندوة ضرورة تقديم الدعم العسكري للأقليات داخل الوطن العربي؛ لأن مصلحة إسرائيل تكمن في تكريس الصراعات في الوطن العربي بشكل أقوى واعنف من السابق³.

لقد وضع هؤلاء الباحثون والساسة الإسرائيليون نصب أعينهم ضرورة تفتيت وتشظية الوحدات السياسية العربية وإفراد سيناريوهات متعددة تطل جميع الأقطار العربية بخاصة تلك المؤثرة فيها وذات الوزن السياسي والعسكري، ونخص بالذكر هنا مصر التي يراد لها أن تنقسم على دويلات صغيرة قبطية، وبلاد النوبة، والبربر، ومصر الإسلامية، وسويا إلى دويلات سنية، درزية وعلوية، والعراق إلى دويلات سنية، وشيعية، وكردية.

ما يمكن استنتاجه هنا، هو أن الإدراك الإسرائيلي للوضع في الشرق الأوسط يرى أن إسرائيل لا تستطيع توفير الأوضاع المثلى لصيانة أمنها، والانطلاقه كقوة إقليمية فعالة إلا بإضعاف دول المنطقة وتجزئتها لتحقيق هدفين:

الأول: إيجاد نوع من التجانس بين منطقتي وجود إسرائيل والمنطق الذي سوف يسود في المنطقة.

الثاني: ولغرض تحقيق الهدف الأول فلا بد من إضعاف دول المنطقة، سواء باتباع سياسة التفتيت، ابتداءً بالدول الأكثر عداءً لإسرائيل، أو استغلال وإذكاء الصراعات بين دول المنطقة، كالحرب العراقية - الإيرانية.

٢١: الفوضى الإقليمية البنّاءة

في حديثها مع صحيفة واشنطن بوست بداية نيسان ٢٠٠٠، أبدت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس حماسة كبيرة للتحوّل الديمقراطي في الشرق الأوسط، حتى إن أدى ذلك إلى استبدال الأنظمة الحليفة والمواليّة، وحينما قيل لها: إن التفاعلات التي تموج بها هذه المنطقة لا تترك مجالاً آخر سوى للاختيار بين الفوضى أو سيطرة الجماعات الإسلامية على السلطة، ولن تؤدي بالضرورة إلى انتصار الديمقراطية، فإنها أي رايس لم تردد بالقول إن الوضع الحالي ليس مستقراً، وأن الفوضى التي تفرزها عملية التحوّل الديمقراطي هي من نوع الفوضى (الخلافة)، التي ربما تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه المنطقة حالياً⁴. وبحسب الباحث الأمريكي- مايكل ماكفيل في مقال له في مجلة ريفو بولسي، ذكر أن التغيير الذي تسعى له الولايات المتحدة، يجب أن يكون عدوانياً بطبيعته، وعليها المبادرة بالهجوم، ويحدد الفوضى (البنّاءة) التي يجب اتباعها في الشرق الأوسط، بالالتزام بمبدأ الحرية والترويج لها، وإزالة القوى المعارضة للحرية أفراداً وجماعات وأنظمة، وأن

١. د. ناظم عبد الواحد جاسور، المشروع العربي والمشاريع الغربية والصهيونية المضادة، مجلة آفاق إستراتيجية، بغداد، العدد ١، أيلول ٢٠٠٠، ص ص ٦٣-٦٤.

٢. نفس المصدر، ص ٦٥.

٣. ينظر: ندوة موقف إسرائيل من الجماعات الأثنية والطائفية في الوطن العربي، ترجمة الدار العربية للدراسات والنشر، القاهرة، مركز الدار العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.

٤. د. حسن نافعة، كوندلي والفوضى الخلاقة في المنطقة العربية، الحياة للندن، ٦/٤/٢٠٠٥.

تتضمن هذه الفوضى التدمير والبناء¹، بمعنى آخر: إنها فوضى تحت السيطرة. وفي أحد مؤتمراتها الصحفية التي نشرتها صحيفة نيويورك تايمز، يقول الرئيس بوش: "إن أردتم الاطلاع على مفهومي للسياسة الخارجية فاقروا كتاب نتان شرانسكي"²، فإنه سيساعدكم على فهم الكثير من القرارات التي اتخذت والتي قد تُتخذ"³، عنوان هذا الكتاب (قضية الديمقراطية) يشرح فيه نظريته (الفوضى الخلاقة)، ويدعو فيها الولايات المتحدة استخدام الطائفية بوصفها وسيلة للقضاء على محور الشر، وتحقيق الديمقراطية في المنطقة العربية، وهو بذلك يدعم سياسة المحافظين الجدد في إستراتيجيتهم نحو الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط .

أولاً:العراق نقطة البداية

رأى كولن باول- وزير الخارجية الأمريكية السابق، أن التغيير سيبدأ فعلاً في الشرق الأوسط مع عملية (تحرير) العراق، الذي اعتبره زلزالاً إقليمياً أحدث تبديلاً عميقاً في المعالم السياسية للمنطقة⁴، وذلك لأهميته الإستراتيجية للولايات المتحدة ؛ لأنه يمثل القلب لمنطقة الشرق الأوسط، بحسب ما يراه أستاذ التاريخ الأمريكي وليم هملتون⁵. وهو ما حصل فعلاً، فبعد الاحتلال لم يقتصر التدمير على البنى التحتية والاقتصاد، وإنما وحسب نظرية شرانسكي، أُدخِل العراق في فوضى الفتنة الطائفية، التي وصلت إلى حد الاقتتال الداخلي، والتهجير الطائفي وبشكل لم يشهده سابقاً طوال تاريخه، وبدأت الأصوات تتعالى منذرة بحرب أهلية، ولتعميق هذا الشعور بادرت قوات الاحتلال إلى فكرة إقامة الحواجز والجدران الكونكريتية لعزل المناطق في بغداد الواحدة عن الأخرى.

إن ما آل إليه الوضع في العراق، دفع الكثير من الباحثين الأمريكيين إلى ضرورة التفكير في تقسيم هذا البلد، وعلى الأسس نفسها التي طرحها وما زالت الصهيونية وإسرائيل تطرحها، ومن بين هؤلاء ينبري هنري كيسنجر ليُعبّر بصراحة في حديث له مع شبكة (CNN) الأمريكية بقوله " لا مصلحة لأمريكا في إبقاء العراق موحداً، ومن الأفضل أن تُترك كل مجموعة أثنية متنافسة تشكل حكومتها الخاصة"⁶

1 . علي حسين باكير، إستراتيجية الفوضى الخلاقة في لبنان، مجلة العصر على شبكة الانترنت .

<< [http://www. Alasr.ws/Index.cfm.26/8/2005](http://www.Alasr.ws/Index.cfm.26/8/2005) >>

(*) ناتان شرانسكي، يهودي مهاجر من روسيا إلى إسرائيل، أصبح وزيراً في حكومة شارون لفترة واحدة، استقبله الرئيس بوش في البيت الأبيض، مبدياً إعجابه بكتابه- قضية الديمقراطية .

2 . نقلاً عن د. مسفر بن علي القحطاني، الفوضى الخلاقة في نسختها الطائفية .

<http://www.Islamtoday.net/articles/show-content.cfm?id>

3 . برادلي أ. تاير، السلام الأمريكي والشرق الأوسط، المصالح الاستراتيجية الكبرى لأمريكا في المنطقة بعد إيلول، ترجمة بإشراف د. عماد فوزي شعيب، (بيروت: الدار العربية للعلوم، ط 1، 2004)، ص ص 37-38 .

4 . د. أحمد سليم البرصان، الشرق الأوسط، إعادة للتفكير، مصدر سبق ذكره .

<http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=10473>

5 . نقلاً عن نواف الزرو، حروب إسرائيل في العراق، متطلبات-حقائق-وثائق، (عمان: مطابع الدستور التجارية، 2005)، ص 113 .

، ثم ما لبثت هذه الدعوات أن صدرت بشكل رسمي من مجلس الشيوخ الأمريكي، الذي أصدر قراراً (غير ملزم)^(*) في ٢٠١٢/٢٠، بتقسيم العراق على ثلاثة أقاليم شيعية، وسنية، وكردية.

ثانياً: الطائفية لتقسيم المنطقة

لقد كان من بين أهم أهداف الفوضى الخلاقة إثارة الطائفية بوصفها مدخلاً لتقسيم منطقة القلب للشرق الأوسط الكبير، وإعادة تأسيس دوله على هذا الأساس، وعلى وفق ما طالبت به الصهيونية العالمية، بأن يتم تقسيم المنطقة العربية على أساس طائفي وعرقي، فالصهيونية والمحافظة الجدد ينظرون إلى المنطقة العربية مجرد مساحة أو منطقة بلا تاريخ وبلا تراث مشترك، لا يربطها رابط، وليس لها ذاكرة تاريخية، وإنما ليست ذات أغلبية عربية، وإنما هي خليط من أقليات دينية وعرقية، وبات العراق يشكل اللبنة الأولى في بلقنة المنطقة على هذا الأساس، ومن بعده ستتساقط قطع الدومينو الواحدة تلو الأخرى، كما تنبأ بها برنارد لويس أحد أبرز المحافظين الجدد¹³⁸. وهذا الاتجاه نفسه الذي يتحرك فيه رالف بيترز- ضابط استخبارات أمريكي متقاعد، حينما وضع مخططاً لإعادة تقسيم الشرق الأوسط في مقال نشر في مجلة القوات المسلحة الأمريكية في حزيران ٢٠٠٠، منطلقاً مما أسماه الظلم الفادح الذي لحق بالأقليات عندما تم تقسيم المنطقة أوائل القرن الماضي بموجب اتفاقية سايكس بيكو، مشيراً إلى أن هذه الأقليات هي جماعات وشعوب خُدعت، ويذكر الأكراد، والشيعية، والمسيحية، واليهودية، والإسماعيلية، وغيرها، ويؤكد أن ثمة كراهية شديدة بين هذه الجماعات، وعليه فهو يرى وجوب إعادة تقسيم الشرق الأوسط، انطلاقاً من تركيبته السكانية غير المتجانسة، القائمة على الدين والمذهب والقومية، ليسود السلام، كما في حالة إسرائيل القائمة على الدين والقومية، ويقدم هذا الضابط المخبراتي خارطة جديدة للشرق الأوسط (الخارطة رقم ١)، تقوم على حدود الديموغرافيا الاثنية والطائفية¹³⁹.

إن ما يمكن أن نخلص إليه، هو أن ما تعرضت له بعض الدول العربية الرئيسة في المنطقة، بخاصة العراق، ومن ثم لاحقاً سوريا، قد كشف عن طائفية دينية واضحة لم تكن لتستقر داخل هذين البلدين فحسب، وإنما لتنتقل إقليمياً لتؤكد ما ذهب إليه العاهل الأردني الملك عبدالله حول القوس الشيعي الممتد من إيران إلى سوريا ولبنان عبر العراق، وربما ليصل لاحقاً إلى شرق المملكة العربية السعودية، ومن ثم ليكشف لنا عمقا لصراع اقليمي طائفي قد بدأ ينمو تدريجياً لا يمكن التكهن بنتائجه ما لم يتم كبح جماحه

(*) وللتذكير هنا أن القرار الذي سبق أن أصدره الكونغرس الأمريكي المعروف باسم (تحرير العراق)، كان أيضاً غير ملزم، غير أن الإدارة الأمريكية قامت بتنفيذه لاحقاً.

¹³⁸. للاستفاضة انظر: د. عبد الوهاب المسيري، الشرق الأوسط الجديد في التصور الأمريكي - الصهيوني.

<http://www.almotamar.net/news/36374.htm>. 3/4/2006

<http://www.Ralph PEETR, wwwarmed force.Journal.14>.

٢: الطائفية الإقليمية في الأزمة السورية

ان مجيء الولايات المتحدة بنظام في العراق مؤسس على الطائفية السياسية كفيل أن يكون أقصر طرق الفوضى الخلاقة الأمريكية بإثارة الطائفية الدينية بين مكونات شعبه، فكان نتاجها أشبه بحرب أهلية داخلية أفضت لمئات الآلاف من الشهداء والملايين من المهجرين داخليا وخارجيا، ومازالت هذه الطائفية موجودة وان خفت حدتها، لتلوح برأسها بين الفينة والأخرى لتعيد تهديد النسيج الاجتماعي العراقي. لقد كانت الطائفية في العراق هي النذر الأولى للدخول الى الخصوصية الطائفية في المنطقة، ربما بدأت رسم خطوطها الأولى في تشكيل حالة من التحالفات السياسية الاقليمية، وكان يدور الحديث عن محور الاعتدال وهو (سني) ممثلا بمصر-السعودية-الأردن، ومحور المقاومة (شيعي) ممثلا بإيران-سوريا- حزب الله، وحليفهم السني حركة حماس¹⁴⁰.

١٢: أسباب التصعيد الطائفي

فضلا عن ما قد تم رسمه للمنطقة، فإنه أيضا يؤشر على الثورات العربية و بروز الكثير من الظواهر الجديدة على المجتمع العربي، أهمها: تراجع الانتماء الوطني الشامل لحساب الانتماءات الضيقة، و بروز أدوار لفاعلين من غير الدولة ونقصد المجموعات العرقية والاثنية، حتى أصبح دورها يفوق دور الدولة ويتجاوز حدودها للانطلاق اقليميا، بل في حالات يتعارض مع وجود الدولة¹⁴¹، وفي تقدير الباحث ان أحد أهم الأسباب في بروز هذه الظواهر، هو صعود الطائفية على المستوى الوطني و بروزها أولا، ومن ثم تحولها الى المستوى الإقليمي، ويرجع بروز الظاهرة الطائفية الى عدة أسباب نذكر منها¹⁴²:

١. تفكك الاندماج الوطني العراقي بعد احتلال العراق في العالم ٢٠٠٠، بسبب الدور التي أدته بعض الشخصيات على وتر الطائفية بحجة تهميش شيعية العراق منذ قيام الدولة العراقية الحديثة.
٢. الصراع والتنافس الإيراني- التركي في العراق وسوريا، في إطار تحولات الصراع الإقليمي لإيجاد كل منهما دورا إقليميا يحقق مصالحهما، في ظل ضعف النظام الإقليمي العربي وتراجعها.
٣. السطوة، والاستبداد لأغلب الانظمة العربية، ومن ثم الإقصاء على أساس الهوية والانتماء كانت عاملا مهما لتفجير حالة الجدل الطائفي.
٤. دور الاعلام وثورة المعلوماتية، إذ أسهمت القنوات الفضائية، ومواقع الانترنت الى حد كبير في إذكاء الفرقة والشحناء بين السنة والشيعية.
٥. يضاف الى ذلك انهيار سلطة الحكومات المركزية الجديدة وفشلها في بسط نفوذها على كل اقليم الدولة.

¹⁴⁰ د. محمد محجوب الزويري، فقه الضحية والمعضلة الشيعية في ظل الصحوة العربية، (تحولات استراتيجية)، ملحق مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، عدد يوليو ٢٠١٣، ص ٢٠.

¹⁴¹ مالك عوني، الاطار الجامع- هل يمكن للمدخل الاثني تفسير صراعات ما بعد الثورات العربية، تحولات استراتيجية، ملحق مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، عدد يوليو ٢٠١٣، ص ٣.

¹⁴² قارن مع نبيل عبد الفتاح، انتفاضة الاثنيات، أزمت الاندماج القومي ونزاعات الهويات بعد الثورات العربية، و د. محمد محجوب الزويري، مصدر سبق ذكره، تحولات استراتيجية، ملحق مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، عدد يوليو ٢٠١٣، ص ١٣، و ص ٢٠ على التوالي.

٢٢ : ظهور الطائفية في الأزمة السورية

يؤشر على أن الطائفية أو المذهبية الإقليمية في المنطقة العربية بدأت تطل برأسها بعد احتلال العراق، وكان مؤشرها ثلاث حالات، الأولى: الاقتتال والعزل والتهجير الطائفي في العراق، الثاني: التقارب الثلاثي بين إيران وسوريا وحزب الله، الذي نُظر إليه من الكثير من دول المنطقة على أنه صورة لتحالف طائفي، والثالثة: الموقف الإيراني المؤيد والداعم لأحداث البحرين في العالم ٢٠١١، والذي جُوبه بموقف خليجي مضاد وصل إلى حد المجابهة الكلامية بين الطرفين. وجاءت الأزمة السورية لتكمل وتصدّد من حدة الجدل الطائفي؛ بسبب صلابة الموقف الإيراني الداعم لنظام بشار الأسد عسكرياً عبر العراق، ومن ثم مشاركة حزب الله هو الآخر إلى جانب النظام، على وفق رؤية أن ما يحدث ليس ثورة وإنما لضرب خط المقاومة¹⁴³.

والسؤال كيف ظهرت الطائفية في الأزمة السورية؟ ولماذا؟.

على الرغم من وجود بوادر وبدايات الاصطفاف الطائفي كما أسلفنا، غير أن النظام السوري قد اعتمد على إستراتيجية بعد أن صوّر من نفسه بأنه ضماناً لأمن الأقليات العرقية والمذهبية وسلامتها، والتخفيف من خطر التيارات الإسلامية الجهادية على أنها خطر على دول المنطقة¹⁴⁴، فعلى سبيل المثال تم إبراز تنظيم (داعش) من النظام السوري على أنه تنظيم ارهابي يهدد المنطقة والمصالح الغربية فيها، في حين يرى أحمد أوغلو-وزير خارجية تركيا أن هناك شراكة خلف الكواليس بين نظام الأسد وهذا التنظيم¹⁴⁵، ويعتقد الباحث أن المخابرات الروسية لم تكن بعيدة عن ذلك، وأن ثمة مؤشرات على صحة ما ذهب إليه الوزير التركي، منها: أن النظام السوري يريد كسب الشارع الشيعي في المنطقة على خلفية أقلية العلويين في سوريا؛ لذلك هو يريد ان يحدد اصطفافات طائفية، وتخويف الدول الكبرى من أن هذا التنظيم يشكل خطراً على مصالحها في حالة عدم القضاء عليه؛ لذلك تراجعت مواقف الدول الغربية كثيراً بعد أن كانت الضربة العسكرية قاب قوسين أو أدنى، والتحول إلى الحلول السياسية والتفاوض في جنيف^٢، يضاف إلى كل ذلك أن أيمن الظواهري-زعيم تنظيم القاعدة قد طلب من أمير دولة العراق الإسلامية أبي بكر البغدادي رفض الاتحاد مع دولة الشام على اعتبار أن جيش النصرة هم من يمثل تنظيم القاعدة في الشام، غير أن الأخير رفض ذلك، وأصبحت (داعش) تقاتل المعارضة في سوريا، وتقاتل المعارضين للحكومة العراقية في الأنبار. ثم انه مجرد وجود مقاتلين "أجانب" غير سوريين لمساندة النظام، ونقصه به حزب الله اللبناني، ومقاتلين من الحرس الثوري الإيراني، ومقاتلين من بعض الميليشيات العراقية ضد الثوار وأغلبية الشعب السوري، يكفي أن يعطي للصراع في سوريا بعداً طائفيًا إقليميًا. وبالمقابل هناك مجموعات من الحراك السوري المعارضة انتهجت المنطق الطائفي كردة فعل معاكسة في مواجهتها للنظام، لكسب تأييد قوى إقليمية مثل دول الخليج وتركيا، وعليه يرى الكثير من الباحثين والمتابعين بل حتى المواطنين العاديين أن هناك استقطاباً طائفيًا إقليميًا شيعيًا-سنيًا قطباه إيران والسعودية يعبر عنه في جانب منه الصراع الطائفي في العراق وسوريا ولبنان؛ إذ تعمل إيران على الظهور على أنها حامية الشيعة في المنطقة والمدافع عنهم، وإزاء هذا الموقف تبرز ردة فعل معاكسة من بعض الدول العربية ومعها تركيا¹⁴⁶. وعليه لا

¹⁴³. قارن مع د. محمد محبوب الزويري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

¹⁴⁴. فرانسوا بوجات، عرض كتاب الربيع لم يزهر في سوريا، (مجموعة باحثين)، صحيفة أخبار الخليج البحرانية، العدد ١٣٠٧٦ في ١٣ يناير

٢٠١٤.

¹⁴⁵. صحيفة القدس العربي، ٢٠١٤/١/٩.

¹⁴⁶. د. فالح عبدالجبار، في المشكلة الطائفية، ج ٢.

يمكن بأي حال التخفيف من دور الطائفية في إذكاء الصراع في المنطقة بأسرها؛ بسبب الاصطفاف الاقليمي على هذا الأساس، الذي أدى بالمنطقة الى أن تقترب أكثر فأكثر من استقطاب طائفي حاد.

٣-٢: الاصطفاف الطائفي في الأزمة

سنحاول هنا تأشير مواقف الدول التي دخلت في اللعبة الطائفية الاقليمية، أو التي ربما أجبرت على ذلك، من خلال محوري التأييد والتعارض للنظام السوري:

١-٣-٢: المحور المؤيد للنظام السوري

مما لا شك فيهن الأزمات السورية رسمت اصطفافات اقليمية أخذت تتضح ملامحها بمرور الزمن لتكشف لاحقا عن تناقضات اقليمية بين الاطراف المؤيدة للنظام السوري، وتلك المعارضة له، وسنحاول هنا كشف هذين المحورين وابرار التناقض بينهما وأسبابه.

١-١-٣-٢: ايران

المتبع للموقف الايراني من الثورة السورية يلاحظ وقوفا تاما لايران الى جانب النظام السوري اخذ بالتصاعد منذ الايام الاولى للثورة عبّر عنه الكثير من المسؤولين الايرانيين بدءاً من سفيرها في دمشق احمد موسوي وصولاً الى المرشد الاعلى علي خامنئي؛ إذ أجمعت هذه التصريحات، وكذلك مقالات الصحف الايرانية الرسمية علناً ما يحدث في سوريا ليست ثورة وانما هي مخطط فتنة تقف وراءها الولايات المتحدة واسرائيل، وبدعم سعودي-قطري، بواسطة قناة الجزيرة، وان هناك جماعات سنية وأحزاب إقليمية بخاصة تيار المستقبل بقيادة سعد الحريري يدعمون حالة عدم الاستقرار في سوريا¹⁴⁷. إن الوقوف العلني والصرح لايران الى جانب النظام السوري كان سببا رئيسا في إضفاء البعد الطائفي على الأزمة السورية بالاستناد الى حقيقتين:

الاولى: أن النظام السياسي في ايران، هو النظام الديني الشيعي الاثني عشري الوحيد في الشرق الاوسط والعالم، الذي يخضع لولاية الفقيه، وهو بذلك يعد نفسه المدافع عن شيعة العالم، أو يتظاهر بذلك.

الثانية: لا ننسى ان ايران دولة اقليمية كبيرة في المنطقة وقد دفعها غياب العراق بعد عام ٢٠٠٣ للعمل على احياء تطلعاتها الاقليمية السابقة الخاصة بتصدير الثورة، فبعد ان نجحت في العراق وفي لبنان، فانها وجدت في دعمها للنظام السوري فرصة مواتية لتحقيق اغراضها، وإثبات مكانتها الاقليمية من جهة، وبما يساعدها على تخفيف الضغوط الدولية عليها بسبب برنامجها النووي من جهة ثانية.

من هنا يمكن أن نؤشر الاعتبارات التي حكمت علاقة التحالف الايرانية بالنظام السوري¹⁴⁸:

١. إن وقوف إيران للنظام السوري ودعمه هو نوع واضح من الاصطفاف الطائفي.

<http://arabic.iraqicp.com/index.php/2013-03-22-11-04-13/2013-03-16-08-27-39/5438-2013-09-23-20-15-42>

¹⁴⁷ . للمزيد ينظر: علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الايرانية-التركية: المأزق الحالي والسيناريوهات المتوقعة، المركز العربي للابحاث

ودراسة السياسات، الدوحة، سلسلة تقييم حالة، كانون الثاني ٢٠١٢. www.dohainstitute.org

¹⁴⁸ . أشواق عباس ، العلاقات السورية-الايرانية، الحوار المتمدن، العدد ٢٤٣٩، ١٩/٧/٢٠٠٩.

٢. تُعد سوريا مدخلا مهما لإيران في المنطقة العربية، حتى ان هناك من يعد سوريا فاعلا اقليميا تابعا لسياسات ايران الهادفة تحقيق اجندات اقليمية، ونذكر هنا الدور السوري الكبير في ايصال الحرس الثوري الايراني الى لبنان لدعم حزب الله.

٣. اشتراكهما في الاستهداف الأمريكي.

٤. لقد عزز ما جاء أنفا عرى العلاقة بين الطرفين، ولتجد سوريا في إيران حليفا استراتيجيا غالبا، بخاصة في الوقت الحاضر، ومن جانبها فمن الطبيعي لايران ان تقف هذا الموقف الى جانب حليفها.

٥. هناك تشابه بين قمع الانتفاضة الايرانية (الثورة الخضراء)، وما يحدث في سوريا، وجل ما تخشاه ايران من فشل النظام السوري وانتصار المعارضة، وهو ماسمهدد انتقال الحالة الى الداخل الايراني، بخاصة أن قادة الانتفاضة الايرانية قد عبروا عن دعمهم للثورة السورية، وطالبوا النظام الايراني بوقف دعم النظام السوري¹⁴⁹.

لقد كان النظام الإيراني منذ اندلاع الشرارة الأولى للثورة السورية قلقا على مستقبل حليفه النظام السوري؛ لأن انهيار هذا التحالف سيؤثر سلبا في الدور الإيراني الإقليمي، وربما سيقضي عليه تماما، فكانت تصريحات حسين طائب- رئيس دائرة استخبارات الحرس الثوري الإيراني واضحة من أن بلاده مسؤولة عن دعم حكومة الرئيس بشار الأسد، وعدم السماح بكسر ما أسماه " خط المقاومة"¹⁵⁰، من هنا يمكن أن نفهم حجم الخوف الايراني من سقوط حليفه، الامر الذي يعني ضياع عقود من الزمن من الاستثمار السياسي والطائفي والايديولوجي، فضلا عن انهاء التواجد الايراني في بنية منطقة النفوذ الايراني في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين¹⁵¹؛ لذلك كان الدعم الايراني واضحا للنظام السوري اعلاميا؛ إذ سخرت ايران اعلامها لنصرة النظام السوري، وتشويه صورة المعارضة وربطها باطراف خارجية تارة، واتهامها بالطائفية تارة اخرى، ليصل الامر الى الدعم العسكري المباشر للنظام، وهو ما عبّرت عنه الكثير من وسائل الإعلام العربية والأجنبية عن وجود مقاتلين من الحرس الثوري الإيراني في سوريا، مما يؤكد أن استمرار طهران في دعم النظام السوري لا حدود له باعتباره حليفا لا بديل عنه ضمن المشروع الإيراني الإقليمي¹⁵². ويكفي هنا ان نشير الى ما تناقلته تقارير الامم المتحدة من أن ايران قد خرقت الحظر المفروض عليها، وارسلت العديد من الشحنات العسكرية الى سوريا، وان قسما منها تم اعتراضها، ووقفها السلطات التركية.

ويرى الباحث أن الازمة السورية بالنسبة لايران تحولت الى صراع اقليمي بينها وبين المناوئين لسياستها وتطلعاتها، وقد اعتمدت ايران في ادارة هذا الصراع على جملة من العوامل¹⁵³:

١. سيطرة حلفائها على السلطة في منطقة الهلال، العراق ، وسوريا، وقوة نفوذ حزب الله في لبنان. التي أطلق عليها حسن نصرالله (صحوة الشيعة) التي استغلتها ايران لتحويلها الى تمديد ايراني في الفراغ الاستراتيجي العربي¹⁵⁴.

¹⁴⁹. علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الايرانية- التركية، مصدر سبق ذكره.

¹⁵⁰. أكدتها الافلام التي بثتها المعارضة السورية على مواقع الانترنت من خلال القبض على مقاتلين ايرانيين والتحقيق معهم . إيران تشعل الورقة الطائفية بسوريا لإنقاذ حليف لا بديل له. <http://www.egynews.net/wps/portal/reports?params=189347>

¹⁵¹. علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الايرانية- التركية، مصدر سبق ذكره.

¹⁵². إيران تشعل الورقة الطائفية بسوريا ، مصدر سبق ذكره.

¹⁵³. ايران والازمة السورية.. القنبلة والدور والحرب الاقليمية الطائفية، مركز الشام للبحوث والدراسات، ٢٠١٣/٣/٩، ص ١١.

¹⁵⁴. محمد بن مختار الشنقيطي، الثورة السورية والبنية الاقليمية الشيعية .

٢. إمكانية إيران في زعزعة الاستقرار في دول الخليج العربي.
٣. علاقات إيران الجيدة مع طرفين دوليين يمكن الاعتماد عليهما، روسيا والصين.
٤. قدرة إيران على تهديد الأمن الإسرائيلي من خلال ما تملكه من قوة صاروخية كبيرة.
٥. قدرة إيران على التلاعب بمسار ملفها النووي. ونذكر هنا تصريح وزير الخارجية الإيراني استعداد بلاده للمشاركة في محاربة الإرهاب مقابل تقديم تنازلات غربية لإيران في ملفها النووي.

لذلك ركز النظام الإيراني في استراتيجيته تجاه سوريا باتجاهين، الأول: صمود النظام السوري، وعدم استنزافه من خلال تقديم الدعم له بكافة أنواعه، والثاني: خلق وإحداث نوع من التهديد الاقليمي، وبما يجعل القوى الكبرى تعيد حساباتها تجاه النظام السوري¹⁵⁵، فكان الحديث بأن (داعش) كتهديد اقليمي ربما كان صنيعة إيرانية، احسنت إيران ابرازه على الساحة متزامناً مع التهديدات الأمريكية بالضربة العسكرية لسوريا، وقد نجح في تراجع الولايات المتحدة والغرب من توجيه الضربة العسكرية في حينها، وساعد هذا كثيراً روسيا في ادارتها للازمة.

٢٠١٣: العراق

ان الاصطفاف الطائفي الشيعي-السني في العراق كان حاضراً وبشكل واضح، فالحكومة العراقية التي طالما اشتكت من تقديم نظام الأسد التسهيلات للقاعدة تقف اليوم موقفاً اقرب ما يوصف على انه طائفي مع النظام السوري، وعلى الرغم من محاولة الحكومة العراقية أن تنأى بعيداً عن البعد الطائفي في موقفها الرسمي، غير أننا سنحاول تناول الموضوع بأكاديمية وحيادية تامين، ونترك للمؤشرات هي التي تحكم في ذلك، من خلال تناول الموضوع من زاويتين الأولى: تصريح المسؤولين العراقيين، والثانية: الموقف الشعبي .

ففي الموقف الرسمي وشبه الرسمي على ما يبدو أن هناك تخوفاً عراقياً من أي تغيير يحدث في سوريا، بدليل التغيير الذي حدث في السياسة العراقية تجاه سوريا، وأن هناك بعض التصريحات لمسؤولين عراقيين يفهم في جانب من جوانبها أنها تنطلق من بعد طائفي على أساس أن نظام الأسد هو نظام علوي، ولو أنها غُلفت بوجهٍ آخر، وهو الخوف من أن وصول إسلاميين متشددين الى السلطة في سوريا سيؤدي الى إرسال الإرهابيين الى العراق وعلى وفق الصورة التي تم التطرق إليها آنفاً، فعلى سبيل المثال، وفي مقابلة تلفازية أجرتها قناة الشرقية مع عدنان الأسدي-وكيل وزارة الداخلية يذكر أن سقوط نظام الأسد يعني أن السلفيين سيكونون على أبواب بغداد وكرلاء¹⁵⁶، ومن جانبه أقر وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري، في مؤتمر صحفي في استوكهولم في ١٣ حزيران ٢٠١١ بوجود "مقاتلين عراقيين" في سوريا، يقاتلون مع مقاتلين من حزب الله اللبناني إلى جانب قوات الاسد¹⁵⁷، وأكد ذلك مرة أخرى في المؤتمر الصحفي الذي عقده مع نظيره الأمريكي جون كيري خلال زيارته لواشنطن بتاريخ ١٥/٢٠/٢٠١٥¹⁵⁸، علماً ان الولايات المتحدة اتهمت الحكومة العراقية غير مرة بأنها تسمح لايران من

<http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/4e1ae204-3ec5-478e-9595-80187b0ec45d>

¹⁵⁵. إيران والازمة السورية.. القنبلة والدور ، مصدر سبق ذكره، ص٣.

¹⁵⁶. قناة الشرقية الفضائية، ٢٠١٢/١/١٧.

¹⁵⁷. زيباري: مقاتلون عراقيون في سوريا.

<http://www.skynewsarabia.com/web/tag?s=%D8%AD%D8%B2%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87%20%D9%81%D9%8A%20%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7>

¹⁵⁸. الوكالات، ٢٠١٣/٨/١٥.

استخدام أراضها لدعم النظام السوري، وان هناك تقارير أكدت تواجد مليشيات عراقية، منها: لواء (أبو فضل العباس) موجود في سوريا¹⁵⁹، ومن جانبه أكد وزير الخارجية الأمريكي في مؤتمره الصحفي مع نظيره العراقي ضرورة منع إيران وحزب الله اللبناني من تجنيد الشباب العراقي لجهنم في حروب خارجية في إشارة الى سوريا، وضرورة أن لا يكون العراق جسرا لعبور الأسلحة الى سوريا.

أما فيما يتعلق بالموقف الشعبي والإعلامي فيبدو أنه انقسم باتجاهين نتيجة الانقسام والاصطفاف الطائفي داخل العراق:

الاتجاه الأول: الاتجاه السني، وهو مؤيد للانتفاضة السورية والثوار والجيش الحر، ويمكن ملاحظة هذا الموقف من على منابر خطب الجمعة، وأن بعض الحركات السياسية. مثل: (حركة العدل والإصلاح السياسي)، وعلى لسان أمينها العام عبدالله الحميدي الباور دعا الى ضرورة تقديم الدعم الثورة السورية إعلاميا¹⁶⁰، وقام شباب الثورة العراقية الكبرى (تجمع عراقيون) بتوجيه رسالة دعم وإسناد الى شباب الثورة السورية في ٢٢/٨/٢٠١١¹⁶¹، وكان الموقف الكردي العراقي أيضا متطابقا مع هذا الاتجاه؛ إذ أعلنت بعض الشخصيات الكردية المثقفة ضرورة ان تراعي الحكومة العراقية مشاعر الشعب السوري المنتفض، وأن يكون موقفها حكيما من الانتفاضة، وعلما أن لا تراهن على نظام في طريقه الى السقوط¹⁶²، وذكرت مصادر المعارضة السورية ان السيد مسعود البارزاني - رئيس إقليم كردستان وخلال زيارته لقطر تعهد لرئيس وزرائها حمد بن جاسم بإقامة معسكرين في شمال العراق، احدهما: لتدريب المعارضة السورية، والثاني: لإيواء النازحين¹⁶³. ونعتقد أن الموقف (السني) المؤيد للثورة السورية جاء نتيجة استهداف الحكومة السورية للمناطق السنية داخل سوريا، وكذلك تأييدا للموقف التركي الداعي الى خلع نظام بشار الأسد الذي يُعد حليفا قويا لايران في المنطقة، لكن الأقوى في هذه المواقف هو موقف تنظيم القاعدة المناصر للثورة السورية؛ إذ يقدر عدد عناصر تنظيم القاعدة والمقاتلين الأجانب الذين قدموا الى سوريا (10000) عنصر تدفقوا للقتال ضد النظام السوري من العراق ولبنان واليمن وليبيا وتونس ودول الخليج العربي وغيرها من الدول العربية والأجنبية، وصدرت العديد من البيانات من قيادات (دولة العراق الإسلامية) تدعو للجهاد في سوريا، والتي نشرت في عدة مواقع على شبكة الانترنت، كما أعلن زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري في الثالث عشر من شهر شباط ٢٠١١ الجهاد ضد نظام بشار الأسد ودعم الشعب السوري¹⁶⁴، ولا يستبعد ان هؤلاء المقاتلين سيدخلون العراق على وفق مشروع طائفي بخاصة أن هناك ظروفًا مواتية لهم، منها انسحاب القوات الأمريكية، والإحساس لدى سنة العراق أن النظام في العراق مؤسس على وفق قاعدة المحاصصة الطائفية، فضلا عن أن الحاضنة السنية عانت الكثير من التصرفات الطائفية للقوات الأمنية الحكومية¹⁶⁵، ومقابل هذا الاتجاه كان الاتجاه الثاني المضاد.

¹⁵⁹. احمد عبد الحافظ فواز، الفائز الأكبر، التحدي الكردي للهياكل الإقليمية بعد الربيع العربي، تحولات استراتيجية، ملحق مجلة السياسة الدولية،

مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد ١٩٣، يوليو ٢٠١٣، ص ٣٤

¹⁶⁰. عبدالله الحميدي الباور، مسيرة الثورة، محطة العربية الفضائية، ٢٠١١/٨/١٣.

¹⁶¹. إذاعة صوت العراق الحر، ٢٠١١/٨/٢٢.

¹⁶². آزاد كرم، العرب والعالم، صحيفة المدى، العدد ٢٣٧١، ٢٠١١/٩/١٩.

¹⁶³. البرزاني يتعهد لقطر انشاء معسكرين للمعارضة السورية http://www.iraqipedia.net/?page_id=248.

¹⁶⁴. د. وليد الراوي، تغيير النظام في سوريا وأثره على العراق، ٢٠١٢/١٢/١٢-٢٠١٢-٢٠١٢ <http://www.algardenia.com/maqalat/2036>.

[2012-12-12-10-08-34.html](http://www.algardenia.com/maqalat/2036)

¹⁶⁵. نفس المصدر.

الاتجاه الثاني: الموقف (الشيعي)، القريب من موقف الحكومة، والداعي الى عدم إسقاط نظام بشار الأسد للأسباب التي سقناها سابقا، ونذكر هنا الرسالة التي وجهها السيد مقتدى الصدر-زعيم التيار الصدري الى الشعب السوري، ودعا فيها الإبقاء على نظام الأسد ؛ لأنه نظام يعارض الوجود الأمريكي والإسرائيلي¹⁶⁶، في حين يرى الدكتور حميد فاضل-الأستاذ في كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد في تصريح له لوكالة فرانس بريس أن العراق انقسم طائفيا حول الأزمة السورية مؤكدا أن الشيعة في العراق يؤيدون الرئيس الأسد انطلاقا من العامل الديني؛ ولأنهم أيضا يسيطرون على السلطة في العراق¹⁶⁷. لكن بالمقابل يرى آخرون أن الإعلام الخليجي لم يكن دقيقا بوصفه ان شيعة العراق يدعمون النظام السوري؛ إذ ليس هناك من أدلة تؤكد ذلك الدعم غير أن النظام السوري تربطه بالجمهورية الإسلامية في إيران علاقات تاريخية تعود إلى أكثر من ثلاثة عقود، والدليل الآخر هو أن الحكومة العراقية الحالية لا تمتلك موقفا مؤيدا للجيش الحر وحلفائه الذين يسعون إلى إسقاط النظام السوري بقوة السلاح بعيدا عن طاولة التفاوض¹⁶⁸. ويرى السيد حاكم الزامل العضو البارز في التيار الصدري أن أي تطور سلبي على صعيد ما يجري في سوريا ولاسيما التصعيد الطائفي يمكن أن يجعل من العراق مسرحا لاقتتال طائفي أيضا، مع وجود مد سلفي تكفييري، وان المعلومات تشير الى النية لاقتطاع جزء من العراق وجزء من سوريا لإقامة إمارة إسلامية¹⁶⁹.

ويمكن فهم الموقف العراقي الرسمي من الثورة السورية انطلاقا من المستويين الدولي، والمحلي، فبالنسبة **للأول:** عدم وجود موقف دولي متطابق اتجاه الأزمة السورية، وبسبب قوة الموقف الروسي، هذا اعطى نوعاً من الحرية للحكومة العراقية في اتخاذ موقف قريب من الموقف الإيراني في الوقوف الى جانب النظام السوري، أما المستوى **الثاني:** التخوف العراقي من نجاح الثورة السورية، أو سيطرة المعارضة السورية على المناطق الحدودية، وزيادة تهديد الجماعات المسلحة على الامن العراقي¹⁷⁰.

٣-١-٣-٢: ضغوط إيرانية على الحكومة العراقية

لقد عملت الحكومة الإيرانية بشتى الطرق لدعم النظام السوري، وكان من بين أهمها تغيير موقف الحكومة العراقية، بل إدارة دفتها باتجاه مساندة النظام السوري¹⁷¹، وإلا كيف يمكن تفسير التغيير المفاجئ في موقف الحكومة العراقية من مطالب بتفعيل البند السابع ضد النظام في سوريا؛ بسبب دعمها للإرهاب داخل العراق الى موقف مؤيد وداعم له لولا وجود التأثير الإيراني؛ إذ لم يعد خافيا من أن ثمة نفوذا إيرانيا حاسما أصبح موجودا داخل العراق، بخاصة بعد الانسحاب الأمريكي نهاية عام ٢٠١١؛ إذ دخلت إيران بثقل أكبر من السابق لملء الفراغ الذي تركه ذلك الانسحاب، وأصبح التأثير الإيراني كبيرا ومؤثرا ليس فقط على صانع القرار العراقي لاتخاذ مواقف قريبة من المواقف الإيرانية فحسب، وإنما حتى في

44. www.dw.world.de/dw/article.d.1554138400htm.

¹⁶⁷. الاعتبارات الطائفية تحكم موقف العراق من أحداث سوريا. www.levautnews.com/index.php?option=com_201112011

¹⁶⁸. الاعلام الطائفي الخليجي يتعمد حشر شيعة العراق في الصراع السوري، مركز العراق الجديد للاعلام والدراسات على شبكة

الانترنت، ٢٠١٣/٧/٣١. <http://thenewiraq.com/?p=2982>.

¹⁶⁹. انفصام عراقي تجاه سوريا.. تناقض المواقف وتداخل الخنادق مع اقتراب القمة العربية، صحيفة الشرق الأوسط الدولية، العدد ١٢١٤٨، ٢٠١٢/٣/٢.

¹⁷⁰. نيروز ساتيك، خالد وليد محمود، الازمة السورية، قراءات في موقف الدول العربية المجاورة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، سبتمبر ٢٠١٣، ص ص ١٨-١٩.

¹⁷¹. ديفيد بولوك، إيران لإنقاذ دمشق، صحيفة الشرق الأوسط، الطبعة الدولية، لندن، العدد ١٢٤١٠، ١٠/١٠/٢٠١١.

تشكيل الحكومة العراقية، أفضى في النهاية الى تطابق كبير مع الموقف الإيراني تجاه نظام الأسد¹⁷²، وتحاول إيران من خلال العراق أن تكون مؤثرة في القرارات العربية تجاه سوريا، بخاصة قرار تجميد عضويتها في الجامعة العربية، ويؤكد الدكتور محمود عثمان-عضو التحالف الكردستاني في البرلمان العراقي أن الضغوط الإيرانية منعت العراق من التصويت مع الإجماع العربي الخاص بتجميد عضوية سوريا في الجامعة العربية¹⁷³. أضف الى ذلك لم تلق المبادرة العراقية الأخيرة بشأن حل الأزمة السورية تأييدا ومساندة قوية إلا من الحكومة الإيرانية. ومن جهة أخرى رأت دوائر رسمية وشعبية أن إيران اتفقت مع العراق على دعم نظام الأسد ماديا وعسكريا من خلال العراق، وذكرت بعض المصادر أنهما اتفقا على تجهيز سوريا بـ (١٥) ألف برميل من النفط يوميا¹⁷⁴، تؤكدها اتهامات أمريكية وغربية، وعربية حول عبور المقاتلين والمعدات العسكرية الإيرانية الى سوريا عبر العراق؛ لذلك كثرت المطالبات الدولية بضرورة تفتيش الطائرات الإيرانية المارة عبر الأجواء العراقية، لكن بالمقابل هناك من يرى أن التبدل في الموقف العراقي هو من حق الحكومة العراقية بأن يكون لها موقف حاسم فيما تراه من أن الخطر يدهم العراق من المجاميع الإرهابية فيما لو سقط نظام الأسد سواء كان هناك تأثير إيراني يمارس ضدها أم بدونه.

٢٣٢: المحور المؤيد للمعارضة السورية

١٢٣٢: المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي

لايختلف اثنان على أن أصل الموقف السعودي والخليجي من الازمة السورية كان في البداية قد أثر فيه الجانب الانساني الى حد كبير؛ بسبب القساوة التي استخدمها النظام السوري ضد الشعب السوري الذي وصل إلى حد استخدام براميل المتفجرات والاسلحة الكيماوية، ولكن بمرور الزمن تداخلت في هذا الموقف عوامل كثيرة كان في مقدمتها الجانب الطائفي، على خلفية الموقف الإيراني وإصراره في الوقوف الى جانب نظام الأسد في سياسته التي اتبعها لقمع الانتفاضة.

وربما هناك شبه اجماع بين الباحثين العرب من أن دول الخليج العربي تخشى تمدد النفوذ الإيراني، وعملت على الوقوف بوجه أي تقارب لايران مع دول المنطقة، وهذا ما حصل في التقارب العراقي-الإيراني، وبشكل أكبر في التقارب الإيراني-السوري؛ إذ إن بروز النفوذ الإيراني علناً في الازمة السورية جلب الانتباه لدى صانع القرار الخليجي، بخاصة السعودي من أن ايران تعمل على التمسك بسوريا ضمن خط المحور التحالفي الممتد من طهران-بغداد-دمشق-بيروت، أو الذي يطلق عليه (بـ الهلال الشيعي)¹⁷⁵، وبذلك أصبحت سوريا بمثابة ساحة صراع مكشوف بين النفوذ الإيراني، والخليجي-السعودي، بخاصة أن النظام السوري نجح في جعل الانتفاضة تأخذ بعدا طائفيا كشف عنه الدعم العسكري الإيراني¹⁷⁶، حينما بدأ

¹⁷² قارن مع إيمان رجب، تحديات جسيمة : مستقبل النفوذ الإيراني في العراق بعد الانسحاب الأمريكي، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام على شبكة الانترنت. www.siyassa.org.eg

¹⁷³ محمود عثمان، الضغوط الإيرانية منعت العراق من التصويت مع القرار العربي الخاص بسوريا، مجلة الرافيدين، بلا، انظر في شبكة الانترنت.

www.Irakna.com/index.php%2710%2011

¹⁷⁴ احمد طاهر، العراق أداة للسياسة الإيرانية في المنطقة: البحرين وسوريا أنموذجا، صحيفة المشهد، القاهرة، العدد ١٢٠٠٦، ١٥/٩/٢٠١١.

¹⁷⁵ قارن مع صافيناز محمد أحمد، سوريا والسعودية في لبنان والعراق، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد ١٨٣، يناير،

٢٠١١، ص ١٣٣-١٣٤، ود. خالد الحروب، حسابات حذرة، محددات الدعم الخليجي للتغيير في سوريا، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة

الأهرام، القاهرة، العدد ١٩٢، أبريل ٢٠١٣، ص ٩٠.

¹⁷⁶ ينظر د. ميشيل كيلو، رهانات صعبة: حسابات موسكو تجاه الصراع في سوريا، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد ١٩٩٥،

يناير، ٢٠١٤، ص ١٠١.

الموقف السعودي والخليجي من جانبه يأخذ البعد نفسه متمثلاً بصراع شيعي-سني¹⁷⁷، من هنا يمكن فهم الموقف الخليجي بعامة من النظام السوري في مؤتمرات القمم العربية في محاولة لعزله واضعافه، وكذلك الموقف السعودي في مؤتمر جنيف، وعلى الرغم من قوة الموقفين السياسي والاعلامي الخليجي الى جانب المعارضة السورية، غير أن الدعم العسكري، والى حد ما الدعم المالي كانا برأينا على عكس ذلك ضعيفا؛ إذ لم يحصل تغيير في ميزان القوى على الأرض، ولم يرق في مقارنة بسيطة الى الدعم المقدم للنظام من ايران وحزب الله والمليشيات العراقية¹⁷⁸. خلاصة القول إن السعودية ومن ورائها دول الخليج لا تريد لسوريا أن تكون عراقاً ثانياً، ومرتعاً للنفوذ الإيراني؛ لذلك تحاول قطع الطريق أمام ايران من اتمام استدارة الهلال الشيعي في سوريا وعدم ايصاله الى لبنان؛ لأن في ذلك تهديد كبير على دول الخليج بسبب وجود الشيعة فيها، وان السماح لايران بحرية العمل ومد النفوذ في سوريا انما يعني وصول الهلال الى السعودية ودول الخليج وتحوله الى قمر يبدأ بايران وينتهي بايران، ونقصد (ايران-العراق-سوريا-السعودية-دول الخليج-ايران).

٢٠١٤ : تركيا

منذ وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة في تركيا أخذت السياسة الخارجية التركية تشهد تحولات هيكلية مهمة في توجهها نحو الدول العربية والإسلامية بخاصة القريبة منها¹⁷⁹، وفي خضم ثورات الربيع العربي كان لتركيا ومسؤوليها تواجد مهم، وهنا لابد من الإشارة للجولة التي قام بها طيب رجب اوردغان الى مصر وليبيا وتونس عقب الثورات التي حصلت فيها، غير أن الأهم في الموقف التركي هو ما حصل ويحصل في الموقف من الثورة السورية، فكانت في بداية الدعوات التركية حذرة في دعوة الأسد لاجراء الاصلاحات، وزيارة وزير خارجيتها احمد داوود أوغلو لدمشق لم تستجب للجانب التركي الذي أخذ بتصعيد التصريحات¹⁸⁰، ومن ثم التشدد بالوقوف الى جانب المعارضة ودعمها لاحقا، وبتقديرنا ان تركيا رأت ان انتصار النظام السوري على الثورة فإن تركيا ستكون خاسرا كبيرا في اطار التنافس الايراني-التركي الاقليمي، وعلى الرغم من ان تركيا لم تتناول هذا الموضوع بنظرة طائفية اقليمية، غير أن الباحث يرى ان من بين أهم الأسباب التي جعلت تركيا تستمر بموقفها المناوئ للنظام السوري هو مشاركة بقية الاطراف العربية المخاوف من هذه الطائفية، بخاصة مع تصاعد وتيرة العنف العسكري ضد المدن السورية واستخدام الاسلحة الكيماوية، فضلا عن مشاركة وحدات من الحرس الثوري الايراني، وحزب الله اللبناني، ومليشيات عراقية شيعية في القتال مع الجيش السوري ضد المعارضة المحسوبة على السنة، وعليه يرى بعض الباحثين العرب ان الحضور التركي في الازمة يزيد من حدة الجدل الطائفي وينقله الى حالة العداء¹⁸¹؛ ولأن سوريا لديها أطول الحدود مع تركيا؛ إذ تقدر بـ (٩٠ كم)، وبسبب التداخل الاجتماعي والعرقى وحتى الطائفي، فإن تركيا قد تأثرت كثيرا من تداعيات تصاعد الازمة باتجاهين، **الأول**: توفير ملاذ آمن للاجئين السوريين الذين فروا من جحيم المعارك التي دارت في مدنها. **والثاني**: تصاعد حدة الخلافات التركية-السورية بعد المطالبات التركية الرسمية من النظام السوري بضرورة اجراء الاصلاحات السياسية، وعدم استخدام القوة ضد المدن السورية، وبسبب الرفض السوري، واتهام نظامه

¹⁷⁷. نبيل عبد الفتاح، انتفاضة الاثنيات، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

¹⁷⁸. قارن مع فرانسوا بوجات، عرض كتاب الربيع لم يزه في سوريا، (مجموعة باحثين)، صحيفة أخبار الخليج البحرانية، العدد ١٣٠٧٦ في ازيانير ٢٠١٤.

¹⁷⁹. للمزيد: ينظر د.خالد عبد العظيم، العثمانية الجديدة: تحولات السياسة الخارجية التركية في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مركز الاهرام، العدد ١٨٧، يناير ٢٠١٢، ص ص ٢٢-٢٣.

¹⁸⁰. نفس المصدر، ص ٢٧.

¹⁸¹. د. محمد محجوب الزويري، فقه الضحية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

لتركيا بأنها تدعم المعارضة، دفع الحكومة التركية للوقوف علنا مع المعارضة السورية؛ إذ عملت على إيواء اللاجئين، واستضافة عدد من المؤتمرات لتوحيد المعارضة، فضلا عن اتخاذ العديد من الاجراءات الاقتصادية في اطار العقوبات الدولية التي فرضت على النظام السوري بخاصة فيما يتعلق بتمويل آلتة العسكرية¹⁸². وعليه راهنت السياسة التركية على أن سقوط نظام بشار الأسد أمر واقع، وأنه مجرد وقت ليس إلا؛ لذلك دعمت المعارضة خلال الفترة السابقة بقوة اقليمية ودوليا¹⁸³. وتطورات الازمة لاحقا بخاصة في عام ٢٠١١، وعدم اتخاذ موقف دولي موحد ضد النظام السوري عمق التحديات بوجه السياسة التركية إزاء الازمة، وتزامنت مع تطورات دولية واقليمية منها¹⁸⁴:

١. التوافق الروسي-الامريكي على حل الازمة سياسيا، بعد الاتفاق على ازالة الاسلحة الكيماوية السورية.
٢. سقوط مرسي الذي يُعد حليفا قويا لتركيا، وبذلك تعرض المشروع الاقليمي التركي في اطار التعاون التركي-المصري تجاه المنطقة العربية الى انتكاسة كبيرة.
٣. التقارب الامريكي-الايرواني بشأن الملف النووي الايرواني.
٤. اعلان الاكراد عن ادارة ذاتية في المناطق المحاذية للحدود التركية، والحديث عن اقامة اقليم كردي على غرار اقليم كردستان العراق.
٥. ظهور تنظيم داعش بوصفه تنظيمًا عابراً للحدود.

هذه المتغيرات برأي الباحث عرقلت من حركة السياسة التركية ازاء الازمة وأبطأت من وتيرة الاندفاع التركي في دعم المعارضة كما كان في السابق، مع استمرار النظام بالحكم واستمراره باستخدام القوة ضد المعارضة، وضد المدن السورية، وارتكاب العديد من المجازر ضد المدنيين من دون أي تدخل دولي يذكر سوى الإدانة.

٤٢: الملف الكردي في الأزمة السورية

تشير الإحصائيات المتوافرة لغاية عام ٢٠٠٢ إلى أن عدد نفوس الأكراد في سوريا يبلغ ما يقارب المليونين، وهو ما يشكل ما نسبته ٩٨% من إجمالي سكان سوريا، ويعيش الغالبية منهم في مناطق شمال شرق البلاد في مدينتي الحسكة والقامشلي التابعة لمحافظة الحسكة¹⁸⁵، القريبة من العراق وتركيا.

حاول النظام السوري مع اندلاع الثورة السورية استرضاء الأكراد لمنع انخراطهم في الانتفاضة؛ إذ أعلن الرئيس بشار الأسد في خطابه في ٤ نيسان ٢٠١١ عن تشكيل لجنة لدراسة تنفيذ توصية بحل مشكلة إحصاء عام ١٩٦٦ الاستثنائي، وبعد أربعة أيام أصدر مرسوماً بمنح الجنسية السورية للمقيدين في سجلات الأجانب في محافظة الحسكة، وحلت بهذا مشكلة إحصاء عام ١٩٦٢، وأصدر "الأسد" قانوناً لتسهيل عمليات إجراء التداول والملكية العقارية في المحافظات الحدودية السورية، بعد أن كان قد جردهم من الملكية العقارية عقب أحداث القامشلي في عام ٢٠٠٢، وسمح النظام ولأول مرة منذ عقود للأكراد بالاحتفال

¹⁸² . ينظر: علي حسين باكير، الثورة السورية في المعادلة الايروانية-التركية، مصدر سبق ذكره.

¹⁸³ . خورشيد ولي، تركيا بين الاستدارة والادارة.

www.aljazeera.net/opinions/.../718d3257-705b-4c5c-9e5c-b98191a4b3ce

¹⁸⁴ . خورشيد ولي، تركيا بين الاستدارة والادارة.

www.aljazeera.net/opinions/.../718d3257-705b-4c5c-9e5c-b98191a4b3ce

¹⁸⁵ . ينظر: <http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=37e11772cc5cae0b> <http://ar.wikipedia.org/wiki/>

بعيد نوروز، وهو ما اعتبره الكثيرون رشوة للأكراد لمنع انضمامهم للثورة، فضلا عن تجنب النظام الاستخدام المفرط للقوة لفض مظاهرات الأكراد كما حدث في بقية المدن السورية¹⁸⁶.

لقد أفرزت الأزمة السورية أيضا اصطفايا عرقيا، ونقصد به المسألة الكردية. فأوجدت تقاربا ملحوظا بين أكراد العراق وأكراد سوريا؛ إذ طرح السيد مسعود البرازاني- رئيس إقليم كردستان العراق مبادرة " توحيد أكراد سوريا من خلال تشكيل المجلس الوطني الكردي، وقيام ضباط من البيشمركة العراقية بتدريب أكراد سوريا لحماية المناطق الكردية، وتوحيد وتنسيق المواقف الكردية العراقية والسورية¹⁸⁷، ولجعل الورقة الكردية هي الرابحة في ترجيح الكفة لصالح النظام أو المعارضة، واستغلالا للظروف توجّ فيما بعد بإعلان تشكيل إدارة مؤقتة في المناطق الكردية، لزيادة مكتسباتهم.

لقد كان لموقف أكراد العراق تجاه أكراد سوريا أصداء باتجاهين،الأول: داخليا: زيادة الخلافات بين الحكومة العراقية المركزية وإقليم كردستان؛ بسبب رفض حكومة الإقليم دخول قوات الجيش العراقي منطقة الحدود مع سوريا ضمن حدود الإقليم لمنع تسلل العناصر المسلحة، في الوقت نفسه لم تخف الحكومة المركزية تخوفها من تقسيم العراق مستقبلا بعد انتهاء الأزمة السورية على خلفية التحركات الكردية العراقية على مستوى التفاعل مع أكراد سوريا، والثاني: إقليميا؛ إذ من شأن هذا التحرك أن يثير مشكلة الأكراد على المستوى الإقليمي، فقد أدركت تركيا رسالة البارزاني على أنه يريد مساعدة أكراد سوريا باتجاه الحصول على حكم ذاتي مماثل للحكم الذاتي الذي يتمتع به أكراد العراق، وهذا بالتأكيد سيكون له تأثير سلبي على أكراد تركيا الذين سيطالبون الحكومة التركية بمطالب تتجاوز مجرد الاعتراف بحقوقهم الثقافية والمساواة¹⁸⁸.

٣: المسألة الطائفية... استشراف المستقبل

مما تقدم يتضح بلا أدنى شك بأن الأزمة السورية كانت سببا في إتمام ظهور صورة الطائفية على المستوى الإقليمي؛ إذ وجدت القوى الإقليمية نفسها تصطف طائفا ومذهبيا سواء من حيث تدري في مشاركة في التخطيط لذلك، أو لا تدري فوجدت نفسها مرغمة على ركوب الموجة الطائفية.

والسؤال الذي نحاول الإجابة عنه هنا ما مستقبل المنطقة في ظل هذا الصراع الطائفي؟، هل ستمكن القوى الإقليمية ومن باب الشعور بالمسؤولية أن تنأى بالمنطقة بعيدا عن التصعيد لطائفي؟، أو أنها سترضى بالوضع القائم كما هو، في ظل عدم وجود حسم دولي للآزمة؟، ومن ثم في مرحلة قادمة تتصاعد الأمور لتصل إلى حافة حرب إقليمية.

١٣: مشهد التفكيك

نقصد تفكيك المسألة الطائفية وإضعافها أو إنهاءها، إما باتفاق الأطراف المؤثرة إقليميا، أو بانتصار أحد أطراف الصراع في سوريا.

¹⁸⁶ محمود بيومي، أكراد سوريا والثورة بين تعقيدات الداخل وقيود الخارج، ملف الأهرام الاستراتيجي، ٢٠١٣/٩/١٤.

<http://digital.ahram.org.eg/Community.aspx?Serial=1090062>

¹⁸⁷ احمد عبد الحافظ فواز، الفائز الأكبر، التحدي الكردي للهيكل الإقليمية بعد الربيع العربي، تحولات استراتيجية، ملحق مجلة السياسة الدولية،

مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد ١٩٣، يوليو ٢٠١٣، ص ٣٤.

¹⁸⁸ نفس المصدر.

أولاً: الاتفاق الاقليمي: فيه تدرك القوى الاقليمية خطر هذه الطائفية على المنطقة، ومن منطلق المسؤولية الاخلاقية والاسلامية، فضلاً عن المصلحة الوطنية ستعمل القوى المعنية بالصراع، ونعني هنا: ايران والسعودية وتركيا على تخفيف حدة الصراع الطائفي الى أبعد حد ممكن توافقاً مع مصالح وأهداف هذه الاطراف، فإيران تحاول أن تظهر للاخرين انها ليست توسعية وليست راعية للارهاب من جهة، ومن جهة أخرى تعمل على فك العزلة التي فرضها الغرب عليها بسبب برنامجها النووي، والسعودية تريد أن تعيد دورها الاقليمي الذي تراجع كثيراً منذ احتلال العراق، وأصبحت عاجزة من تأدية دور حاسم في الكثير من القضايا التي تهم العرب، منها: الازمة السورية، أما تركيا فهي الاخرى تريد المحافظة على ما حقته من مكاسب على المستوى الاقليمي نتيجة فاعلية سياستها الخارجية إزاء قضايا الشرق الاوسط هذا من جهة، ولجم جماع التطوعات الكردية من جهة أخرى، الذي قد يدفعها للتدخل عسكرياً. أما على المستوى الدولي فإن تصاعد الصراع الطائفي ربما سيهدد في مرحلة من مراحل المصالح العالمية حينما ينتقل جنوباً بالقرب من منابع النفط وطرق امداداته.

وعليه ستعمل القوى الاقليمية مجتمعة، وبمباركة دولية على تخفيف حدة التصادم الطائفي من خلال جملة من الاجراءات والفعاليات نذكر منها:

١. التوافق اقليمياً لحل للازمة السورية سياسياً وبمشاركة الامم المتحدة على اعتبارها السبب المباشر لظهور المسألة الطائفية، ووقف القتال في سوريا، والضغط على الحكومة السورية والمعارضة لتحقيق ذلك.
٢. العمل سوياً على سحب كل المقاتلين الاجانب من الاراضي السورية.
٣. نجاح العراق بتشكيل حكومة وحدة وطنية مبنية على أسس وطنية وليس طائفية كسابقها، وذات مشروع وطني لكل العراقيين.
٤. عقد مؤتمر اقليمي برعاية الامم المتحدة، لوضع آلية لحل الازمة السورية بأي شكل من الأشكال، سواء بمشاركة المعارضة في السلطة كما حدث في المسألة اليمينية، أو اجراء استفتاء عام أو انتخابات في سوريا وبرعاية أممية.
٥. وضع استراتيجية اقليمية لنبذ التطرف الديني الطائفي ومحاربه.
٦. تعهد اقليمي ودولي لاعادة اعمار سوريا وتقديم المساعدات لعودة السوريين الى وطنهم.
٧. تدخل المرجعيات الدينية لتخفيف حدة الخطابات والشعارات الطائفية، عن طريق عقد المؤتمرات الدينية لتقريب وجهات النظر بين السنة والشيعة ونبذ أي تصعيد طائفي وازرار ذلك بوسائل الاعلام.

ثانياً: انتصار أحد أطراف الصراع في سوريا

إن انتصار أحد أطراف الصراع في سوريا في إطار نظرية اللعبة الصفرية وانتهاء الطرف الآخر، ربما سيكون عاملاً مهماً لتخفيف الصراع الطائفي، علماً أن الطرفين لهما حظوظ في الانتصار؛ لذا فهما سيعملان في حالة بقاء أي منهما على تخفيف الضغوط عليه من خلال اعلانه وعمله بموجب أجنادات وطنية بعيدة عن الطائفية؛ لعدم اثاره حفيظة الاطراف الاقليمية ذات التأثير في الشأن السوري، ففي حال انتصار النظام السوري، فإنه سيعمل حتى إن كان بالاتفاق مع ايران بالابتعاد عن الأخيرة بعض الشيء، واخراج القوات الايرانية ومقاتلي حزب الله والمليشيات العراقية من سوريا، والعمل على اجراء مصالحه وطنية وإصلاحات سياسية حقيقية، والانفتاح نحو الدول العربية. وفي حال انتصار المعارضة وسقوط نظام الاسد فإن ذلك يعني أن إيران ستفقد حليفها الاستراتيجي، وتقطع حلقة الوصل مع حزب الله في لبنان، وبالنتيجة ستفقد ايران نفوذها وتأثيرها على المنطقة، وبالمقابل فإن النظام الذي سيخلف الأسد سيعمل جاهداً للسيطرة على كل سوريا،

وسيعمل على عدم التعرض للطائفة العلوية والحفاظ على حقوقهم وممتلكاتهم بوصفه مواطنين في إطار الوحدة الوطنية، وعدم الوقوع في الخطأ العراقي، فضلا عن عدم تهديد الدول المجاورة بخاصة العراق، وعدم اثاره الشيعة في الدول المجاورة.

٢٢: مشهد الاستمرارية

في هذا المشهد يبقى الوضع على ما هو عليه، وتستمر الازمة السورية ومعها الاصطفاف الطائفي، وتستمر الاطراف الاقليمية بدعم طرفي الصراع، في ظل موقف دولي غير مسؤول وغير جاد في انهاء الازمة؛ لأن الاطراف الدولية بخاصة روسيا تحاول أن تبرر ان النظام الذي سيأتي بعد الاسد سيكون نظاما اصوليا عنيفا¹⁸⁹، وهو تعبير عن خشية روسية من التوجه الاسلامي السني على خلفية ما حصل في الشيشان، وهي ترى امكانية درأ هذا الخطر بدعم الاسلام الشيعي، الذي كان عاملا مهما في التقارب الروسي-الايرواني¹⁹⁰، لكن الحقيقة التي لا يمكن حجبها هو أن روسيا وجدت في دعمها للاسد معركتها الدولية لاثبات قوتها ونفوذها ومكانتها الدولية، وهو ما شكل أحد أهم العوامل في استمرار الاسد في السلطة¹⁹¹، وبالنسبة للولايات المتحدة وعلى الرغم من اعلانها غير مرة في دعم المعارضة السورية، غير أن مايكل دوران، وماكس بوت يكشفان في تقريرهما في صحيفة نيويورك تايمز أن ادارة الرئيس اوباما امتنعت عن الرد على التدخلات الايرانية في العراق وسوريا ولبنان لسببين: الاول: رغبة الرئيس اوباما تخليص الولايات المتحدة من محن الشرق الاوسط، والثاني: ان البيت الابيض يرى في ايران وحلفائها الشيعة شركاء في الصراع ضد الجهادية السنية¹⁹²، كشف عنه بوضوح التنسيق الأمريكي-الايرواني واشتراكهما معا بمحاربة (داعش) في العراق. وبتقديرنا هناك اتفاق أمريكي- روسي للوقوف الى جانب الشيعة في المنطقة؛ لأنهم الاقلية وسط البحر السني.

ان استمرار الازمة السورية سيؤدي الى مزيد من الدمار في سوريا، ويتوافق تماماً مع الفوضى الخلاقة التي أرادتھا الولايات المتحدة، وهو هدف استراتيجي تسعى له اسرائيل، وبذلك تُنهي الجبهة الشرقية التي طالما كانت هاجسا كبيرا في الادراك الامني الاسرائيلي، بعد تدمير قدرات طرفيها سوريا والعراق.

٣٣: مشهد الحرب الطائفية

إن استمرار الوضع في سوريا وبدون حسم سيزيد من استمرار الاصطفاف الطائفي وستتحول الازمة السورية إلى صراع إرادات إقليمية ودولية وحرب بالوكالة؛ إذ ستستمر ايران والعراق ومن ورائهما روسيا بدعم النظام السوري، وتركيا ودول الخليج، ومن ورائها الولايات المتحدة بدعم المعارضة¹⁹³. هذا الاصطفاف قد يتطور في لحظة بسبب قيام قوات حكومية في العراق أو سوريا ومليشيات بعسكرية ترقى الى الإبادة الجامعية هدفها المعلن محاربة الارهاب، وهدفها الخفي التطهير العرقي، تؤدي الى حرب أهلية في العراق وسوريا، أو أن تصل "الصحوة الشيعية" التي وصفها نصر الله المناطق الشرقية من السعودية، وتكرر أحداث البحرين في الدولتين معا، وتستخدم القوة من القوات السعودية والبحرينية، أو

¹⁸⁹ . د. ميشيل كيلو، رهانات صعبة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠.

¹⁹⁰ . ايران والازمة السورية.. القنبلة والدور، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣-٤.

¹⁹¹ . د. خالد الحروب، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨.

¹⁹² . برنامج من واشنطن، عنوان الحلقة (اتهام امريكا بزرع الفتنة في العراق)، محطة الجزيرة الفضائية، ٢١/١/٢٠١٤.

¹⁹³ . قارن مع ميليسا دالتون، سيناريوهات أمريكية محتملة لنهاية الازمة السورية، عرض محمد مسعد العربي، مفكرة الاسلام، 28 نوفمبر

٢٠١٢.

يتدخل درع الجزيرة للقضاء عليها، ويتحرك الحوثيون في اليمن، وعندها تتدخل إيران "حامية الشيعة"، وهنا نذكر تهديد خطبة جمعة طهران آية الله أحمد خاتمي للحكومة اليمنية بعواقب وخيمة في حالة عدم التعاطي مع مطالب الحوثيين¹⁹⁴، سبقها ضبط باخرة محملة بالأسلحة مرسله من إيران الى الحوثيين، وهذا كله يدفع بالنتيجة إلى حرب إقليمية، وفي هذا يقول أحد القياديين السابقين في جيش المهدي في محاضرة له بمجموعة من الشباب: "هناك اجماع بين القوى الشيعية الدينية والسياسية على أن المعركة الطائفية في المنطقة ستطل برأسها من سوريا، وأن الحرب في حال تطورت ستكون معركة الشيعة مع الاخوان على مضائق المنطقة"¹⁹⁵، وأضاف بأن الأولوية العسكرية التي تم تشكيلها ستقاتل في البحرين، واليمن لدعم الحوثيين، أو في مصر، وقد تسهم مع إيران بالسيطرة وغلق مضيق هرمز، وباب المندب، وستحقق موطن قدم في سيناء وتهدد قناة السويس¹⁹⁶. ربما كانت بوادرها القذائف التي اطلقها (جيش المختار) التابع لوائق البطاط القريب من إيران على المناطق الحدودية السعودية. في خضم هذه التطورات تكون الازمة السورية قد وضعت كلا من إيران وتركيا على طرفي نقيض، ورفعت حالة التوتر بينهما، مما قد يهدد الصدام بينهما أيضا، فكل طرف يدفع باتجاه أن تستقر الأوضاع لحليفه. بل إن هناك من تنبأ بحرب عالمية ثالثة، ونذكر هنا على سبيل المثال ما تناقلته العديد من مواقع الشبكة العنكبوتية-الانترنت عن هنري كيسنجر بأن نُذر الحرب العالمية الثالثة باتت في الأفق وأطرافها الولايات المتحدة من جهة، وروسيا والصين وإيران من جهة أخرى مشيرا في حوار مع صحيفة ديلي سكيب الأمريكية إلى "أن ما يجري الآن هو تهديد لهذه الحرب التي ستكون شديدة القسوة بحيث لا يخرج منها سوى منتصر واحد هو الولايات المتحدة من وجهة نظره"¹⁹⁷، وعلى الرغم من استبعاد وقوع الحرب العالمية الثالثة لدى الكثير من المهتمين بشؤون الشرق الأوسط وعدم الحديث عنها، غير أن نظرية "البجعة السوداء" ممكنة الحدوث في منطقة تتشابك فيها المصالح وتتعدد فيها الفواعل. ان المهم في الامر هو نتائج الحرب الطائفية، أو الحرب العالمية الثالثة، التي ستكون ذات تأثيرات مباشرة على المنطقة وستؤدي بالنتيجة الى ولادة منطقة جديدة غير التي هي قائمة اليوم؛ إذ ستختفي دول، وتولد دول جديدة وتتغير فيها الحدود.

خلاصة واستنتاجات

لقد أثبتت الدراسة الفرضية التي انطلقت منها، وهي أنلأزمة السورية دورًا كبيرًا في تأجيج الطائفية على المستوى الاقليمي؛ لأنها رتبّت الاصططاف الاقليمي من الازمة على هذا الاساس؛ بسبب التمدد الايراني الكبير في المنطقة العربية، الذي عدّ خطرا داهما على دول الخليج، ومنافسًا خطيرا للدور التركي الاقليمي المتصاعد، وليخدم هذا التصارع الطائفي المخططات الاسرائيلية بالدرجة الاساسية؛ لأنها تريد أن ترى الدول العربية عبارة عن كانتونات عرقية وطائفية محكومة بخلافات وصراعات مستمرة.

وعليه يذهب الباحث الى ترجيح مشهد الاستمرارية لفترة محدودة قد لا تتجاوز هذا العام، ومن ثم ستبدأ الأزمة السورية باتخاذ منحنيها الانفراج شيئا فشيئا لصالح النظام السوري، (في حال عدم التدخل العسكري الامريكي او الاممي بموجب الفصل السابع)، ومدعاة ذلك هو:

¹⁹⁴ . قناة العربية الفضائية، الأخبار، ٢٠١٤/٩/٦.

¹⁹⁵ . نقلا عن عبدالواحد طعمة، مليشيات عراقية تتوحد تحت ستار حماية شيعة

المنطقة. <http://www.kitabat.com/ar/page/10/09/2013/16572/%D9%85%D9%8A%D9%84%D9>

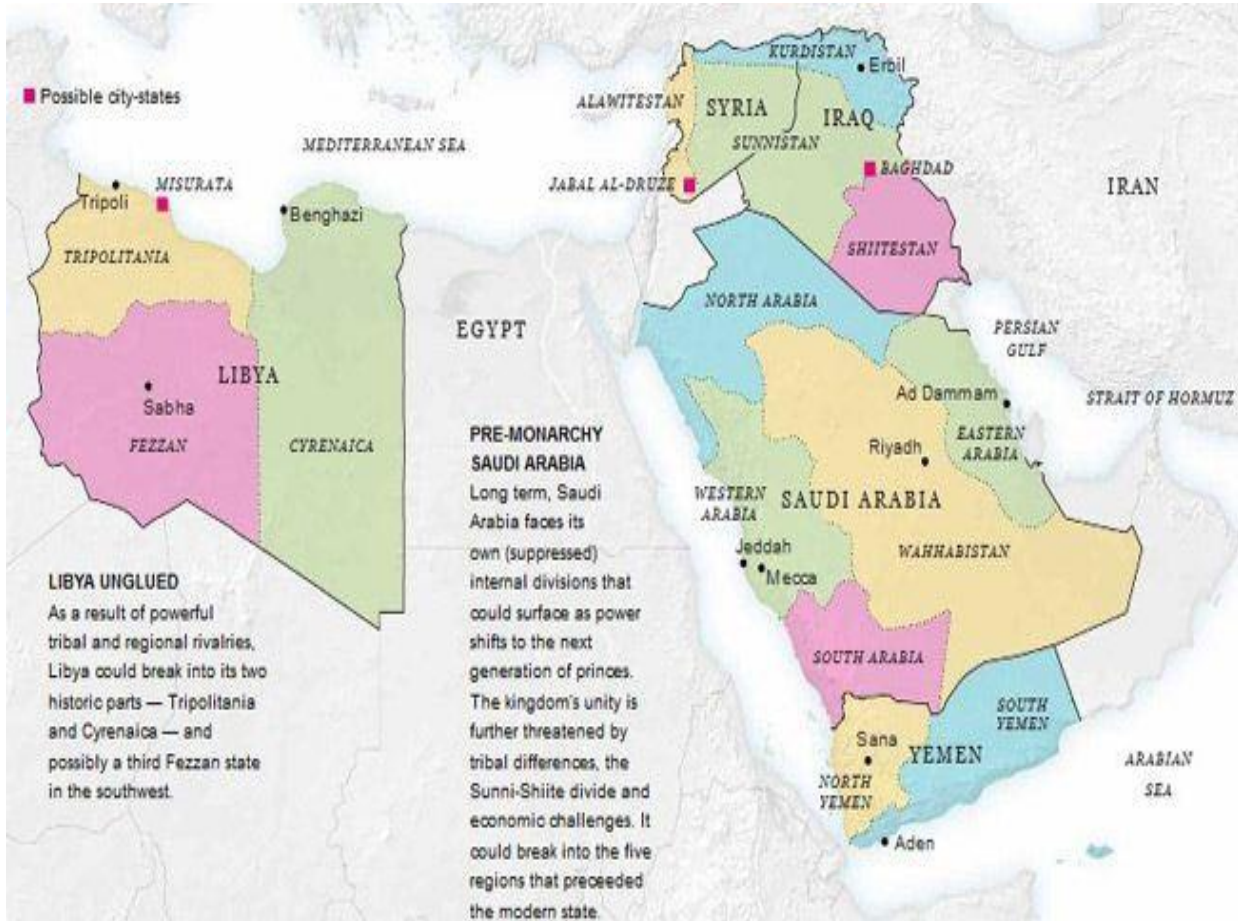
¹⁹⁶ . نفس المصدر السابق.

¹⁹⁷ . ينظر على سبيل المثال: كيسنجر: الحرب العالمية الثالثة اقتربت وتم التخطيط لها بعناية وأمريكا ستنتصر.

- التبعج بنتيجة الانتخابات التي حقق فيها الأسد فوزا ساحقا، مع انسياق امريكا مع هذا التوجه.
- ضعف المعارضة بسبب ضعف الدعم المقدم لها عربيا ودوليا.
- قوة الموقفين الروسي والإيراني والتزامهما بدعم النظام السوري.
- عدم ارتقاء الموقف الأمريكي الى الجدية في اسقاط النظام السوري حتى في مجلس الامن.

أو الانزلاق نحو مهاوي حرب طائفية كبيرة تضرب العراق وسوريا واليمن والمنطقة الشرقية من السعودية وبعض دول الخليج، وبسبب أهمية المنطقة عالميا، وخوفا من تهديد مصالح الدول الكبرى، وتهديد الامن والسلم الدوليين، سيكون هناك تدخل عالمي وأممي، ومن ثم يصار الى تقسيم المنطقة على الأساس الطائفي والعرقي تحت ذريعة حق تقرير المصير للأقليات، والطوائف والقوميات، وعلى وفق الخريطة التي كشفت عنها صحيفة النيويورك تايمز بتقسيم خمس دول (سوريا، السعودية، اليمن، العراق، وليبيا) الى 19 دولة¹⁹⁸ (خريطة رقم ٢)، وهذه الخريطة هي جزء من المخطط الصهيوني-الاسرائيلي لتفتيت المنطقة، وتوفير أفضل وضع إقليمي لاسرائيل.

خريطة رقم (٢)



المصدر: Robin Wright, How 5 Countries Could Become 14, The New York Times, September 28, 2013.

⁷⁰ Robin Wright, How 5 Countries Could Become 14, The New York Times, September 28, 2013

الاقتصاد العالمي والموارد الاقتصادية في ظل العولمة والهيمنة السياسية

أ. خليل محمد خليل أبوعلان/ جامعة الخليل - كلية الآداب - قسم الجغرافيا التطبيقية (فلسطين)

الملخص

أدى ظهور العولمة إلى فقدان كثير من الدول المسيطرة على مواردها الاقتصادية بنوعها البشري والطبيعي، وسيطرة دول أخرى ذات قوة اقتصادية وسياسية على موارد تلك الدول، من دون النظر إلى مصلحة شعوب الدول الفقيرة، هذا الأمر أدى إلى ظهور توزيع غير عادل للموارد الاقتصادية المحلية والعالمية في ظل العولمة. وقد كان للشركات متعددة الجنسية دور رئيس في نهب موارد الدول الفقيرة، وظهر دول اقتصادية عظمى ذات سيادة عليا على الموارد والاقتصاد العالمي.

Abstract

The emergence of globalization to the loss of many of the states control over economic resources, human and natural, and control of other countries with economic and political power on the resources of these countries, Without regard to the interests of the people of poor nations, This led to an unfair distribution of local and global economic resources in light of the emergence of globalization, It was a multi-national companies play a key role in the looting of poor countries resources, And the emergence of super High sovereignty over resources and the global economy, economic countries.

المقدمة

حدثت تغيرات اقتصادية على الوضع العالمي خلال العقود الثلاثة الأخيرة التي كانت واضحة وذات نتائج كبيرة على دول العالم، وكذلك بروز دور العولمة على الساحة الدولية، التي أصبحت مفهوما متداولا بين أيدي وأحاديث الكثير من الناس، فكان لا بد من عرض ماهية العولمة والدوافع وراء حدوثها، إلى جانب الهيمنة الأمريكية التي أصبحت جنباً إلى جنب للعولمة.

يتطرق هذا البحث إلى دراسة توزيع القوة الاقتصادية العالمية وتركزها في يد محددة من الدول المهيمنة والصاعدة اقتصادياً، مثل الولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان وروسيا، فقد تم دراسة هذه الدول بناءً على ما تتمتع به من مكانة اقتصادية مهمة على الصعيد الدولي، والمحلي، وقد اقتصر حدود الدراسة من حيث الزمنية، فقد ركزت منذ بداية الثمانينيات حتى الوقت الحالي، وأما المكانية فقد تمثل بدراسة عامة للوضع الاقتصادي العالمي، ودراسة خاصة لكل من الولايات المتحدة والصين واليابان وروسيا الاتحادية.

وتأتي أهمية البحث في إظهار مدى التغيرات الاقتصادية المستمرة وبرز دول اقتصادية جديدة، والمنافسة الاقتصادية الكبرى بين الصين والولايات المتحدة، كذلك تظهر الأهمية في احتكار الدول العظمى لعوامل القوة الاقتصادية

التي تتمثل بالأيدي العاملة والتكنولوجيا والطاقة والأسواق والموارد الطبيعية، وكذلك الهيمنة على شعوب الدول الضعيفة في نهج خيارات بلادهم، وزيادة المعرفة لكل من الباحث نفسه والقارئ، والإطلاع على الوضع الاقتصادي والتغيرات.

وفي هذا البحث استخدم المنهج الوصفي في الدراسة، وذلك بوصف الاقتصاد العالمي، والمنهج التحليلي في تحليل مدى سيطرة الدول المتقدمة على موارد القوة الاقتصادية، وتحليل عوامل قوتها، وكان لابد من الإطلاع على المنهج التاريخي في فهم التطورات التي حدثت على النظام الاقتصادي العالمي والوضع لاقتصادي للدول المذكورة آنفاً، ومن الإشارة إلى الوضع العربي الذي لا يبشر ببوادر خير؛ نتيجة تفككه الاقتصادي والسياسي، والتبعية الاقتصادية التي يعاني منها؛ نتيجة الهيمنة الأميركية على النفط العربي، وكذلك دول الاتحاد الأوروبي والصين واليابان وروسيا التي كلها تسعى جاهدة في إيجاد نفوذها، وفرض نوع من السيطرة على خيارات المنطقة، وحال الدول النامية الأخرى هو حال المنطقة العربية التي تعاني من المشاكل نفسها تقريباً.

الاقتصاد في العالم الحديث و دور العولمة

يعد الاقتصاد من أهم مقومات الدولة، وهو الركيزة الأولى في قوة الدولة وتمكنها من القيام بمهامها على الشكل المطلوب، والأهمية الاقتصادية تتزايد قيمتها بشكل كبير وملحوظ عما كانت قبله في القرون السابقة، فالقوة الاقتصادية للدولة تعطيها ميزات كثيرة تختلف عن غيرها من الدول التي تتميز بضعف اقتصادها، وأن الأهمية الاقتصادية أصبحت تسيطر على معظم العلاقات المتبادلة بين دول العالم.

إن العامل الاقتصادي له دور كبير ومؤثر في توجيه وتحديد العلاقات الثنائية والمتعددة الأطراف فيما بين الدول، وكذلك من خلاله يتم قياس قوة الدولة على مدى قدراتها في بناء اقتصاد وتنمية مزدهرة ومستمرة، وعلى هذا الأساس فقد وضع صانعو القرار في جميع دول العالم العامل الاقتصادي نصب عينهم، وأحد أهدافهم الأساسية في معظم نشاطاتهم المحلية والخارجية¹⁹⁹.

إن النظام الاقتصادي الحالي يتميز بمحابة الدول الصناعية المتقدمة من دون الأخذ في الاعتبار الطموحات المشروعة للدول النامية بالقضاء على الفقر والتخلف الاقتصادي والاجتماعي، والسعي لتحقيق التقدم الاقتصادي، وتسريع التنمية الاقتصادية في بلدانها، وإقامة علاقات اقتصادية متكافئة وعادلة مع الدول الصناعية المتقدمة، ومن ثم أصبحت الدول المتقدمة صناعياً واقتصادياً بالعمل على إقامة علاقات اقتصادية تصب في مصالحها الشخصية من دون النظر لمصالح الدول المتخلفة اقتصادياً.

فقد أسهمت العلاقات الاقتصادية متعددة الأطراف ظهور العديد من المنظمات الاقتصادية الدولية والإقليمية وغيرها، منها ظهور منظمة الأمم المتحدة و الوكالات المتخصصة والهيئات التابعة لها، التي تعنى بمختلف المواضيع الاقتصادية كالمجلس الاقتصادي والاجتماعي ومنظمة الغذاء والزراعة الدولية (اليونيدو)، وعقد المؤتمرات الدولية الاقتصادية المتخصصة الدولية والإقليمية وعبر الإقليمية كالسوق الأوروبية المشتركة ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، ومجلس التعاضد الاقتصادي للدول الاشتراكية (سيف)، وجامعة الدول العربية والسوق العربية التابعة له، وغيرها من المنظمات الاقتصادية التي أنشئت لتحقيق الأهداف الاقتصادية لصالح الدول التي تنتمي لهذه المنظمات، فقد أدى ظهور هذه المنظمات إلى تزايد كبير في العلاقات الاقتصادية على جميع المستويات الدولية والإقليمية، وتزايد في

¹⁹⁹د. علاء عبد الحفيظ. العولمة وأولويات السياسة العامة: دور المنظمات الدولية غير الحكومية. مجلة السياسة الدولية، مج ٤٩، ع ٢٠١٣، ١٩٤، ص: ٢٣.

أهمية الاقتصاد في العالم، في محاولة من هذه الدول لحماية اقتصادها المحلي، وتوفير موارد اقتصادية تهدف من خلالها لتطوير اقتصادها²⁰⁰.

العلاقات الاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة في ظل الهيمنة السياسية

إن العلاقات الاقتصادية بين الدول النامية والدول الصناعية تتصف بانعدام التكافؤ واللاعلاقة، والنظام الاقتصادي الراهن تمتد جذوره إلى عهود الاستعمار الطويلة التي تعاني منها الدول النامية، حيث كان هذا النظام وما زال يعمل لصالح زيادة تقدم ورفاهية الدول الصناعية المتقدمة والتي أسهمت بخلقه وأدامته حتى الوقت الحاضر، وهي تسعى بجميع الأساليب والوسائل للإبقاء عليه أطول فترة ممكنة، وأن الدول النامية قد تيقظت على الواقع المير للتلخف الذي تعيش تحت وطأته وهي تسعى جاهدة لتغيير الأمر الواقع الحالي للنظام الاقتصادي الراهن، وإيجاد نظام دولي جديد يستند على أساس العدالة والتكافؤ ويهيئ لها فرصاً لبناء القاعدة الأساسية اللازمة لنموها وتقدمها الصناعية.

ونتيجة لتزايد العلاقات بين الدول في جميع النواحي أدى لظهور مصطلح جديد يسمى بالعمولة، التي لها العديد من التعاريف المختلفة، فقد عرف العديد من علماء العلاقات الدولية وعلماء الاقتصاد والاجتماع العمولة بطرق مختلفة، ومن أهم هذه التعريف: "تعريف (Martin Albrow) للعمولة على أنها: تكثيف العلاقات الاجتماعية على نطاق العالم التي تربط بين المواقع المتباعدة بطريقة تجعل الأحداث المحلية تكتسي طابع الأحداث التي تطرأ على بعد أميال عديدة والعكس بالعكس"²⁰¹.

والعمولة من وجهة نظر اقتصادية يمكن تعريفها على أنها: مجموعة من الظواهر الاقتصادية، وهذا التعريف يركز على الدولة وظيفياً باعتبارها سلسلة مترابطة من الظواهر الاقتصادية، وتتضمن هذه الظواهر: تحرير الأسواق - خصخصة الأصول - انسحاب الدولة من أداء بعض وظائفها، ونشر التكنولوجيا والتوزيع العابر للقارات للإنتاج المصنع من خلال الاستثمار الأجنبي المباشر، والتكامل بين الأسواق الرأسمالية، ويلاحظ بعامة تزايد هذه الظواهر، وارتفاع معدلات التفاعل الاقتصادي بين الدول بصورة غير مسبوقه، وهو الذي يعطي لهذه الظواهر دلالة تشير إليها ظاهرة العمولة التي هي في الواقع إحدى نتائج التقارب الملحوظ بين النظم السياسية المختلفة في اتجاهاتها الأساسية في الوقت الحالي²⁰². (فهد، ص ٢٠٠٥)

أدى تطور التكنولوجيا إلى تمكين عدد متزايد من الناس التواصل على نحو أوثق عبر العالم، فالتواصل بين المجتمعات المختلفة أصبح سريعاً بشكل كبير نتيجة للتطور الهائل في مجال الاتصالات، وسرعة التبادل التكنولوجي فيما بينها، فالتكنولوجيا جعلت من الممكن التحدث إلى الناس ومشاهدتهم على الطرف الآخر من العالم، وملء الأسواق المركزية الكبيرة على الأقل في القطاعات الغنية من الاقتصاد العالمي، ببضائع متزايدة الغرابة من جميع أنحاء العالم، وكل التكنولوجيا جعلت من الممكن بناء أسلحة فيما إمكانية إحداث دمار عالمي وتلويث الجو بمواد كيميائية يمكن أن تكون لها عواقب عالمية لا يمكن تداركها وهي خطيرة جداً ومدمرة لحد كبير.

²⁰⁰ د. حميد الجميلي. دراسات في العلاقات الاقتصادية الدولية. طرابلس: الدار الأكاديمية للنشر والطباعة والتأليف والترجمة، ٢٠٠٥، ص ٩.

²⁰¹ بيليس جون، وستيف السميث. عولمة السياسة الدولية. دبي: مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٤، ص ٢٩.

²⁰² محمد فهد. الكوننة أو السوق العالمية ((العمولة)). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ٢٢.

أدى التطور الهائل في مجال الاتصالات إلى تغيير أساسي في بنية العلاقات الدولية، وأدت إلى حدوث تغييرات كثيرة حول سيادة الحكومات على العلاقات التي تتخطى الحدود الوطنية التي يقيمها المواطنون فقد كان أمام هذه الحكومات عدد من الخيارات، منها:

١. فسح المجال أمام استخدام وسائل الاتصال المختلفة مقابل أن تضحي بفقد السيطرة على العمليات التي تتخطى حدودها المحلية والوطنية.
٢. تحمل التكاليف الباهظة لإقامة نظام مراقبة محكم في محاولة غير ناجحة لمراقبة الاتصالات وضبطها.
٣. تقوم بإغلاق مرافق معينة لمنع حدوث عمليات اقتصادية طبيعية ولكن أن تفشل في كبح المنشقين من ذوي التصميم.

إن التبادل الثقافي الناتج عن وسائل الاعلام المختلفة أدى إلى حدوث تغيرات كبيرة في الثقافة الوطنية نتيجة اختلاطها بالثقافات الأخرى، فقد كان لوسائل الاعلام نصيب كبير في وضوح العولمة بظواهرها المختلفة، ووضوح آثارها على المجتمعات²⁰³.

وأن من مظاهر العولمة تعاضد دور المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية، فقد كان من أهم نتائج مؤتمر "بريتون وودر" عالم ١٩٤٤ إنشاء صندوق النقد الدولي (IMF) والبنك الدولي للإنشاء والتعمير (IBRD) الذي أصبح يعرف بالبنك الدولي، وفي مرحلة لاحقة أنشئت منظمة الجات بعد فشل جهود رامية لإنشاء منظمة التجارة العالمية (ITO) وبعد جهود تفاوضية منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٩٦ تم إنشاء منظمة التجارة العالمية (WTO)، وقد اكتسب الصندوق والبنك الدوليان قدرة متزايدة تدريجياً على توجيه الاقتصاد العالمي، واجتذاب الدول المختلفة للانضمام إلى اقتصاد السوق وتحرير أسواقها من خلال عمل برامج محددة للإصلاح الاقتصادي وإعادة الهيكلة، وأصبح للمنظمات والمؤسسات الدولية دور مؤثر وكبير في الاقتصاد العالمي، وهكذا تطورت أعمال وأدوار هذه المنظمات الدولية والمؤسسات لتؤدي دور الحارس للنظام الاقتصادي العالمي، فهي تنظم هيكله، وتحدد قواعد عمله، وترتب أوضاعه، وتعمل بشكل كبير على انتقال الدول لنظام السوق وتحرير أسواقها، ومن ثمّ زيادة وضوح ظاهرة العولمة على الدول²⁰⁴.

وتعد الشركات متعددة الجنسيات أو متعددة القوميات من الظواهر البارزة في النظام الاقتصادي ذات تأثير في سياسات الدول المتقدمة فدفعتها لتحقيق أهدافها في إطار تعديل اساس الولاء من الدول الوطنية إلى المنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات، ولقد تعدد تعاريف ومفاهيم هذه الشركات بتعدد جوانبها وأدوارها وأبعادها التي أخذت أنماطاً مختلفة منها ما هو تجاري أو خدمي أو صناعي.

العولمة والهيمنة الأمريكية، هذان المصطلحان أصبحا متلاصقين في معظم مجالات الحديث عن أي منهما، فالتغييرات التي طرأت على النظام الاقتصادي العالمي الحديث والتي صبت في نتائجها الإيجابية في أحواض اقتصاد الدول المتقدمة صناعياً واقتصادياً وعسكرياً، فقد كان للولايات المتحدة النصيب الأعظم من نتائج العولمة الإيجابية واستغلالها

²⁰³ محمد محفوظ. العولمة وتحولات العالم: اشكالية التنمية في زمن العولمة وصراع الثقافات. الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي للنشر، ٢٠٠٣، ص ٧٣.

²⁰⁴ منذر الشرع. "عولمة الاقتصاديات الوطنية: التحديات والفرص المتاحة" العولمة وأثرها في المجتمع والدولة. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٢، ص ١٠٣-١٣٩.

هذه الحالة في فرض هيمنتها على دول العالم الأخرى، واعتبار نفسها القوة الأعظم في العالم، وإغفال دور دول العالم الأخرى في الاقتصاد العالمي، وازدهار نفسها أنها عماد الاقتصاد العالمي.

أدى سقوط نظام ثنائي القطبية إلى تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام الدولي وتوجيهه صوب مصالحها الشخصية، وتعين نفسها شرطياً يحرس العالم، وعلى أنها أيضاً مركز الاقتصاد العالمي، وعملها على نهب خيرات الأمم الأخرى، إما عن طريق إقامتها لعلاقات اقتصادية تجبر الدول على التنازل عن موارد اقتصادية، أو من خلال استخدامها للقوة العسكرية، مثل: إعلانها الحرب على العراق تحت شعار إزالة النظام الدكتاتوري في العراق، والهدف الخفي وراء ذلك هو السيطرة على منابع النفط، وإزالة أي تهديد يهدد منطقة الخليج العربي الذي يعد مركز العالم للنفط²⁰⁵.

العولمة الاقتصادية (الدول المتقدمة وواقع الوطن العربي)

للعولمة الاقتصادية أدوات مختلفة تستخدمها لتحقيق أهدافها، منها: المنظمات الدولية، مثل: صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، التي تسيطر عليها الدول الصناعية وتستغله لتحقيق مصالحها الاقتصادية، والعقوبات الاقتصادية التي تستخدمها الدول المتقدمة صناعياً وعسكرياً واقتصادياً؛ وذلك لمنع انتشار الأسلحة النووية التي تهدد أمن الدول المتقدمة، مثل: العقوبات الاقتصادية التي فرضت على العراق في ظل نظام صدام والعقوبات الاقتصادية التي فرضت على إيران، ووسائل الإعلام المختلفة التي أصبحت تسيطر على عقول الناس والتي أدت إلى استهلاك الناس أشياء لا يحتاجونها، وشبكة الانترنت التي كانت عملاً إبداعياً أمريكياً سخر لتحقيق أهدافها وترويج أعمالها وبضائعها، حيث يعد أداة رئيسة في يد الولايات المتحدة الأمريكية.

وللعولمة أهداف تسعى لإنجازها وتحقيقها، وهي نوعان، منها: أهداف معلنة على أنها أهداف موضوعية وواقعية تتقبلها المجتمعات، وأهداف غير معلنة (خفية) لا يتم الاعلان عنها، وتكون أهدافاً رئيسة لصالح الدول المسيطرة والمهيمنة، ومن الأهداف المعلنة:

- تحقيق النمو الاقتصادي المحلي والدولي، وزيادة الانتاج.
- الاستعمال الأفضل للعمال وزيادة رأس المال.
- الاتجاه نحو تحرير اسواق التجارة ورأس المال.
- انعاش الاقتصاد العالمي عن طريق زيادة حجم التجارة الدولية.
- حل المشاكل التي لا تقدر الدولة بمفردها حلها.

أما الأهداف غير المعلنة (الخفية) التي تهدف المنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات في الدول النامية إلى تحقيقها، فهي:

- تحقيق المصالح الأمريكية والأوروبية من خلال السيطرة على القرار السياسي والاقتصادي.
- هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي على الاقتصاد العالمي بوسائل مختلفة، مثل: الاحتكار والشركات العملاقة.

²⁰⁵ السيد يسين . الامبراطورية الكونية : الصراع ضد الهيمنة الاقتصادية . القاهرة: نهضة مصر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ٢٠٤.

- نهب الموارد الاقتصادية وسرقتها لدى الدول النامية؛ وذلك عن طريق القوة العسكرية والغزو الثقافي والتبعية الاقتصادية.
- العمل على قيام صراعات بين الدول وإبقائها مستمرة، وإحداث خلافات فيما بينها.
- القضاء على الهوية الوطنية عن طريق الغزو الثقافي، وإضعاف هوية الدولة.

اما العالم العربي بحكم انتمائه للعالم النامي والمستهدف بأكثر سلبيات العولمة؛ وذلك بسبب ارتباطهم الوثيق بالولايات المتحدة الأمريكية وتبعيتهم لها؛ اذ باتت بلادهم تمثل فناءً خلفياً للقوى الأوربية إلى حد كسب الولايات المتحدة وضعا امبراطوريا فيها، وتزايد التصاق الدول العربية بها، ومن هذه الظواهر وجود القواعد العسكرية في منطقة الخليج التي تهدف إلى الحفاظ على منابع النفط، وابقاء سيطرتها عليه، وكذلك الحفاظ على التبعية الاقتصادية لها، ومن هذا المنظور يمكن اعتبار العالم العربي احد ضحايا العولمة. وتعد هذه المنطقة أحد أهم المناطق المستهدفة من العولمة ومن يديرها، فالمستقبل العربي الاقتصادي غير المبشر بالخير نتيجة لما ذكر سابقاً.

عوامل القوة الاقتصادية في مدة العولمة الاقتصادية

يعد امتلاك الدولة للموارد الاقتصادية وعوامل القوة الاقتصادية من عوامل قوتها ونموها وتقدمها في معظم المجالات والجوانب المختلفة، فأغلب دول العالم تحاول دوماً السيطرة على عوامل القوة الاقتصادية؛ لذا نرى أن أغلب القوى العظمى والمهيمنة هي من تمتلك وتسيطر على عوامل القوة الاقتصادية في العالم، وأهم عوامل القوة الاقتصادية:

١. المواد الخام: هي المواد التي يستخدمها الإنسان عن طريق الصناعة، أو أنها تكون مادة أولية غير مصنعة، مثل: المواد المستخدمة لإنتاج المنتجات أو المباني، وعادة ما تكون هذه المواد عبارة عن مواد طبيعية. مثل: النفط والحديد واليورانيوم والخشب، ويطلق مثلاً على النفط غير المكرر أو غير المصنع بالنفط الخام.

للمواد الخام دور مهم وأساسي في عملية التجارة والصناعة، حيث تعمل الدول المتقدمة جاهدةً على توفير المواد الخام لعملية الصناعة والعمل على توفير مخزون كافٍ منها، حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على توفير مخزون كافٍ من النفط، فهي تعمل على استيراد كميات كبيرة من النفط من منطقة الخليج العربي، وتحاول دائماً الحفاظ على أمن هذه المنطقة وحمايتها من أي خطر خارجي يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة، فمنطقة الخليج العربي تعدد منطقة صراع عالمي تحاول اغلب الدول المتقدمة على إيجاد نفوذ لها فيها، ومن ثمَّ إقامة علاقات اقتصادية بينها لتوفير إمدادات النفط لها.

وتعد قلة توفر المواد الخام في الدولة من عوامل ضعف الدولة الاقتصادية، ومن ثمَّ ضعفها في مجالات أخرى؛ أي: يصبح للضعف الاقتصادي الناتج عن قلة توفر المواد الخام آثار سلبية على مجالات قوة الدولة الأخرى، غير أنه توجد **هلات** شاذة عن هذا الجانب، مثل: اليابان التي تعد دولة فقيرة من حيث توفر المواد الخام غير أنها استطاعت التغلب على هذا الضعف بالعمل على توفير المواد الخام، وإعادة تصنيعها وبيعها، ومن ثمَّ استطاعت القضاء على هذا الضعف غير أنها تعاني من تخوف في هذا المجال؛ أي: من انقطاع إمدادات المواد الخام عنها، فهي تعمل على إنشاء اتفاقيات مع الدول الغنية بالمواد الخام، وعادة ما تكون هذه الاتفاقيات طويلة الأمد، ومقابل تسهيلات وامتيازات تمنحها اليابان لهذه الدول التي تمدها بالمواد الخام، وأن الدول المتقدمة صناعياً واقتصادياً تحاول السيطرة على خيرات الدول الأفريقية التي تحتوي على مواد خام مهمة للصناعة، وذات تكاليف مادية رخيصة.

٢. الأسواق: يقيم بعض الاقتصاديين أهمية للأسواق بدرجة لا تقل عن أهمية المواد الخام والقوى المحركة اللازمة لتشغيل المصنع؛ وذلك لأن المصنع يشتغل ويعمل على وفق حالة الأسواق ومتطلباتها، ويتوقف بيع وقدرة الأسواق تبعاً لعدد المشترين من جهة، وعلى وفق قدراتهم الشرائية ومستوى دخلهم من جهة أخرى.
٣. تزداد قدرة الأسواق مع زيادة الكثافة السكانية، حيث إن الدول المتقدمة صناعياً وذات الكثافة السكانية يتواجد فيها أسواق ذات قدرات استيعابية هائلة تختلف عن غيرها من الدول التي تحتوي على كثافة سكانية قليلة، ومن ثمَّ ضعف الأسواق بها، وأن قرب الأسواق من المناطق الصناعية يزيد من قدرات الأسواق، وفي بعض الأحيان تكون الأسواق بعيدة عن المناطق الصناعية، مثل: المراكز الصناعية التي تنتج السلع الاستهلاكية اليومية لسكان المجتمعات المدنية الكبرى، بل أحياناً تبعد الأسواق آلاف الأميال عن المراكز الصناعية، فبعض المصانع في المملكة المتحدة وألمانيا لا تعتمد على تصريف منتجاتها المحلية بل تعتمد أكثر على الأسواق الخارجية²⁰⁶.
٤. رأس المال: هو عبارة عن الأموال والمواد والأدوات اللازمة للنشاط الاقتصادي الربحي، وقد يكون رأس المال ثابتاً، مثل: الأرض والبناء، ورأس المال متحركاً، وهي المواد التي تدخل في الإنتاج، مثل: المواد الخام والأيدي العاملة، ورأس المال الكلي، وهي المواد والوسائل والأدوات؛ أي: جميع الجوانب التي تدخل في الدورة الاقتصادية الكلية.
- يمكن القول إن الكثير من الصناعات المتطورة في دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، مثل: الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية والسيارات والطائرات والبحث عن البرول وبناء السفن والحديد والصلب، تتطلب رأس مال ضخماً؛ لذا تعمل الدول المتقدمة اقتصادياً على الإشراف على هذه الصناعات وتوجيهها وتوفير رأس المال الكافي لها²⁰⁷.
٥. الأيدي العاملة: تعد الأيدي العاملة من أهم عوامل القوة الاقتصادية في الدولة حيث إنه كلما كانت هذه الأيدي متوفرة بشكل مستمر فإنها تؤدي بثمارها إلى زيادة انعاش الاقتصاد وزيادة في الإنتاج، غير أن هذه الأيدي العاملة لها نوعان، فهي قد تكون: أيدي عاملة ماهرة وذات خبرة، وأيدي عاملة غير ماهرة، والفرق بينهما هو أن الأيدي العاملة الماهرة لها ميزات كثيرة عن الأيدي العاملة غير الماهرة، مثل: جودة الإنتاج وزيادته، والخبرة التي تميزها في المجال العملي والعلمي، ومن ثمَّ تحتاج إلى مزيد من التكاليف المالية على الدولة، بعكس الأيدي العاملة غير الماهرة التي تعد رخيصة الأجر، وسهولة الحصول عليها.
- حيث تحتاج معظم الصناعات في الدول المتقدمة صناعياً للأيدي العاملة الفنية التي تكون على درجة عالية من الكفاءة في العمل، وذات الخبرات الفنية المتميزة؛ وذلك لضمان جودة الانتاج الصناعي، غير أن بعض الصناعات ما تزال تحتاج لأيدي عاملة بأعداد كبيرة، فعلى سبيل المثال يحتاج مصنع الطائرات إلى ٢٠٠٠ عامل، ويرتفع هذا العدد إلى الضعف في مصانع السيارات أو مصانع القطارات، وهذا ما دفع هذه المصانع إلى التواجد بالقرب من تجمعات الأيدي العاملة الماهرة. ولكن ما يتم ملاحظته هو أن التطور في صناعة التكنولوجيا واستخدام الآلات أدى إلى انخفاض الحاجة إلى الأيدي العاملة، حيث اضطرت بعض الشركات إلى تشغيل بعض العمال في أيام محدودة في الأسبوع، أو تقليل عدد ساعات العمل، ومن ثمَّ توفير مصاريف أو تكاليف مالية للشركات الكبرى.

²⁰⁶د. حسن سيد أحمد أبو العينين . أوروبا (دون روسيا الاتحادية) دراسة جغرافية اقليمية . الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠١، ص ١٩٩.

²⁰⁷د. حسن سيد أحمد أبو العينين، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

وتعاني العديد من دول العالم من هجرة الأيدي العاملة وهجرة ذوي الكفاءات إلى الدول المتقدمة والغنية، حيث تعمل الدول المتقدمة على إعطاء تسهيلات لهجرة ذوي الكفاءات، وهذا يعمل على زيادة في الانتاج وزيادة جودته، فالولايات المتحدة الأمريكية تعطي تسهيلات كثيرة لهجرة الكفاءات والخبرة إليها، كذلك كندا التي تعاني من نقص في عدد الأيدي العاملة، وهي تعمل على تقليص هذا النقص بفتح المجال أمام العمالة الوافدة إليها، كذلك دول الاتحاد الأوروبي.²⁰⁸

٦. الطاقة: تسعى الدول الصناعية جاهدةً إلى توفير الطاقة بكميات كبيرة؛ وذلك بسبب حاجتها المستمرة لها، وكثرة المصانع الضخمة والمشاريع التي تعمل على انشائها بهدف دعم الاقتصاد فيها، وتوفير الطاقة بأشكالها المتعددة، وعدم الاعتماد على مصدر محدد من الطاقة، حيث شهد منتصف القرن العشرين وما يليه من استغلال متنوع لأشكال الطاقة المتعددة؛ وذلك بسبب التقدم الصناعي في العالم.

ويعبر العلماء عن مدى التقدم الصناعي في الأقاليم الصناعية والتطور الاقتصادي فيها بالمعدل السنوي لاستهلاك الطاقة في كل إقليم، ويعزى تعدد مصادر الطاقة وتنوعها إلى أنه من المستحيل الاعتماد على مصدر واحد منها فقط لتوفير الطاقة المحركة وفي كافة الاستخدام لكل الأغراض المختلفة، وكان الفحم في القرن السابع عشر ميلادي المصدر الأساسي للطاقة، ولكن مع بداية الحرب العالمية الأولى ظهرت الحاجة إلى البترول والغاز الطبيعي، ومع التقدم الصناعي الهائل زاد الاعتماد بشكل أكبر على البترول والغاز الطبيعي، وكذلك الحاجة للطاقة الذرية والطاقة الشمسية.

ويوجد عوامل أخرى للقوة الاقتصادية في الدولة، وهي عوامل طبيعية مثل الموقع الجغرافي، والعوامل المناخية، ومصادر المياه، ومساحة الأرض والتضاريس، وكذلك عوامل بشرية، مثل: الخبرة التكنولوجية حيث إن الصناعات المتطورة تعتمد على الخبرة التكنولوجية بشكل كبير جداً وبدرجة عالية والإدارة، فالمصانع الكبرى لها أقسام متعددة وعليه تحتاج إلى إدارة ناجحة لضمان استمراريتها، ووسائل النقل والمواصلات؛ وذلك من أجل نقل البضائع والوصول إلى مصادر الطاقة، و التصدير، والتقليل من حجم التكاليف المادية لنقل البضائع إلى أماكن أخرى، والسياسات الحكومية من أجل ضبط المنتجات المحلية وحمايتها، وإشراف الدولة على الإنتاج الصناعي الكلي.²⁰⁹

يعزى وجود دول اقتصادية متقدمة ومهيمنة على الاقتصاد العالمي إلى سيطرة هذه الدول على عوامل القوة الاقتصادية بأشكالها كافة، ومن ثمَّ السيطرة المباشرة على الاقتصاد العالمي والهيمنة عليه وتسخيره لمصالح اقتصادها، حيث إن الولايات المتحدة التي تعد الدولة الاقتصادية العظمى في العالم تسيطر على كافة مجالات القوة الاقتصادية، وتبحث عن مصادر متجددة للطاقة؛ لاستمرار نشاط اقتصادها، مثل: سيطرتها على الطاقة النووية في العالم بجانب روسيا الاتحادية.

وكذلك الصين ذات الاقتصاد المتصاعد سريعاً والمنتعش وما يميز الصين عن غيرها من الدول الاقتصادية المتقدمة بانها تحتوي على عدد ضخم من السكان وهذا ما ساعدها على توفير أيدي عاملة ماهرة ورخيصة، وبناء سوق استهلاكي لبيع وترويج بضائعها في الأسواق المحلية والعالمية، حيث تغزو البضائع الصينية معظم بلدان العالم ومنها الولايات

²⁰⁸ د. ادريس الكريني. تحديات التنشئة الاجتماعية في زمن العولمة. مجلة رؤى تربوية، مج ١، ع ٤١، ٢٠١٣، ص: ١٦٩.

²⁰⁹ جون هارتلي. الصناعات الإبداعية: كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟. الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٧، ص ١١٣.

المتحدة الأمريكية، وكذلك الهند فهي دولة ذات عدد سكاني ضخم، وفيها مراكز صناعية، وأيدي عاملة ماهرة ورخيصة، مثل: الصين، وهي في مراحل انتعاش اقتصادي كبير إلى جانب أنها دولة نووية تمتلك السلاح النووي والطاقة النووية، واليابان التي تعد من أقوى دول العالم اقتصاديا والتي كانت في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية غير أن الصين حلت مكانها²¹⁰. (شينكار، ص ٩٨، ٢٠٠٩)

تركز القوة الاقتصادية في ظل العولمة ودور الهيمنة السياسية

خلال العقود الثلاثة الأخيرة لوحظ توزيع غير عادل للقوة الاقتصادية في العالم؛ وذلك بسبب صعود دول اقتصادية ذات تقدم وتطور صناعي هائل أدى إلى سيطرتها على موارد الطاقة، والسيطرة على عوامل القوة الاقتصادية وحرمان دول أخرى من هذه القوة والميزة، حيث استخدمت أساليب متنوعة في السيطرة، مثل: استخدام القوة العسكرية المباشرة المتمثلة بغزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، والقوة العسكرية غير المباشرة، مثل: قيام الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء قواعد عسكرية في منطقة الخليج العربي، أو عن طريق التبعية الاقتصادية والتحكم في اقتصاد الدولة التابعة، وكذلك استخدام الامتيازات والعقود والمعاهدات بين الدول، وهذه الطرق كلها تصب في نهج خيرات الدول الضعيفة والنامية، وحرمانها من خيراتها أو استغلالها لها²¹¹.

تركز عوامل القوة الاقتصادية في العالم داخل اطار محدد من الدول ادى إلى ظهور دول عملاقة اقتصادياً ومهيمنة حيث يوجد عدد من الدول التي تسيطر على هذه العوامل، غير أن البحث سيعرض عدداً من هذه الدول التي لها ميزات عن غيرها من الدول، وهذه الدول هي: الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا الاتحادية واليابان.

خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين تبين حدوث تغيرات كبيرة في البنى الاقتصادية ونظام الحركة، ونظام حركة مشروعات وإدارتها وحركة العمال، وهجرة ملايين الوظائف إلى الصين والهند مقابل ملايين من العاطلين في العالم، والتحول العميق في البنى الطبقيّة، وطبيعة التحالفات الطبقيّة الجديدة المحتملة على الصعيد العالمي، وبعد انتهاء عصر البروليتاريا ليفسح المجال لتحالفات عالمية مغايرة في الصراع ضد خصم مغاير ايضاً، هو الرأسمالية الاحتكارية متعددة القوميات بتكوينها الشبكي الكوكبي²¹².

لذا كان لابد من عرض مدى سيطرة هذه الدول على الاقتصاد العالمي، وذلك من خلال دراسة الظروف الطبيعية للدولة والبشرية، والتقدم التكنولوجي والعلمي، والسيطرة على الطاقة النووية، وكذلك السيطرة على الاسواق العالمية، والعلاقات المتبادلة فيما بينها، ومدى انعكاس هذه العلاقات على المستوى العالمي، وعرض صعود هذه الدول نحو قمة الهرم نتيجة اتباع سياسات اقتصادية معينة.

²¹⁰ أوديد شينكار، مترجم . العصر الصيني (القوة الاقتصادية الفارقة في القرن ال ٢١). الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٥، ص ٩٨.

²¹¹ أ. ذياب البدانية. التحديات الأمنية في عصر العولمة. مجلة الدراسات الأمنية - الاردن، مج ١، ٢٤، ٢٠٠٤، ص ٣٠.

²¹² ميديديث روبين، مترجم. الفيل والتنين صعود الهند والصين ودلالة لنا جميعاً. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ٢٠٠٩، ص ١٣.



مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية ISSN 2410-3926

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2015